الإسلام طريق فلسطين

سلسلة

الاسلام و فلسطين

(٦)

لجنة فلسطين الاسلامية
محاضرات المؤتمر السنوي الثالث

الاسلام طريق الانتصار

شيكاغو - إلينوي

١٥- ١٨ جمادى الأول ١٤١١هـ

٢٨ -٣١ ديسمبر ١٩٩٠ م

الإسلام طريق فلسطين

سلسلة

الإسلام وفلسطين

(٦)

لجنة فلسطين الإسلامية

محاضرات المؤتمر السنوي الثالث

الإسلام طريق الإنتصار

جمادي الأول ١٤١١هـ-ديسمبر ١٩٩٠م

أحمد عثمان مكي
رمضان عبدالله
عبد العزيز عودة
محرمٌ العارفي
حسن التل
طه جابرالعلواني
عبد الهادي أوان
محمّد العاص
خليل الشقاقي
عادل مهدي
ليث شبيلات
موحد شاه

الطبعة الأولى
ذو الحجة ١٤١١ هـ - يونيو (حزيران) ١٩٩١م

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسر لجنة فلسطين الإسلامية أن تقدم إلى قرائها وأنصارها الأعزاء وللسنة الثانية على التوالي النصوص الأساسية لمحاضرات المؤتمر السنوي الثالث والذي عقد في شيكاغو في نهاية ديسمبر ١٩٩٠م. ويحوي هذا الكتيب كل المواد التي قدمت في المؤتمر بإستثناء بعض الفقرات التي تعذر تقديمها لأسباب فنية أو موضوعية ولكنها متوفرة لدى اللجنة على شكل أشرطة مرئية (فيديو) أو سمعية ويمكن طلبها من اللجنة مباشرة.

لقد إستطاعت إدارة البرنامج بفضل الله أن تحصل على النصوص الأصلية لبعض المحاضرات كما كتبها الأساتذة المحاضرون أنفسهم. أما المحاضرات التي لم تكن معدة على شكل نصوص مدونة من قبل محاضريها، فقد جهد العاملون في اللجنة في إستنساخها وتدوينها مباشرة من أشرطة (الفيديو) وإعدادها بشكل ملائم للنشر مع ما يقتضيه من تغييرات لا غنى عنها ولكن دون أي إخلال جوهري في المعاني أو المضامين الواردة في تلك المحاضرات، ونخص بالذكر منها الأخ طارق الأعظمي المدير التنفيذي للجنة، وبالرغم من صعوبة هذه العملية والعناء الذي سببته فقد كان الحافز عظيماً لإنجازها لما لها من فوائد جمة في توصيل هذه المادة الفكرية الهامة إلى عموم المهتمين بها من الأخوة والأصدقاء الذين لم تمكنهم ظروفهم من حضور مؤتمرنا الماضي والذين نأمل أن نراهم على خير في فرص قادمة إن شاء الله.

تركزت موضوعات المؤتمر السنوي الثالث حول شعار "الإسلام طريق الإنتصار" في ظل الأزمات التي تمر بها الأمة في فلسطين والخليج خصوصاً وبقية العالم الإسلامي عموماً. تنوعت فقرات المؤتمر وشملت عدة محاضرات وندوات وعرض شرائح مصورة عن الأوضاع في المخيمات الفلسطينية قدمته الدكتورة سوي تشاي آنغ من سنغافورة والتي عاشت في مخيمات لبنان أثناء الإحتلال الصهيوني ومخيمات قطاع غزة المحتل وشملت كلمتها المؤثرة الأوضاع الصعبة واللاإنسانية التي يحياها الشعب الفلسطيني في ظل الإحتلال والقمع والإرهاب الصهيوني. ولقد شارك العديد من الأساتذة الشيوخ والمحاضرين والمفكرين الإسلاميين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي منهم: الشيخ المجاهد عبد العزيز عودة والدكتور خليل الشقاقي والدكتور رمضان عبدالله من فلسطين، والشيخ المجاهد محرم العارفي من لبنان، والشيخ عبد الهادي آوان من ماليزيا، والأستاذ ليث شبيلات والأستاذ حسن التل من الأردن، والأستاذ عادل مهدي من العراق، والدكتور عبد الرشيد صقر من مصر، والأستاذ نور إدريس من أرتيريا، والشيخ محمد علي الهي من إيران، والدكتور بارفيز إقبال شيما من أميركا والذي تكلم عن أحوال المسلمين في كشمير والأستاذ عيسى سميث والذي تحدث عن أحوال المسلمين في الإتحاد السوفيتي، والدكتور طه جابر العلواني والأستاذ موحد شاه والأستاذ أحمد عثمان مكي والأستاذ محمد العاص من أميركا الشمالية بالإضافة إلى الشعراء الأستاذ يوسف عزالدين صلاح والأستاذ محي الدين عطية من فلسطين ومصر على التوالي.

إن هذه الطروحات الناضجة لاشك أنها تؤكد أن التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم من الغرب ومحاولته للهيمنة على الأمة ومقدراتها ومستقبلها لا يمكن أن تواجه إلاً من خلال الإسلام دين الأمة وتراثها وتاريخها وحضارتها.
وأنه ليس هناك قضية قادرة على توحيد المسلمين وتعبئة الأمة وتجميع طاقاتها كقضية فلسطين-الأرض المباركة- وأن أي مشروع للنهضة أو المواجهة بعيداً عن خوضه في مكانه الصحيح وضد العدو الحقيقي لن يكتب له النصر النهائي ضد قوى التسلط والهيمنة والإستكبار.
لقد أثبتت أزمة الخليج والحرب بعد ذلك أن الإسلام وحده هو القادر على التعبئة والمواجهة والتحدي وأن أي شعار آخر هو شعار مزيف لإرادة الأمة ومتنكر لتاريخها وخائن لمستقبلها كما أثبتت الحرب العدوانية أن الأمة مستهدفة في مقدراتها وأن حفظ أمن الكيان الصهيوني لمن الأهداف المركزية للاستعمار الغربي.

نرجو إن شاء الله أن يكون هذا الكتيب لبنة طيبة في طريق بناء وإمتلاك الوعي الحقيقي لقضايانا المصيرية، وخطوة في سبيل الوصول إلى حالة الوعي والفعل والتغيير.
كما أننا نريد في هذا المقام دعوة كافة المهتمين أن يتحاوروا ويتناقشوا حول ما دار في هذا الكتيب من موضوعات ونرحب من جهتنا بتعليقاتكم وتأملاتكم ومراجعاتكم حول هذه المادة المتضمنة في هذا الكتيب والتي تبقى محاولات جادة لا تمتنع على النقد والتقويم كما أنها لا تمثل في كل تفصيلاتها ومضامينها موقفاً رسمياً أو نهائياً للجنة فلسطين الإسلامية.

والله من وراء القصد.

ذو الحجة ١٤١١هـ-يونيو (حزيران) ١٩٩١م

لجنة فلسطين الإسلامية

برنامج المؤتمر السنوي الثالث

نشيدٌ للقدس*

الأستاذ يوسف عز الدين صلاح**

القدس القدسُ أأنساها
والأقصى عطّر دُنياها
سأعدُ سلاحي وعتادي
وأسيرُ أسيرُ لِلُقياها
وَأعيدُ أعيدُ لها الامسَ
يا بيتَ المقدسِ لن أنسى
فاشهَد ياربِ على عهدي
ويميني شُلتْ إن أنسى

هل أنسى الصخرةَ تحترقُ
والوحشُ يجول وينطلقُ
والرُكّعُ في دمْ غَرقوا
هل أنسى هذا لن أنسى

ويميني شلت إن أنسى

هل أنسى أنسى طبريةْ
أم ساحَ المهدِ العربيةْ
وخليلَ اللهِ ومسجدَه
والشعبَ تحدى الهمجية
هل أنسى هذا لن أنسى
ويميني شُلتْ إن أنسى

صوتُ الاسلامِ ينادينا
وطأ الاعداءُ أراضينا
فأعدوا جيشاً جراراً
سيلاً يجتاحُ فِلسطينا
فيدكُّ قلاعَ الطغيانِ
بالحقِ بنور الايمان
ويُزيلُ العارَ وطُغمَتهُ
وَلِتعلوَ رايةُ قرآني
فلتشرقْ في يافا الشمسُ
ويعودُ الى البلدِ الأنسُ
فالماءُ لنا والارضُ لنا
ولنا التاريخُ لنا القدسُ

ويميني شلت إن أنسى

---

* ألقي هذا النشيد في جلسة الإفتتاح يوم الجمعة ٢٨/١٢/١٩٩٠.

** هذا النشيد هدية لكل من آمن بالله الذي بارك حول المسجد الأقصى نشيداً يرفعه الأبناء جيلاً بعد جيل حتى يوم التحرير.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

الإسلام طريق الإنتصار*

د. سامي أمين العريان**

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله

أيها الأخوة والأخوات

أيها الساعون إلى الله وإلى الخير... أيها المبتغون الحق والفقه وتحمل المسئولية

أيها الراغبون في تجديد أمر هذا الدين وإحياء هذه الأمة..

أيها المؤمنون بالله وبالجهاد في سبيله..

يا من تحملتم العناء وركبتم الصعب لكي نجتمع في الله ولأجل الله ولكي نلتقي في الله ونبلغ الشهادة ونشهد على الناس.. ولكي نتزود على الطريق.. طريق الشهادة وطريق السعادة.. طريق الطمأنينة ودرب الأمان..طريق العزة والكرامة والعلو والانتصار..

مرحبا بكم في مؤتمركم هذا وحيا الله مقدمكم الكريم، وحللتم أهلا ونزلتم سهلا.

باسم الله وعلى بركة الله وعلى منهج الله نفتتح هذا المؤتمر **(الاسلام طريق الانتصار)**.

أيها الإخوة والأخوات..

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى هذه الأمة فضل أن تكون خير أمة أخرجت للناس فقال جل شأنه(**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** وهذه الخيرية لا توصف بها هذه الأمة إلا إذا تحلت بالشروط الثلاث، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد الايمان بالله. وهل هناك أمر بالمعروف أكبر من إقامة دولة الاسلام وإقامة دين الله في الأرض وتحرير أرض الاسلام. وهل هناك نهي عن المنكر أكبر من الوقوف أمام أعداء الله ومن والاهم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وفي أرض النبوة. ولذا كان الإسلام أولى كلمات عنوان هذا المؤتمر، فهو الأصل والمنهج، وهو العقيدة والفكر، وهو الماضي والمستقبل. .ذلك الإسلام العزيز لا الإسلام المشوه. .ذلك الإسلام الذي علمنا أن ما من مبدأ من المبادىء التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل يمكن أن يكافح المظالم بأنواعها كفاحا كما يكافحها

---

* ألقيت هذه الكلمة يوم الجمعة ١٩٩٠/١٢/٢٨

** من فلسطين ومن مواليد ١٩٥٨، يعمل حالياً أستاذ في جامعة جنوب فلوريدا في قسم هندسة الكمبيوتر وهو رئيس لجنة فلسطين الإسلامية.

الاسلام أويمكن أن يقف بجانب المظلومين جميعا كما يقف الإسلام، أو يمكن أن يصرخ في وجوه الطغاة والمتجبرين كما يصرخ الإسلام، أو يقاوم التبعية والهيمنة الغربية والصهيونية كما يقاومها الإسلام. والذين يفهمون غير هذا هم مخطئون كل الخطأ أو مغرضون كل الغرض أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة.

والذين يفهمون أنهم مسلمون ثم لا يكافحون المظالم بأنواعها كفاحا ولا يدافعون عن المظلومين كلهم دفاعا ولا يصرخون في وجه الطغاة والمتجبرين صراخاً، ولا يجاهدون ضد الهيمنة الغربية والعلو الاسرائيلي جهاداً.. الذين يفهمون غير هذا هم مخطئون كل الخطأ أو منافقون كل النفاق أو جاهلون بالاسلام كل الجهالةكما قال شهيد الاسلام سيد قطب.

واذا رأيت المظالم تقع، واذا سمعت المظلومين يصرخون ثم لم تجد الأمة الإسلامية حاضرة لدفع الظلم وتحطيم المظالم فلك ان تشك مباشرة في وجود المسلمين، فما يمكن ان تحمل القلوب الاسلام عقيدة ثم ترضى بالظلم نظاماً او بالقهر شريعة. انه إسلام او لا اسلام، اسلام فهو كفاح لا يهدأ وجهاد لا ينقطع واستشهاد في سبيل الله والحق والعدل والسلام الكوني.. او لا اسلام فهو اذن همهمة بالأدعية وطقطقة بالمسابح وتمتمة بالتعاويذ ودروشة واتكال على ان تمطر السماء على الأرض صلاحا وخيراً وحرية وعدلا.. وما كان الله لينصر قوماً حتى ينصروا أنفسهم وما كان الله بمغير قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..

أيها الإخوة والأخوات..

لقد ابتليت الأمة الاسلامية في مطلع هذا القرن بفقدانها لوحدتها السياسية، ولقد توج هذا الأمر بانتزاع الأرض المقدسة والأرض المباركة وغرس سكين بني صهيون في قلب الأمة الاسلامية. وأضحت الدولة القومية المسخ عنوانا لأمتنا واصبحت التجزئة والتغريب والهيمنة والتبعية للغرب واقعاً مأساويا تجترعه الأمة يوما بعد يوم، وأضحت البقعة الجغرافية لا العقيدة، ومكان الولادة لا الإيمان، والعصبية القومية لا الأخوة، والآبار النفطية لا الإخلاص هي التي تحدد انتماء الانسان في بلادنا. وهكذا اصحبت الأمة مقسمة إلى أكثر من ٤٥ جزءا ولكل منها سيادة وحكومة وعلم وسفارة ونشيد وطني. وبعد ان كانت الأمة مصدر نور وهداية اصبحنا في ذيل الأمم نعتمد عليهم في كل شيء من لقمة العيش إلى الدفاع عن مقدساتنا كما تجرأ بعض حكامنا.

أيها الأخوة والأخوات..

إن حالة الأمة اليوم من ضعف وفرقة وتجزئة وطغيان سياسي وتبعية اقتصادية وتخلف فكري واستلاب حضاري واحتلال عسكري لا مخرج منه الا بالعودة للإسلام، طريق العزة والكرامة والفلاح، فليس هناك أمامنا إلا خيارين، فإما طريق الذين كفروا وظلموا والذي يقول الله سبحانه وتعالى فيهم **(إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً)**.. طريق اتباع موالاة اعداء الله، والذي يقول الله فيهم **(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب)** أي تستمعوا لهم وتصدقونهم **(يردوكم بعد ايمانكم كافرين، وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم)**. وإما طريق الحق **(كتابا انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم)** طريق الهداية والحلف مع الله.

أيها الإخوة والأخوات..

الاسلام طريق الانتصار: عنوان لنهضتنا وحضارتنا

الاسلام طريق الانتصار: عنوان لتقدمنا وعزنا

الاسلام طريق الانتصار: مصدر ثقتنا بالله وبأنفسنا

فالطريق إلى الله لا يكون الا بالاسلام

والطريق الى فلسطين لا يكون الا بالاسلام

والطريق الى الوحدة والتقدم والاستقلال والحرية لا يكون الا بالاسلام

والاسلام طريق الانتصار والشهود والظهور كما وعدنا الله سبحانه وتعالى **(لتكونوا شهداء على الناس)** **(وليظهره على الدين كله)**.

وانتصار هذه الأمة يعني حصولها على استقلالها وحريتها، يعني تقدمها ونهضتها ووحدتها، يعني تحرير مقدساتها وارضها، يعني اشاعةالحرية والعدل والشورى والأمن بين مواطنيها، يعني عودة الحكم الراشد في بلادنا.

أيها الإخوة والأخوات..

نجتمع اليوم لنقف اكبارا واجلالا بعد مرور اكثر من ثلاثة اعوام على جهاد شعب فلسطين في انتفاضته المباركة، جهاد اطفال فلسطين الأبطال الذين يُدينون بكل نداء يصيحونه وبكل حجر يرمونه وبكل جرح ينزفونه وبكل شهيد يقدمونه دبابات وطائرات واذاعات الأنظمة العربية دبابة دبابة وطائرة طائرة واذاعة اذاعة.

نجتمع اليوم لنقف اكبارا واجلالا امام صيحات الامهات الثكالى والأيتام وهم رافعين ايديهم امام المخرز الاسرائيلي شاكين الى الله ظلم الاعداء وسلبية الاشقاء..

نجتمع اليوم لنقف اكبارا واجلالا لمسيرة الشهداء التي تزيد ولا تنقص ونهر الدم الذي يفور ولا ينضب، من مجزرة إلى مجزرة ومن استشهاد إلى استشهاد ومن جهاد الى جهاد ومن عطاء الى عطاء ومن رباط الى رباط، وهم يقيمون الشهادة علينا جميعاً أن فلسطين اسلامية عربية رغم كيد الكائدين ومكر الماكرين وحقد الحاقدين واعتراف المعترفين. وهذا وعد رسول الله (ص) يتحقق *(ان اهل الشام وازواجهم وذراريهم وعبيدهم وامائهم الى منتهى الجزيرة مرابطون فمن نزل في مدينة او قرية فهو من رباط او ثغر من الثغور فهو في جهاد)* هذا معنى الانتصار وهذه حلاوة الاسلام وطعم الايمان. انه البذل؛ انه العطاء؛ انه التضحية؛ انه الرباط؛ انه الجهاد؛ انه الانتصار؛ انها الجنة.

أيها الإخوة والأخوات..

أيها المسلمون، أيها المقهورون في بلاد الاسلام..

أيها المستضعفون في فلسطين ولبنان، في أفغانستان ومصر، في العراق والشام، في الحجاز وفي الخليج، في السودان وافريقيا، في تونس وفي ليبيا، في الجزائر وفي المغرب، في اليمن وفي ايران، في ماليزيا وفي تركيا، في اندونيسيا وفي باكستان، في كشمير وفي كردستان، في اريتريا واذربيجان وفي كل ناحية من انحاء العالم الاسلامي...

في هذه المرحلة وفي هذا الوقت الحرج،في وقت الحصار وفي خضم القهر والمعاناة وفي وسط الذل والاحباط يتربص العدو بنا الدوائر.. يستبيح حرماتنا ومقدساتنا.. يمتلك قرارنا وثرواتنا وخبزنا وسلاحنا ويريد ان يرهن مستقبلنا ومستقبل اولادنا.

علينا ان ننظر الى هؤلاء الشياطين والدجالين الكبار وحلفائهم الصغار.. انهم هم الذين يحاصروننا..انهم هم الذين يغتالون أطفالنا، هم الذين يستبيحون في كل مكان وفي كل لحظة دم اخوتنا ونسائنا .. انظروا اليهم.. انهم هم الذين يخرّبون مجتمعاتنا واقتصادنا، هم الذين يمنعون نهضتنا ورفعتنا، هم الذين يسرقون اوطاننا وثرواتنا ونفطنا..

يصوبّون بنادقهم تجاه صدورنا ويقولون لنا ارضوا بالسلام. انظروا الى قنابلهم وهي تتساقط فوق رؤوس اخوانكم واخواتكم في المسجد الاقصى ومخيمات وقرى فلسطين ويتشدقون بحقوق الانسان.

لنتذكر قنابلهم التي تساقطت على رؤوس اخواننا واخواتنا في مخيمات لبنان وقرى افغانستان، وصواريخهم وهي تهدم البنايات والأزقة والمساجد والبيع والمقابر وهم يصفوننا بالارهاب.. لنتذكر طائراتهم وهي تحلق من فوق سمائنا لتصيبنا باللهب وبالنار بنفطها وبنزينها العربي. لنتذكر أساطيلهم وهي تتجول في بحارنا وتمد لنا ألسنتها بدعوة من حلفائهم وأوليائهم من بني جلدتنا.. لنتذكر جيدا التدني الذي وصلنا اليه لندعو الصليب ليدافع عن الحرمين، ولنعي جيدا الحلف غير المقدس بين الصليبية والصهيونية والدول القومية والعشائرية.

لندرك جيدا حقيقة الغرب وحلفائه وهو يدفع بالرفاهية والرخاء إلى بطون أبنائه فيما ابناؤنا يسرقون ويجوعون ويقتلون.. لنبصر ملامحهم جيدا وهم يتكلمون عن حقوقهم لاحقوقنا، عن أمنهم لا أمننا، عن رفاهيتهم لا رفاهيتنا، عن دينهم لا ديننا، عن سلامهم لا سلامنا، عن مستقبلهم لا مستقبلنا.

لننظر جيدا إلى أوليائهم من أدعياء هذه الأمة وهم يدعوننا إلى سلامهم ويقدمون الاعترافات والبصمات والمبادرات ليزيدوا من مأساة الشعب ويحبطوا من جهاد المجاهدين وألم المقهورين. ولكن الجماهير رفعت راية الاسلام من خلال جهادها وانتفاضتها، ومن خلال تفاعلها مع الاسلام في الأرض المقدسة في بيت المقدس واكناف بيت المقدس، وفي العواصم الاسلامية جمعاء لقد اكدت هذه الانتفاضة ان فلسطين هي المفصل بين الهزيمة والانتصار، بين التبعية والاستقلال، بين الاحتلال والحرية. وكلما اقتربنا من الاسلام اقتربنا من فلسطين وكلما واجهنا المشروع الغربي في فلسطين كلما اقتربنا من الانتصار.

أيها الإخوة والأخوات..

إن لجنة فلسطين الاسلامية وهي تعقد مؤتمرها الثالث رافعة هذا الشعار العظيم "الاسلام طريق الانتصار"، تدرك ان التحديات جمة والطريق صعب، مليء بالأشواك ولكنها تدرك ايضا ان لا رجعة عن المضي فيه والسير على دربه.

إن أنشطة لجنة فلسطين الاسلامية أيها الإخوة والأخوات انما هي تجسيد لفكرة ان فلسطين قضية مركزية في كل مشروع عملي او استراتيجية جادة في سبيل تحرير الأمة واستعادة وحدتها وتحقيق نهضتها المتميزة لتكون هذه الأمة نورا وهداية للبشرية، رغم كل التحديات وآلام المخاض العصيبة. ولقد كشفت أزمة الخليج الاخيرة هشاشة الوضع الاقليمي العربي وسقوط النظرية الأمنية العربية وتبعية الانظمة للغرب وبعدها عن روح الاسلام ونبض الشعوب رغم البلايين من الدولارات التي صرفت على الأمن والجيش واجهزة المخابرات.

كما كشفت حقيقة الغرب ونفاقه ونواياه تجاه أمتنا وثرواتنا وقضايانا الاستراتيجية، وأوضح مثل على ذلك هو موقفه من غزو العراق للكويت والغزوات الوحشية المتتالية والمستمرة من العدو الصهيوني ضد شعبنا في فلسطين.

أيها الإخوة والأخوات..

ان هذا المؤتمر المبارك إن شاء الله ما هو إلا حلقة من حلقات استجابة الأمة الاسلامية للتحديات الداخلية والخارجية والهجمات المستهدفة لهذه الأمة. ولذا يأتي اجتماعنا اليوم في أدق ظروف تمر بها أمتنا في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس كما في أكناف البيت الحرام وأرض النبوة.

نريد بهذا اللقاء أن نحرر انفسنا من عبودية الدنيا وصنمية الاحباط وقسوة الواقع وضراوة الكسل ووحشية

التشاؤب. نريد ان ننطلق نحو الله سبحانه وتعالى نرجو ثوابه ونخشى عقابه. نريد أن نشغل عقولنا وقلوبنا ولا نكن كأصحاب العقول المستريحة الذين يظنون أنهم يملكون جميع الاجابات على كل الاسئلة فيسقطون وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

نريد أن نلتقي لنتدارس ونتشاور ونفكر سويا ونفضي بهمومنا إلى بعضنا البعض، نلتقي لنبحث عن إجابات لأسئلتنا الحائرة ولنعيد اكتشاف ذاتنا ونتلمس الطريق لنهضة الأمة ولمشروعها الحضاري الكبير.

ومن هنا يأتي هذا المؤتمر كوسيلة لتحقيق هذه الأهداف من تكريس فلسطين قضية مركزية للحركة الاسلامية العالمية ولجعلها شعارا واستراتيجية ومحورا لمسيرة الأمة نحو الوحدة والتحرر والانتصار، ووسيلة لبناء وتعميق الوعي الاسلامي لدى الأمة بأبعاد قضية فلسطين وعلاقتها المصيرية بالمشروع الحضاري الكبير للأمة، ووسيلة لتنوير وتوعية الرأي العام بعدالة القضية وانسانيتها.

ووسيلة ايضا لدعم صمود الشعب في ارض الرباط ومحاولة تقديم العون الروحي والمعنوي والمادي إن أمكن لهذا الشعب المجاهد العظيم ولكافة الشعوب المستضعفة في هذا الكون. ولقد أقيم لنا مؤتمران من قبل ويتواصل هذا العام هذا المؤتمر ليكمل الحديث عن الأزمة التي تتعرض لها الأمة اليوم من قبل الصليبية الجديدة.

أيها الإخوة والأخوات..

جئنا لنتعلم مصداقا لقول الرسول الكريم(ص) :*"من سلك طريقا يلتمس منه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"*. وقوله *(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)*. وجئنا ايضاً لنذكر الله وقد رُوى عن رسول الله (ص) أنه قال *(لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)*. وجئنا ايضا لنتواصى فيما بيننا لقول الله سبحانه وتعالى عن الذين آمنوا ((**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**)). وجئنا ايضا لنتفاكر بحرية كاملة بلا قيود ولا سلاسل لتدُحض الحجة بالحجة والدليل بالدليل والكلمة بالكلمة والموقف بالموقف.

وان لجنة فلسطين الاسلامية وإدارة المؤتمر كما عودتكم دائما تحث وتشجع الحضور على الإستماع والمناقشة بأدب الاسلام وروح الاسلام، وتحث وتشجع الحوار الهادىء الناصح الملتزم، كما أنها تدعو الحضور للمشاركة في البرنامج بجدية وعزيمة وحرية وبالتالي فليس بالضرورة أن كل ما يعبر عنه في هذا المؤتمر هو موقف اللجنة حيث أن الغرض من هذا المؤتمر ايضاً إتاحة الفرصة لكل وجهات النظر لكي يعبر عنهابحرية كاملة.

وجئنا أيضا لنحدث أنفسنا عن الجهاد في سبيل الله فمن لم يجاهد ولم يحدث نفسه بجهاد فقد مات ميتة جاهلية.

((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين))

((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز))

((انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد))

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإنتفاضة والطريق إلى بيت المقدس*

الشيخ محرم العارفي**

الحمدلله رب العالمين، هو ناصر المظلومين وماحق المعتدين وهو على كل شيء قدير والصلاة والسلام على أمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين وعلى اله وصحبه والتابعين وتابعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يقول عز من قائل في محكم كتابه

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)

ويقول قائد المسيرة الإسلامية الجهادية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم)

ويقول الشاعر المسلم

تجري الشموس على أصابع قاذفِ
المقلاع تعطينا الهوية
وعلى جبين مخيمات المجد
نكتب قادسية
وإذا تهدم منزلي
تحت الجدار أرى الوصية
لا تتركوا علم الجهاد
فتلكم أغلى قضية
ما زال في صدري بقايا أخوية
أين الصواريخ وأين القاذفات العربية
أنا لا أريد مسيرة
إنى أريد البندقية

---

*ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة ١٩٩٠/١٢/٢٨.

** من مواليد ١٩٤٧ في لبنان، رمز المقاومة الاسلامية، إمام مسجد في صيدا، وعضو تجمع العلماء المسلمين، سجن في سجون الاحتلال الإسرائيلي واعتصم في المخيمات الفلسطينية ايام فتنة حرب المخيمات.

حقيقة المؤامرة وأبعادها

إن المؤامرة على بيت المقدس في حقيقتها وأبعادها ليست مؤامرة على قطعة أرض وحدود فقط وإنما هي مؤامرة على الوجود الإسلامي كله على عقيدته وشريعته وحضارته وتاريخه وحاضره ومستقبله وإنسانه وأرضه.

ولذلك قال تعالى وهو يكشف لنا عن حقيقة المعركة وأبعادها الخطيرة

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً)

وأما مناحيم بيغن فهو الذي قال يجب أن تكون مهمتنا سحق الحضارة الإسلامية وإقامة الحضارة اليهودية محلها.

قال ونستون تشرشل إن إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، وإن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود وإن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاث قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين في أيه مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود.

في عام ١٩٦٧ خرج أعوان الصهاينة في باريس يحملون لافتات سار تحتها جان بول سارتر كتبت عليها وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة.((قاتلوا المسلمين)) فتبرع الصليبيون يومها بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط كما طلبت إسرائيل بطاقات معايدات كتبت عليها هزيمة الهلال بيعت بالملايين لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الحروب الصليبية الأوروبية الهادفة إلى تدمير الإسلام والمسلمين.

قال لويس التاسع ملك فرنسا والذي أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة في وثيقة محفوظة في دار الوثائق في باريس:

إنه لا يمكن الإنتصار على المسلمين من خلال الحرب وإنما يمكن الإنتصار عليهم من خلال السياسة بإتباع ما يلي:-

١) إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً على إضعاف المسلمين.

٢) عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم فيها حكم صالح.

٣) إفساد أنظمة الحكم في البلاد الاسلامية والعربية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

٤) الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يضحي في سبيل مبادئه.

٥) الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة لئلا تؤدي إلى قيام وحدة إسلامية فيما بعد.

٦) العمل علي قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوباً وأنطاكية شمالا ثم تتجه شرقاً وتمتد حتى تصل إلى المغرب.

أيها الإخوة الأعزاء

من هنا ندرك حقيقة المعركة بيننا وبين اليهود وأسيادهم وندرك خطورة السياسة المنبطحة الرامية إلى تثبيت المشروع اليهودي الصليبي الإستعماري في هذه المنطقة مع حمايته من هجمات المجاهدين ومقاومة المنتفضين تحت شعارات ظاهرها فيه السلام والأمان وباطنها فيه الذل والعذاب الأليم وفي نفس الوقت ندرك عظمة أهلنا في فلسطين المقدسة.

ففي الوقت الذي ركع فيه القادة والساسة أمام الهجمات المعادية وغرقوا في مستنقعات اللعبة الدولية وأعلنوا تخليهم عن كل ما يزعج اللعبة واللاعبين والحكام. في هذا الوقت وتحت الإنبطاح والإنحدار والسقوط وإذ بأطفالنا وإخواننا وأخواتنا وأمهاتنا واباتنا يلتقطون الحجارة المباركة من الأرض المقدسة ليرجموا بها اليهود والمتهودين وأسياد هؤلاء وهؤلاء من أرضنا الحبيبة وهم يهتفون من أعماق قلوبهم:

مافي خوف مافي خوف الحجر صار كلاشينكوف

ما بننذل مابننذل بغير المصحف ما في حل

كلنا صلاح الدين ولا يهمك يا فلسطين

لماذا الإنتفاضة؟

لماذا الإنتفاضة في وجه بني إسرائيل؟ لماذا رشقهم بالحجارة وقلع أعينهم بالمقاليع وقتلهم بالسكاكين ورشهم بالزيت المغلي وإلقاء القنابل المصنعة محلياً على دباباتهم ومصفحاتهم وسياراتهم؟ لماذا إحراق الأحراج والبساتين؟.

لماذا كل هذا الإرهاب وكل هذا التخريب وكل هذا الجنون وكل هذا الشغب؟ لماذا إشعال المنطقة بالحروب المدمرة والإخلال بالأمن والنظام؟

هذا هو منطق اليهود وأسيادهم والعملاء.

ولماذا يتكلم هؤلاء بهذا المنطق المنحرف والأسلوب المعوج والطريق التي تجعل من المظلوم ظالماً ومن المشرد معتد أثيم؟

إن هؤلاء يتكلمون بهذا المنطق لأن الموازين عندهم قد اضطربت والمقاييس قد إختلت والمناظير تزودهم بصور مقلوبة، ولذلك فهم لا يتحركون من خلال الحق والعدل وحقوق الإنسان وحريته وكرامته وإنما سياستهم مستمدة من القول القائل

قتل إمرىء في غابة جريمة لا تغتفر   وسحق شعب كامل مسألة فيها نظر

أيها الإخوة الأعزاء

١) إن اليهود هم قتلة الأنبياء والمعتدون على رسالات السماء والحائدون عن الصراط المستقيم والناقضون لعهودهم مع الله وخيار البشر وهم الذين قال الله فيهم **(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة)**

٢) أن اليهود هم الذين تآمروا على نبي الأمة وقائد المسيرة الإسلامية سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحبه المختارين وما قصة يهود بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة وخيبر والشاه المسمومة وغيرها من قصص التآمر عن صفحات التاريخ بغريبة وما زالوا حتى يومنا هذا سائرين على هذا النهج التآمري وصدق الله إذ يقول فيهم **(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا)** ولذلك عندما دخلت قوات العدو إلى القدس الشريف عام ١٩٦٧، تجمهر الجنود حول حائط المبكى وأخذوا يهتفون على موشي دايان

يوم بيوم خيبر يا لثارات خيبر   حطوا المشمش عالتفاح دين محمد ولى وراح.

وأما بن غوريون فهو الذي قال: إن أخشى ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد

وأما شمعون بيريز فهو الذي قال: إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه وإلى الأبد.

وأما أبا إيبان فهو الذي قال:إن التيار الإسلامي في المنطقة يقلب الموازين الإسرائيلية رأسا على عقب وعلينا أن نفكر بسرعة وجدية في الروح الثورية التي يتصف بها الإسلام، فإذا كان الدين في الغرب لا يشكل قوة مؤثرة في الحياة السياسية فعلى الغرب أن يدرك مدى قوة الإسلام وإذا تمسك المسلمون بدينهم وأتيحت لهم القيادة الملهمة فإن خطر الإنبعاث الإسلامي هو الخطر الذي كنا نحذر منه على الدوام.

٣) إن اليهود بتخطيط من الصهيونية العالمية وبدعم كبير من الدول الطاغوتية هم الذين إعتدوا علينا، وتدفق اليهود من فرنسا وأميركا وبريطانيا وروسيا وسائر دول العالم فإحتلوا أرضنا ودنسوا قدسنا وقتلوا وجرحوا وسجنوا وشردوا أهلنا وسلبوا خيراتنا وما زالوا حتى هذه اللحظة يمارسون إعتداءاتهم البشعة الآثمة وما تكسير عظام أطفالنا بالصخور عنكم خافية.

٤) إن إستمرار الكيان اليهودي فوق أرضناكان وما يزال بدعم عسكري وسياسي وإعلامي وإقتصادي أوروبي وأمريكي ظاهر بين لتحقيق أهداف إستعمارية خبيثة يمقتها كل إنسان حر كريم منصف، وهي:

أ) إبقاء السيطرة الإستعمارية على هذه المنطقة من العالم لإمتصاص خيراتها ونهب ثرواتها وجعلها بقرة حلوباً يحلبون ما فيها وسوقاً إستهلاكية تستهلك البضائع والمنتوجات الأوروبية والأمريكية.

ب) تكريس حالة التفرقة التي أصيب بها العالم العربي الإسلامي والحؤول دون تضامنه ووحدته.

ج) إحداث تفجيرات مستمرة ليبقى هذا العالم بؤرة ساخنة مشتعلة صالحاً كحقل تجارب لمختلف الاسلحة الحديثة

د) إرغامة على التبعيه الكاملة ثقافيا وسياسياً وصناعياً وعسكرياً خوفاً من الإنبعاث الإسلامي الذي تخشاه أوروبا وتحسب له الف حساب.

يقول يوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس جونسون لشؤن الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ :يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول اوشعوب بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

وإن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي فلسفته وعقيدته ونظامه وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب الغرب والدولة الصهيونية لإنها إن فعُلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها.

من هنا ندرك لماذا الإنتفاضة ولماذا المقاومة ولماذا الجهاد؟

إننا نقول وبكل موضوعية لكل المحافل والحكومات والقيادات والوسائل الإعلامية والمخابراتية التي تتحرك في هذا المجال الظالم ومن خلال هذا الخط الملتوي لماذا لا توجهوا هذه الإسئلة إلى المعتدين علينا والظالمين لشعبنا والناهبين

لخيراتنا. إننا نقول لهؤلاء عندما إنطلقت دول الحلفاء في فترة من فترات التاريخ لتقاوم ألمانيا النازية وأشعل الحلفاء يومها حروباً ضروساً قتلوا فيها وجرحوا وأسروا وشردوا فيها الآف من الألمان ودمرت مدن بكاملها هل إعتبرتم ذلك إرهاباً أم أنكم سميتموه بالدفاع المشروع ضد المعتدين عليكم.

الإنتفاضة ضرورة لابد منها، ذلك لأن الواقع الغابر والحاضر قد أثبت وبكل وضوح بأن المعتدين والمجرمين لا يفهمون لغة الإبتسامات الجذابة والمصافحات الحارة والمعانقات الناعمة والعبارات المنمقة والمحادثات الباردة والقرارات الصادرة عن المحافل الإقليمية والدولية الإنسانية والقانونية والسياسية ولو كانوا يفهمون هذه اللغة لما كنا بحاجة إلى الحروب التي أضرمت وكانت سبباً في دمار البلاد والعباد، وإهلاك الحرث والنسل. ومن هنا فلابد من إستعمال اللغة التي يفهمها هؤلاء الا وهي لغة: العين بالعين والسن بالسن والبادىء أظلم ،لغة ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، لغة الله أكبر تتبعها طعنات بالسكين تحول العدو الى جثة هامدة

لغة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين).

نهوضاً يا بني قومي نهوضاً ... فقد عادت إلى الدنيا اليهودُ
وأنتم خير من يسعى لمجد ... فأحيوا مجد أمتنا وشيدوُ
عليكم حمل رايتنا فكونوا ... ذوي بأس كما كان الجدودُ
ومن يصبر على ضيم الليالي ... بلا عمل فذاك هو البليدُ
خذوا بالعزم فالدنيا صراع ... يفوز به القوي ولا أزيد

ماذا تعني الإنتفاضة؟

إن الإنتفاضة المباركة تعني أشياء كثيرة وهامة وموضوعية في تاريخ صراعنا مع المعتدين مع بني إسرائيل وأسيادهم والعملاء في هذه المنطقة.

١) الإنتفاضة تعني أولاً بأن مصير الشعوب العاشقة للحرية لا يتقرر في مجلس الأمن ولا في المؤتمر الدولي ولا في القمم المتخاذلة وإنما يتقرر على أرض الواقع من خلال الجهد والعرق والدعاء الذي يقدمه المجاهدون لله ومن أجله وفي سبيله.

٢) الإنتفاضة تعني بأن الشعب إذا أراد الحياة العزيزة الكريمة قادر على مواجهة الجيوش الجرارة والقرارات القمعية والأسلحة الفتاكة وتكبيدها الخسائر الفادحة وإجبار الدول الطاغية على إعادة خلط الأوراق ودراسة القضية من جديد.

٣) الإنتفاضة تعني بأن أطفالنا وإخواننا وأخواتنا الذين تربوا في ظل حكم بني إسرائيل وتحت قبضة اليهود، إن هؤلاء وبتوفيق من الله لم يتهودوا ولم يركعوا للصهاينة، وإنما ما زال المسجد الأقصى ومسجد عمر المختار ومسجد صلاح الدين ومسجد عز الدين القسام وغيرها من المساجد العامرة يربون لنا الأجيال المجاهدة الأجيال التي تجتمع في هذه البيوت ثم تنطلق منها مهللة مكبرة هادرة مدوية.

خيبر خيبر يا يهود ... جيش محمد سوف يعود
كلنا صلاح الدين ... ولا يهمك يا فلسطين

٤) الإنتفاضة تعني بأن جيلاً جديداً قد ظهر فجأة على مسرح المواجهة جيلاً جديداً خطف كل الأضواء وجذب كل

الأقلام وحول كل الكاميرات ووسائل الإعلام نحوه وأحدث إرباكاً مخيفاً في الساحة اليهودية والإقليمية والدولية.

جيلاً قوياً في عقيدته تقياً في فكره طاهراً في قلبه واضحاً في منطلقاته واعياً لأهدافه صلباً في إرادته خبيراً بأعدائه. جيلاً لا يتعامل مع المعتدين اليهود كما تعامل ويتعامل العديد من الساسة والقادة والمحافل والأنظمة والحركات والمنظمات بالطريقة الرخوة التي لا تطهر أرضاً ولا تحرر شعباً ولا ترى حقاً وإنما يتعامل مع هؤلاء المعتدين بالطريقة التي علمها الله لعشاق الحر ية والعزة والكرامة عندما قال:

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قوم مؤمنين)

٥) الإنتفاضة تعني بأن الحجر هذا السلاح، الخفيف الخفيف الذي يرشقه طفلنا الصغير الصغير بيده النحيلة النحيلة إن هذا السلاح أشد على الأعداء من أطنان الطائرات والدبابات والراجمات والمدافع والمصفحات والقنابل والمجنزرات وسائر الأسلحة الفتاكة المكدسة في مستودعات الأنظمة المتخاذلة.

ولذلك فإن شولتز في جولة من جولاته التآمرية نصح زعماء بني إسرائيل بفتح حوار مع الإنتفاضة قائلاً لهم:

إن الضفة والقطاع قنبلة موقوته معدة للإنفجار وإنفجارها يهدد الكيان الإسرائيلي بالخطر.

يا للعجب كل الإسلحة المخزونة في مستودعات الأنظمة وكل الجيوش المدربة في ثكنات دولنا لا خطر منها ولا خوف من وجودها على الكيان الصهيوني والخطر كل الخطر والخوف كل الخوف والحذر كل الحذر من هذه الأحجار الصغيرة الصغيرة.

ولكن العجب يزول والغرابة تتبدد عندما نعلم ومن خلال المعاهدات والمواثيق بأن هذه الأسلحة لم تقتنَ لمحاربة اليهود وإنما اقتنت لمحاربة المجاهدين في سبيل الله وتثبيت الوجود اليهودي في المنطقة وحماية المشروع الإستعماري وإنما الحجارة الصغيرة الصغيرة مرعبة مرعبة مخيفة مخيفة لأنها تنطلق باسم الله ومن يد مطهرة بماء الوضوء مسدداً بصيحات الله اكبر وصدق الله اذ يقول

(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاءاً حسناً إن الله سميع عليم)

٦) الإنتفاضة تعني أن الإقتصاد على رجم شياطين الجن لوحدهم لا يكفي بل لابد من رجم شياطين الإنس الذين أجرموا بحق البلاد والعباد حتى تتحرر البشرية من ربقة الشياطين كلها.

وما أورع كلمات الشاعر المسلم حيث يقول:

إضرب تحجرت القلوب وما له إلا الحجر
يا أيها المرتد والسمسار والمحتال
إضرب نحن كفّيك ينهمر المطر
مد عدوكم سفر
ولى زمان الخوف أثمر
أنا الذي أحبه الحجر
أثم في مساجدنا الشر
وإخوتي في قذفوني

من صخرة المعراج تنطلق الأوامر والعبر
وما تركوا أثر
في المسجد الأقصى وفي العمري
هذي طريق القدس
قد نطق الحجر
من عظمي نحر
شاهدت وجوه بني النضير
تدافعوا نحو الحفر
شاهدت وجوه الإنتهازيين
عباد البشر
إضرب لغزة وحدها بزغ القمر
إضرب لنابلس الآغاني والدرر
إضرب فلا استسلام بعد اليوم
لا لا مؤتمر
هذي طريق القدس من عظمي نحر

ما هي المؤامرات التي حيكت للقضاء على القضية المقدسة ولماذا التحرك السريع والكبير لمحاصرة الإنتفاضة؟

١) إن المؤامر ة الأولى التي حيكت على هذه القضية المقدسة من أجل إضعافها وتمييعها تمهيداً للتخلص منها وتمكين اليهود فيها إرضاءً أو خوفاً من المستعمر الغالب هي تجريد هذه القضية من ثوبها الإسلامي بحجة أن الإسلام يخيف العالم ويرعبه وإن أسلمة القضية سيؤلب الشرق والغرب علينا ولن نتمكن من مواجهة هذه القوى مجتمعة ولذلك فإن الحكمة السياسية والحنكة الدبلوماسية والخدعة الحربية أن تكون قومية المعركة ونخفي إسلاميتها حتى تخفف من غضبة العالم و سخطه.

وهكذا تحولت المعركة من معركة إسلامية إلى معركة قومية ونحن لسنا ضد أن ينجح العرب ويتوحدوا لخوض معركة المصير ولكن القضية لم تكن كذلك وإنما كانت في حقيقتها وأبعادها وفي خطة المخططين لها خطوة تآمرية تتبعها خطوات أخرى على طريق تصفية القضية.

ولذلك فإن الأنظمة العربية لم تستعد لخوض معركة حاسمة على اليهود كما أعلنت وإنما تلهث بما تلهث به وملئت الدنيا تحريراً وعزة وكرامة ونصراً ولكن من خلال الإستعراضات ووسائل الإعلام والمعارك الفاشلة إلى أن جاء موعد الخطوة التآمرية الثانية فجردوا القضية من ثوبها القومي وخلعوا ثوباً جميلاً براقاً الا وهو القرار الفلسطيني المستقل.

وهل من المعقول أن تتحرك القيادة الفلسطينية تحركا مستقلاً والأنظمة العربية مقيدة بقيود السياسات التي تملي عليها ولكنها مزحة كبيرة داعب بها بعض العرب عدداً من قواد الثورة ليمزقوا هذا الشعب كل ممزق، وليحبسوه داخل سجون كبيرة واسعة سميت بالمخيمات او المعسكرات وليشردون في أنحاء العالم وأرجاءه. ثم دفعوا بالقيادة الفلسطينية

في وادي التنازلات السحيق حتى أوصلته إلى الإعتراف بالقرارات الظالمة والقبول بالوجود الصهيوني فوق أرضنا المقدسة والإفتخار بقيادة كامب ديفيد لمسيرتهم المباركة. ولكن شامير وجد لهم صفقات متتالية إلى أن قال لهم أخيراً أيها اليهود والمسيحيون اطمئنوا فلن نسمح بقيام دولة إلى جانب دولة إسرائيل فوق أرض إسرائيل الكبرى.

ما هي الانتصارات الأولية التي حققتها الإنتفاضة؟

١) إبراز الدور الحقيقي لبيوت الله وعلماء المسلمين وشباب الإسلام بعد ما حاول الأعداء والأنظمة المرتهنة تحذيرها وتحجيم دورها والإنحراف بها عن الخط الإسلامي الجهادي الذي رسمه الله لها.

٢) إزاحة الستار عن الصورة الحقيقية المشرقة لشعبنا الفلسطيني المسلم بعدما زيفها المزيفون وشوهها المشوهون من خلال المؤامرات التي حيكت على هذا الشعب وهويته وأصالته.

٣) فضح المؤامرات التي تمخضت عنها العديد من القمم العربية والإسلامية وتعرية كل المتاجرين بهذه القضية المقدسة.

٤) تجسيد قوة إيمان المؤمن والإرادة الصلبة للإنسان المسلم في ساحة المواجهة غير المتكافئة من الناحية المادية فرغم كثافة عدد الجنود ووحشيتهم في التعامل مع الانتفاضة من القذف بالقنابل الغازية والمسيلة للدموع إلى إطلاق الرصاص الحي القاتل والمطاطي إلى طائرات الهيلوكبتر التي تطارد المجاهدين بشدة وقسوة بالهروات والصخور حتى تكسير العظام إلى إحراق بعض العائلات ودفن آخرين وهم على قيد الحياة إلى الإعتداء على الأعراض وقتل الأجنة.

رغم ذلك كله فإن الإنتفاضة تتصاعد وتشتد وتربك كل المتآمرين عليها وفي طليعتهم قيادة العدو حتى قال أحدهم إن معجزة لن تتمكن من إيقاف الإنتفاضة.

٥) شل جهاز العملاء الخونه، هذا الجهاز الذي كان يتحرك لخدمة العدو ضد شعبه فمنهم من قتل ومنهم من فر ومنهم من تاب إلى الله وتحول إلى مجاهد مع شعبه المظلوم.

٦) إدخال الرعب إلى نفوس العديد من الشخصيات والمنظمات والأنظمة والمحافل الإقليمية والدولية مما دفعهم للتحرك وبسرعة مذهلة لوضع دراسات دقيقة ومفصلة عن هذه الظاهرة المخيفة والعمل على أنجح السبل لوئدها وإخمادها ولذلك فإن شعار القضاء على الإرهاب يعني بالدرجة الأولى القضاء على الإنتفاضة والمقاومة والخط الجهادي.

٧) الشلل الكبير الذي أصيبت به مصانع العدو ومؤسساته من خلال إضراب العمال الفلسطينين عن العمل وإحراق مساحات واسعة من البساتين والأحراج،مما جعل الإقتصاد اليهودي يهتز ويضطرب ولولا الدعم الأمريكي المدرار والعطاء اليهودي من قبل يهود العالم لما إستطاع الوقوف على رجليه طويلاً ولكن مهما طال عمر الطغاة فإن شمس المجاهدين سوف تبدد حقدهم الدفين.

٨) الكشف عن الوجه الحقيقي لليهود أمام الرأي العالم العالمي، هذا الوجه المليء بالحقد والكراهية واللؤم والشراسة حتى على الأطفال والنساء والكهول، والذي ضلل العالم من خلال تشدقه بالحرية والديمقراطية والتمدن والسلام.

٩) تحول جميع شرائح الشعب كباراً وصغاراً فتياناً وفتيات عجائز وكهولاً إلى مقاومين للعدو متعاونين مع بعضهم البعض وما أروع قولة أحد العلماء وهو يشبه تعاون الشعب في مواجهة الأعداء بأصابع اليد المتصلة بمعصم واحد النابضة على الحجر ترشق به أعداء الله والبشرية.

١٠) وضع كل الزعماء والأحزاب والأنظمة والمنظمات العربية والإسلامية على المحك فإما أن يؤيدوا الإنتفاضة الجماهيرية المجاهدة ويقدموا لها كل وسائل الدعم ويفتحوا الحدود أمام المجاهدين في سبيل الله حتى يستأصلوا هذه الغدة السرطانية من أرضنا وإما أن يتآمروا عليها كما تآمروا على الحركات الجهادية قبلها فيسجلهم التاريخ في سجل الخائنين وما مؤامرة جيش الإنقاذ عن ذاكرة المسلمين بغائبة.

لماذا الإصرار على تحرير بيت المقدس وتطهير فلسطين من البحر إلى النهر ومن أجل إقامة حكم الله في تلك الأرض المقدسة؟

١) إن هذه القضية قضية الله، فهي أرض بارك الله فيها وحولها وحمل إليها خيرة أنبيائه ورسله وأنزل عليهم فيها وجهه المشرف المنير ولذلك قال تعالى **(ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)**

٢) إنها قضية محمد بن عبدالله إليها أسري ليلة الأسراء ومنها عرج إلى السموات العلى، إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى ثم هبط من ذلك المرتضى الوضيء إلى بيت المقدس ومن هناك رجع إلى مكة المكرمة .

٣) إنها قضية أمين الأمة القائد العام للقوات المسلحة الإسلامية أبي عبيدة بن الجراح وسيف الله المسلول خالد بن الوليد ومؤذن رسول الله بلال بن رباح، وعملاق الإسلام عمر الذي تسلم مفاتيح القدس بيديه ووضعها أمانة في أعناق المسلمين وهو يقول: إن الله أعزكم بالإسلام فإن طلبتم العزة في غيره أذلكم الله

٤) إنها قضية الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي رفض أن يبتسم قبل أن يطهر المكان المقدس وقال حكمته السياسية الجهادية الأخلاقية: إنى آستحى من ربي أن يراني مبتسماً والقدس بين أيدي الصليبيين

٥) إنها قضية سيف الدين قطز الذي خاض معركة عين جالوت وهو يردد ذلك الشعار المرفوف المشرق: واإسلاماه واإسلاماه.

٦) إنها قضية العالم المجاهد عز الدين القسام الذي أطلق صيحة العزة والكرامة: إنه جهاد نصر أو إستشهاد .

٧) إنها قضية الإمام الشهيد حسن البنا مفجر الثورة الإسلامية في القرن العشرين، وقضية قاتل فرعون مصر خالد الإسلامبولي، ورمز المقاومة الإسلامية في صيدا عاصمة الجنوب جمال حيال، وقائد ثورة المساجد في الأرض المباركة العالم الجليل الشيخ أحمد ياسين.

إنها قضية المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل وإلى يوم القيامة ولذلك قال تعالى في محكم كتابه (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا)

يقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم

(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم ياعبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).

ما هو واجبنا نحو القدس والإنتفاضة؟

إن واجب المسلم نحو عقيدته ومقدساته. نحو حضارته وتاريخه، نحو أرضه وسمائه، مجره ونهره، نحو أهله وإخوانه، وخاصة إذا كانوا من المظلومين وبصورة أخص عندما يستنجدون بنا ويطلبون منا العون والمدد، وكيف لا نقوم بهذا الواجب المقدس ورسول الله-صلى الله عليه وسلم هو الذي قال:(المسلمون يد واحدة على من سواهم)

١) من واجبنا نحو الإنتفاضة ان ندعمها إعلامياً وأن ننقل تفاصيل تحركاتها وبطولات أطفالها وما يكابده أهلنا

حتى إلى الأجنة في بطون الأمهات وأن نكشف للعالم كله كيف يتعامل الجيش المتحضر مع العزل من السلاح بوحشية لم تعرف الغابات لها مثيلاً ورسألوا كيف (يعامل العالم الجليل) المقعد وولده الغض الطري وتلاميذه الابرياء المظاليم حيث دمائهم المسفوحة وعظامهم المهشمة تغنيكم عن سيل من التصريحات والصور الشاهدة على ظلم اليهود وتعطشهم للدماء.

٢) وأما الواجب الآخر فهو الدعم المادي الذي يجب أن يستمر ويتضاعف ولا ننسى الحروب الإقتصادية التي يشنها المجرمون على أهلنا المجاهدين وقضية بيت ساحور ما زالت ماثلة للعيان.

٣) وأما الواجب الثالث فهوالدعم الجماهيري فعلى جماهير أمتنا ان تكون على صلة وثيقة بما يجري على إخوانهم وبما يجسدون هؤلاء من مواقف مشرفة لندعمهم عند الحاجة من خلال الإعتصامات او المسيرات أو التأييد أو الإحتجاج الجماهيري حتى تحرك مشاعر المسلمين والعالم نحو قضيتنا المقدسة.

٤) وأما واجبنا الرابع فهو التوعية الجهادية والإعداد الجهادي ليكون كل مسلم على أهبة الإستعداد فإذا ما جاءت ساعة الصفر ويسر الله لنا فتح ثغرات في الحدود الموصلة إلى فلسطين المباركة إنطلقنا بإسم الله وعلى بركة الله فإما العزة والكرامة وإما الجنة والشهادة.

٥) وأما الواجب الخامس فهو التفرغ والدعاء وخاصة عند السجود وفي دبر الصلوات وعند الآذان ويوم الجمعة وفي الأسحار، عسى الله أن يستجيب دعوة واحد من المسلمين فيكرم أهلنا المجاهدين ببركة دعوته الطاهرة الصادقة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**.

ما هو الطريق إلى بيت المقدس؟

إن شعبنا الفلسطيني عانى كثيراً وكثيراً جداً ،عانى من القهر والإستعباد، من القتل والجرح ،من الإسر والتعذيب، من الإضطهاد والتشريد. عانى من اليهود ومن أسياد اليهود، ومن الأنظمة التي تحمي اليهود وتكبل شعبنا لحساب أمريكا واليهود. ولذلك فإن شعبنا بحاجة إلى دولة يشعر فيها بحريته وعزته وكرامته وإنسانيته، بحاجة إلى دولة تحمي وجوده وحقوقه ومكتسباته، وتحقق آماله وآحلامه وطموحاته، ولكن ما هو السبيل إلى تحقيق هذا الهدف العادل؟

هل المقررات التي تمخضت عنها قمة الجزائر وما نتج بعدها من تنازلات خطيرة هي السبيل إلى إقامة دولة عزيزة كريمة؟ لو كان الأمر كذلك لتحقق هذا منذ زمن بعيد لأن التخلي عن نهج الجهاد والإعتراف بشرعية العدو قد صدر منذ زمن بعيد بطريقة مباشرة وغير مباشرة وبطريقة منفردة وبطريقة جماعية والقيادة الفلسطينية كانت تحضر القمم والمؤامرات التي رسمت هذه السياسة المخزية.

إننا نقول وبالفم الملآن ومن باب النصيحة المخلصة لكل الذين يؤمنون بهذا الخط السياسي المدمر:

إقرؤوا تاريخ اليهود مع الله ومع أنبياء الله ومع محمد رسول الله ومع البشرية حتى هذه اللحظة واسبروا غور تصريحاتهم المتتالية بدءاً من بن غوريون وصولاً إلى بيغن ورابين وبيريز وشامير وتأملوا كيف القاعدة اليهودية حملت المتشددين إلى سدة الحكم والسياسة في الكيان المغتصب ليبددوا أحلام الذين أفرطوا في الأوهام الخرافية التي لا تحرر أرضاً ولا تنصر شعباً ولا تقيم دولة ولا دويلة.

وصدق الله إذ يقول عن اليهود: **{وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها**

الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين.)

ماهي الطريق إلى فلسطين وبيت المقدس؟

١)تنمية التيار الإسلامي المجاهد حتى يضع القضية على الطريق السوي ويدمر كل المؤامرات التي حيكت وتحاك عليها وليتمكن من سحب البساط شيئاً فشيئاً من تحت أرجل المتاجرين بها وصدق الله إذ يقول: {يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم}

٢) إيجاد مشروع سياسي عالمي لمختلف الشخصيات والحركات الإسلامية يجعل تحرير القدس من أولى إهتماماته لأن توحيد الخط السياسي يمد العاملين بقوة هائلة وهم يواجهون الأعداء المتربصين بهم جميعاً وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول {المسلمون يد واحدة على من سواهم}

٣) إن أي إنتصار يحققه الإسلاميون في أي بقعة من بقاع الأرض، هذا إنتصار للقضية المقدسة في عمقه وفي حقيقته ولذلك فإن العمل من أجل تحرير بيت المقدس لا يصطدم مع العمل لإزالة الأنظمة الظالمة بل هو مكمل له ولكننا نتمنى على كل حركةإسلامية أن تفرز لنا جزءا من طاقتها تخصصها للقضية المقدسة حتى نصنع من هذه الأجزاء المجاهدة نواة مباركة على مستوى العالم الإسلامي كله أو معظمه إستعداداً للمواجهة الكبرى التي وعد الله في كتابه حيث يقول (فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم)

٤) لا مانع من إيجاد نوع من التنسيق الحقيقي بين المجاهدين الإسلامين والقوى السياسية الأخرى الجادة في معاداتها للكيان الغاصب وأسياده دون التفريط بجزء مما نؤمن به من خلال القاعدة الجهادية الأصيلة

حرباً حرباً حتى النصر زحفاً زحفاً نحو القدس

٥) علينا أن لاتضيع طاقة من جهادنا في مواجهة أصحاب الحلول الإستسلامية حتى لا نحترق في المعارك الجانبية الهدامة ولنستعض عن ذلك بتفجير الأرض من تحت أقدام المعتدين الأصليين لأن التحرك الجهادي في مواجهة اليهود وأسيادهم سيؤدي حتماً إلى تصحيح مسار الضالين من أمتنا أو إلى سقوطهم سقوطاً لا قيام معه وصدق الله إذ يقول (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

٦) تحويل الحركة الجهادية من أجل القدس إلى حركة عالمية لأن المؤامرة على القدس مؤامرة عالمية وبالتالي فهي لا تواجه إلا بتحرك عالمي والإسلاميون قادرون على ذلك إذا طلقوا الدنيا الفانية وباعوا أنفسهم لله وأخلصوا له في القول والعمل وصدق الله إذ يقول

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)

٧) إيجاد صندوق خاص لدعم الحركة الجهادية من أجل القدس ليسهم فيه الأسخياء من أبناء هذه الأمة حتى تبقى الحركة الجهادية فيه مستمرة في عملها محررة عن القيود والأغلال التي يعرفها الجميع.

٨) إيجاد إعلام خاص يواكب التحرك الجهادي على مستوى واسع حتى نهيء الأمة للمعركة الفاصلة وحتى لا يُصادر دعاء الشهداء والجرحى ومنجزات المضحين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

٩) إن الباب اللبناني ما زال مفتوحاً إلى حد ما لمواجهة اليهود ولذلك على كل المخلصين أن يتعاونوا مع بعضهم البعض لوضع مشروع متكامل للإستفادة من هذه الفرصة التاريخية تمهيداً لفتح أبواب أخرى كي لا يندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

١٠) الحذر الحذر من إرتهان الحركة الجهادية من أجل القدس إلى أي نظام من الأنظمة المتخاذلة أو الدخول في اللعبة السياسية التي تعترف أصلاً بشرعية العدو الغاصب لأن ذلك سوف يؤدي إلى محاصرتها ومصادرة قرارها وعدم تمكينها من متابعة مسيرتها وخذوا عبرة ممن سبقكم وما حل بهم حتى أصبح الجلوس مع اليهود والأمريكيين من الإنتصارات العزيزة المؤزرة.

أيها الإخوة الأعزاء..

بكل موضوعية ووضوح وبكل هدوء وروية وبعيداً عن الإنفعال والخطابة نقول لكل السياسين الذين أرهقوا وتعبوا ولم يعودوا قادرين على متابعة الطريق الطويل الشاق وأصبحوا يلهثون وراء الإبتسامة الأمريكية واليهودية والأوروبية وإستمرؤوا الحياة في جانب كامب ديفيد، إننا نشكر لكم جهودكم الجبارة وبإستطاعتكم أن تستريحوا وتريحوا كما إستراح الذين من قبلكم والذين قال الله فيهم:

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله إستأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون).

وأما أنتم يا أطفال الحجارة وثورة الحجارة، يا فخر الحاضر وأمل المستقبل فبإستطاعتكم متابعة المسيرة الجهادية دون الإلتفات إلى السياسات المهترئة بدءاً من قرار التقسيم مروراً بكامب دايفيد وملحقاته إلى مؤتمر الجزائر وتوابعه إلى خطة شامير والنقاط العشر والخمس إلى المؤتمر الدولي الذي سيشهد على الحركة الكبرى إن عقد. وكونوا على يقين بأن إخوان جمال حيال فوق الأرض اللبنانية ما زالوا على عهودهم مع الله ومعكم يا ثورة المساجد وسوف يأتي اليوم الذي تتشابك فيه سواعد العلماء وتلامذة العلماء مع سواعدكم المباركة لتصنعوا معاً راجمات توعية لرجم المشروع اليهودي الصليبي الإستعماري وتدميره على رؤس صانعيه ومؤيديه ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. **{وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون}**

المشروع الإسلامي المعاصر وقضية فلسطين*
الشيخ عبد العزيز عودة**

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين))

السلام عليكم ورحمة الله، أيها الإخوة والأخوات

قبل أن نبدأ حديثنا نذكر بإجلال وتقدير إخواننا وأهلنا في الوطن المحتل وهم يأدون دورهم البطولي في مواجهة أشرس الهجمات والتحديات فمن هنا نبعث إليهم بتحياتنا وتقديرنا ونتمنى من أعماق قلوبنا أن نكون معهم، ولقد أحيل بيننا وبينهم وأصبحنا لا نملك إلا الكلمات نسجيها من موقع إلى موقع وإننا نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى التي هي أصوب وأن يفتح لنا باباً للعمل بعد أن تكاثرت علينا أبواب القول. اننا نحتاج إلى أن تتجسد كلماتنا وأن تتجسد مشروعاتنا في عمل على الأرض يؤدي إلى إنقاذ أمتنا مما هي فيه، أما هم فقد هداهم الله سبحانه وتعالى وقد سلكوا الطريق الصحيح واستجابوا لنداء الله العلي، والله سبحانه وتعالى يقول ((قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزيهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم)) هذا هو الطريق الذي به تذهب أحزاننا وتشفى صدورنا ويذهب غيظ قلوبنا، لقد هداهم الله سبحانه وتعالى إلى الطريق فما على الآخرين من حولهم إلا أن يسلكوا الطريق نفسه، تحية لهم مرة أخرى وهم يؤدون فريضة الجهاد نيابة عن الأمة كل الأمة في مواجهة أعداء الأمة الحقيقيين.

أما عن الموضوع الذي أوكل إلينا التحدث فيه وهو "موقع فلسطين في المشروع الإسلامي المعاصر" ونحن اليوم نجتمع تحت عنوان الإسلام طريق النصر وهذا العنوان تحته مفردات وتفصيلات كثيرة لكن المتفق عليه هو أن الإسلام كان دائماً هو القادر على النهوض بالأمة والخروج بها من أزماتها ومشكلاتها التي تواجهها. وعلى مدار التاريخ كان الإسلام، العقيدة الإسلامية، منهج الإسلام، إلتزام بالوحي الإلهي وهديه. كان كل ذلك هو الكهف الذي تأوى إليه الأمة عندما تلم بها الشدائد أو تصيبها المصائب، كان الإسلام هو مأواه والذي يراجع القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى تحدث في آيات كثيرة وفي سور متعددة عن شروط النصر وشروط المواجهة مع أعداء الله الذين يواجهون المسلمين في عصورهم المختلفة والمتعددة وأن الإيواء إلى هذا الإسلام والإنضواء تحت رايته هو الذي يهيأ للأمة شروط المواجهة والنصر (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده). فالإسلام طريق الإنتصار والتاريخ الكبير شاهد على ذلك، ومن قبل التاريخ هناك القرآن الكريم الذي يمثل الهداية الكبرى والنعمة الإلهية العظيمة للمسلمين وللناس جميعاً ومن بعد القرآن والتاريخ، يأتي الواقع الذي يشهد إنحسار وانهيار الأطروحات التي أراد أصحابها ومن وراءهم أن تكون بديلاً عن هذا الإسلام العظيم الذي شهدت الأمة في ظلاله وتحت رايته أكبر

---

* قدمت هذه المحاضرة يوم الجمعة ٢٨/١٢/١٩٩٠.

** من مواليد ١٩٥٠ في فلسطين، امام مسجد عز الدين القسام واستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بغزة. كان أول من صدر بحقه قرار إبعادعن فلسطين لدوره الرئيس في التعبئة الجهادية المفجرة للأنتفاضة.

الإنتصارات وأعظم الإنجازات. الإنتفاضة هذا الكوكب الذي يتقد في ليل العرب الدامس لم تكن بعيدة عن وحي الإسلام وهداية الإسلام بل كان الإسلام هو الحامي لها وكانت الروح الإسلامية هي الدافعة والراية الإسلامية هي أوضح سمات هذا الحدث الكبير. اليوم تواجه الأمة التحدي الأكبر في حياتها- وهذا التحدي المتمثل في هذا الكيان الصهيوني النكد المسمى بإسرائيل، وعندما نعود إلى القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم تحدث عن بني إسرائيل في مئات المواضع وعشرات السور ولم يكن هذا الحديث لمجرد الحديث فقط، وإنما ليلفت أنظار المسلمين في عصورهم المختلفة بأن هذا العدو هو العدو الحضاري وهو العدو القدري لهذه الأمة فعلى الأمة أن تفتح عيونها جيداً في مواجهته وإزالته. وعلى مدار التاريخ كانت هذه الظاهرة الإسرائيلية تمثل تناقضاً مع الظاهرة الإسلامية، أو أن الإسلام كان دائماً يمثل الظاهرة النقيضة للظاهرة الإسرائيلية، تنفي كل منهما الأخرى. فعندما جاء الإسلام أول مرة في جزيرة العرب كان اليهود قوة في الجزيرة على المستوى الإقتصادي وكانوا قوة على المستوى السياسي واضطر فيها النبي صلى الله عليه وسلم لمهادنتهم في المدنية المنورة وكان لهم دور كبير. يعكس هذا الدور ويعكس هذه القوة قول الله سبحانه وتعالى في أول سورة الحشر **"هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار"** يعني إذا كان الصحابة رضوان الله عليهم وهم الجيل المؤمن الفذ كانوا يعتقدون أن اليهود من القوة بحيث لن يخرجوا من جزيرة العرب. وبرسوخ الإسلام وإنتصاره وثبات أقدامه في الجزيرة العربية، أخرج اليهود من الجزيرة العربية. وعلى مدار التاريخ الإسلامي لم يكن لهؤلاء اليهود أي دور سياسي أو بروز على مستوى الكيانية، لكن متى بدأ ظهور اليهود وبروزهم.لقد بدأ يتشكل كيانهم مرة أخرى في ظل غياب الإسلام أي عندما بدأت شمس الإسلام تغيب، وعندما أحيكت المؤامرة على الدولة الإسلامية وأسقطت، فأسقط النظام السياسي الإسلامي وكرست التجزئة، وقامت الحدود والسدود لتقسم الوطن الإسلامي وزرع هذا الكيان الشرير في داخل فلسطين ليكون تجسيداً وتكريساً لواقع التجزئة ويكون تجسيدا وتكريساً لعملية الإلحاق والتبعية بالنسبة للواقع العربي والإسلامي لمصلحة الغرب، وليكون ضماناً لعدم عودة السلطة السياسية الإسلامية مرة أخرى، بكلمة أخرى زرع هذا الكيان ليحول دون تحقيق أي نهضة حقيقية في المنطقة. ومن هنا يأتي قولنا أن فلسطين تمثل قلب المشروع الإسلامي ومركزية المشروع الإسلامي بإعتبار أن المشروع الصهيوني يمثل أكبر تحدي للمشروع الإسلامي. ولا يمكن أن تقوم نهضة حقيقية إن لم يقم تحرر سياسي إجتماعي ثقافي للمنطقة، والمنطقة عرضة للتهديد الصهيوني والتهديد الإسرائيلي، وفلسطين بما تمثله من خصوصية على مستوى الموقع وعلى مستوى القداسة فإنها تكتسب أيضاً خصوصية في حركة التحرر. وعندما نقول أن فلسطين هي الحلقة المركزية في المشروع الإسلامي، فهذا لا يعني بالضرورة أن تتخلى الحركة الإسلامية عن همومها ومشكلاتها التي تواجهها في أقطارها المختلفة، بل أننا نرى أن أي إنتصار للحركة الإسلامية في أقطارها المختلفة يمثل رصيد للمواجهة الإسلامية الحاسمة أمام التحدي الصهيوني. لكننا نقول أنه لا جدوى من أن تتحرر الأطراف في حين أن القلب يعاني من الإعتلال. إن الإصابة في فلسطين هي إصابة القلب،في حين أن الإصابة في أي مكان آخر مهما كانت مؤلمة ومهما كانت جارحة هي إصابة في الجناح. الخطر الذي يتجسد في أرض فلسطين والذي يتمثل في اليهود يتعدى حدود فلسطين. . إنه ليس خطراً على فلسطين فحسب، وليس خطراً على العرب فحسب، وليس حتى خطراً على المسلمين فحسب، بل هو خطر على البشرية والإنسانية جميعاً. لذلك يقول تعالى **"لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود"** لذلك نقول كما كانت فلسطين هي نقطة حلقة مركزية في المشروع

الإستعماري، فلا بد أن تكون حلقة مركزية في المشروع الإسلامي، عندما يتوجه المسلمون لضرب إسرائيل فإنهم يضربون التجزئة ويضربون التبعية للغرب، ويضربون أيضاً الهيمنة الغربية للمنطقة التي عانت منها أمتنا طويلاً. إذن لابد من إعتبار محاربة هذا الكيان حلقة مركزية أيضاً في مشروعنا الإسلامي. لقد إقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تكون فلسطين ميدان الصراع بين الحضارات أو نقطة الصدام بين التواريخ إذا صح هذا التعبير، والذي يقرأ بداية سورة الإسراء يلمس هذا المعنى واضحاً **(وقضينا إلى بني إسرائيل . . . . . وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)**. فلسطين ستكون ميدان لحسم الصراع بين تمام منهج الباطل الذي تمثله إسرائيل، وتمام منهج الحق الذي يمّثله الإسلام أو يمثله بالنص القرآني **"عباداً لنا أولي بأس شديد"**. ستبقى فلسطين هي الكشاف لإيمان البعض أو كفرهم وستبقى المعيار لصحة التوجه.

كما ينبغي أن تكون فلسطين هي الحلقة المركزية في المشروع النهضوي، فإنه لا يجوز فصلها عن الإسلام، أقول هذا الكلام لأن تجارب عديدة أكدت أن فلسطين مسألة مركزية في تفكيرها، لكنها إبتعدت قليلاً أو كثيراً عن الراية أو عن الإنتماء الأصيل للأمة وهو الإسلام، والذي أخذ الإسلام بعيداً عن فلسطين ضل الطريق. لابد من التوجه إلى فلسطين لضرب هذا المشروع الذي يمثل التحدي الأكبر لثقافة الأمة ولدين الأمة ولحضارة الأمة، لابد للتوجه لفلسطين بإسم الإسلام. إن الجهاد يقدم مزيداً من الهداية وبالضرورة أيضاً ينبغي أن تدفع الهداية إلى مزيد من الجهاد، لا يتصور جهاد بغير هدى ولا يتصور هدى لا يدفع إلى جهاد، المعركة بين المسلمين وبين المشروع الصهيوني الإسرائيلي هي معركة بناء وهي معركة وجود وهي قائمة على نفي أحد الطرفين للآخر، وبالتالي وفق هذه الرؤية القرآنية والإسلامية والتاريخية، فليس هناك جدوى لتلك المشاريع التي تطرح الموضوع للمساومة أو للمهادنة فالأمر كما قال تعالى **"وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم. . . . الآية**.

المشروع الإسلامي ونموذج التنظيم*
عادل مهدي**

بسم الله قاصم الجبارين مبيد الظالمين مدرك حاجات الطالبين، والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الغر الميامين.

أيها الإخوة والأخوات السلام عليكم،

أود أولاً أن أنحني إجلالاً إلى أهلنا في فلسطين في وقت تكاثر فيه من يريد أن يلاحق هذا الدين وأبناءه وإنني أتفق مع الأخوة الذين سبقوني والذين قالوا أن هناك يداً ربانية في هذا الحدث العظيم "الإنتفاضة المباركة" لكن بجانب هذا لا بد من الإشارة إلى أن هذه الإرادة قد حملها أناس ضحوا وجاهدوا رغم صعوبة الظروف وأخص بالذكر منهم سماحة الشيخ العالم الجليل عبد العزيز عودة الذي كان الحجر الأول والصاعق الأول في إنطلاق هذه الإنتفاضة، فعبر أستاذي وأخي الشيخ عبد العزيز أتوجه بالتحية إليه وأتوجه مرة أخرى بالتحية إلى أهلنا في فلسطين.

أما حول موضوع المشروع الإسلامي إلى أين؟ ونموذج التنظيم فهذا الموضوع طويل ومتشعب وقد يحتاج إلى وقت أطول مما هو متروك لنا في هذه الجلسة، لكن من الممكن تقديم بعض الملاحظات أو بعض رؤوس الأقلام. مسألة المشروع، أو مسألة التنظيم لا نجدها جاهزة في كتاب أو قاموس، ولقد حاول بعض أصحاب التنظيم أو التنظيمات وأخص بالذكر منهم التجربة الشيوعية حاولوا أن يقننوا مسألة البرنامج أو المشروع وبالتالي التنظيم في مرشد عملي أو في قاموس فيفتح الصفحة فيجد هناك أوامر جاهزة أو تعليمات جاهزة لمواجهة مسائل معينة، تقدم حلول مسائل معينة، هذا النوع من التفكير قاد إلى نتائج خطيرة. هنا الكلام طبعاً عن خلفياته العقائدية لكنه كمنهج، كطريقة في الرؤية، قاد إلى أخطاء خطيرة، وقاد إلى جمود. ومع الأسف هناك في عالمنا الإسلامي من سقط في هذا الخطأ، وبدأ يرى المشروع ونموذج التنظيم قياساً على تجارب أخرى وكأنه يفتح قاموساً ويرى حلولاً جاهزة لمسائل مطروحة. بالنسبة لنا كمسلمين المشروع الكبير واضح: إنه نشر القرآن ونشر الإسلام، وأن نشرهما يتطلب بالضرورة إقامة الحكومة أو الولاية هذا أمر لازم وضروري لعبادتنا ومعاملاتنا وشؤون حياتنا. هذا هدف واضح لا أعتقد أن أحداً منا يختلف عليه، لكن عندما نريد أن نتكلم عن أوضاعنا اليوم فقبل الدخول في مسألة المشروع والتنظيم، يجب أن نقوم بعملية تشخيص وبعملية تعريف. فالأمة بعد سقوط الخلافة لم تعد كما كانت، إذ مهما كان الظلم الذي كانت تعيشه في داخلها من إستبداد حاكمين، لكن الإسلام كان مقبولاً كشريعة وكقانون، كان الكفاح يجري من داخل الأمة، أما الآن فالأمة قد جُزأت إلى كيانات عديدة كل كيان يعبر عن ظروفٍ تختلف عن الكيانات الأخرى وبالتالي فلكل شعب داخل كل كيان مهام مختلفة. فهناك أوضاع فيها إستبداد

---

* قدمت هذه المحاضرة يوم الجمعة ١٩٩٠/١٢/٢٨.

** من مواليد ١٩٤٢ في العراق، باحث ومفكر اسلامي ورئيس مركز الدراسات والتوثيق الاسلامي في فرنسا، يشرف على اصدار دوريته الفصلية (المنتقى).

مطلق، بينما هناك أوضاع فيها حريات نسبية، وهناك كيانات فيها حرية، أو على الأقل بإسم الإسلام، هناك كيانات يعدم من يعثر لديه على كتاب إسلامي وهناك كيانات أومساحات تعيش تحت الإحتلال الأجنبي، بينما هناك كيانات تعيش تحت أعلام وطنية. إن أخذ هذه الظروف في كل حالة أمر مهم قبل الكلام عن مسألة المشروع لأن الأمر سيختلف من نقطة إلى أخرى ومن بلد إلى بلد، ومن شعب إلى آخر. في رأيي نحن بحاجة أولاً لأن نجري عملية تعريف لكل حالة كي لا نتكلم في العموميات ونحلقّ في كلام نظري عام.

إذا أخذنا حالة الأمة الآن فإن مشروعاً متكاملاً لها سيكون أمراً صعباً ومستحيلاً إذا لم نفتش عن نقاط رئيسية توحد الأمة دون أن تفرقها، لا في العموميات التي لن تمس القضايا المباشرة، ولا تفرقها في الخصوصيات التي تبعد كل حالة جزئية عن الحالة العامة التي يجب ان تعيشها الأمة. فإعتقادي أن النقطة الرئيسية التي يجب إلتقاطها في مسألة المشروع أوفي مسألة التنظيم تتلخص في موضوعات الأمة، فأي مشروع -قطري كان أم عام- إذا لم يكن مشروع الأمة في خلفيته الفكرية فإنه مشروع فاشل. فالذي يسعى إلى تحرير النظام في بلده من طاغية أو من حاكم مستبد، أو الذي يسعى إلى تحرير الأرض ورفع كلمة الله لا بد من أن يكون مشروع الأمة في خلفيته الفكرية وهادياً لمسيرته الجهادية. هذه المسألة تقودنا مباشرة إلى مسألة ترتيب الأولويات، فطالما يتكلم البعض عن مشروع عظيم لأن فيه كل شيء. إن مشروعاً فيه كل شيء هو مشروع فاشل بالضرورة. المشروع العظيم والمشروع الناجح هو الذي يستطيع أن يفرز الأولويات أو القضية المركزية أو الحلقة المركزية التي يمسكها، ويستطيع الإنتقال إلى مرحلة أكثر تطوراً أو المسك بمجمل السلسلة. والقضية المركزية في الأمة واضحة كما يبدو، والأمة إتفقت عليها. عند سماع آراء مجموع العلماء ، ومجموع الحركات، نجد أن الأمة قد إتفقت على إعتبار قضية فلسطين قضية مركزية أو كما ذكر الشيخ عبد العزيز أنها في قلب المشروع الإسلامي، وأن إعتبار قضية فلسطين قضية مركزية هو ليس فقط لتحرير أرض فلسطين أو لفلسطين ذاتها لأنها فقط قضية دينية، بالطبع إنها ذلك وتلك، لكنها أيضاً قضية تتجسد فيها كل أبعاد معركة الإسلام، أي البعد الحضاري والإجتماعي والإنساني والتحرري، كل أبعاد القضية الإسلامية تتجسد في مسألة فلسطين، وأن قضية فلسطين لهذه الأبعاد موجودة في وجدان وفي تفكير كل المسلمين، بل كل الأحرار في العالم. هذه الإعتبارات وغيرها تجعل قضية فلسطين القضية المركزية، كما تجعل قضية فلسطين بإعتبارها قلب الأمة تجعل إعتبار الأمة في قلب موضوعة التنظيم، إذ يجب أن تتمحور فكرة التنظيم حول فكرة الأمة، فالأمة بهذا المعنى تصبح مقياساً لصحة أي تنظيم أو عقم أو فشل هذا التنظيم. الحزب الذي يضع نفسه فوق الأمة أو الذي يتعسف على الأمة ويطالب الأمة أن تلوي رقبتها، هو كذلك الذي يطالب إنسانا أن يقص قدمه ليلائم مقاس حذائه. إن فكرة الأمة كموجه لمسألة التنظيم هي مسألة مركزية تقود إلى إستكشاف طريق عملي سارت عليه من داخل أو من ضمن المنهج الإسلامي في كل العصور. ومسألة الأمة كهادية ومنظمة لمسألة التنظيم تقود بالضرورة إلى طرح نقاط ثلاث:

١- مسألة القيادة:- هناك الكثير من الكلام الصحيح الذي قد يصدر من هذا الطرف أو ذاك لكن الحصانة الضامنة لحسن سير المعارك يتأتى من حُسن القيادة وكونها على المستوى اللائق لتحل مثل هذه المسألة، والقيادة بالنسبة لنا لابد أن تكون قيادة علمائية، لابد أن يتولاها أناس علماء بأمور الدين وعلماء بأمور الدنيا، قد أثبتوا تقواهم وعلميتهم وشجاعتهم. إن مسألة القيادة العلمائية مسألة مهمة بالنسبة إلى الفكر الشيعّي الذي قدم إنجازات على هذا

الطريق، وكما تعلمون ولأسباب تاريخية فإن المرجعية العلمائية الشيعية قد إستقلت منذ فترة عن إطارات الحكم وأعتقد أن في الجانب السني أيضاً رغم بعض الإرتباك الذي حصل بعد سقوط الخلافة كرمز للقيادة وبسبب تاريخ طويل أيضاً من محاولة تدجين الحكومات للهيئة العلمائية القيادية، مرة أخرى نشاهد تطوراً مهماً في نمو قيادة علمائية تأخذ بيدها زمام الأمور وتعيد توحيد الأمة على طريق الإسلام والمسلمين.

٢- موضوع الناس والتحرك العفوي أو الفطري للجماهير، دور القادة(واعتقد أن هذا كان دور الشيخ عبد العزيز وهو الدور الخطير الذي قاده لإندلاع الإنتفاضة) هو توليد مناخات تساعد على تفجر الطاقات العفوية والفطرية للناس، هذا التفجر ممكن أن يفعل ويقود ما لا يمكن لأي تنظيم أن يفعله ولنا شواهد كثيرة ولقد رأينا ما يمكن لمواطن مصري ان يفعل، أو شخص إستوطن في أمريكا أن يفعل من أعمال لا يمكن لأجهزة دول أن تقوم بها. إن إطلاق الطاقات العفوية للناس أمر مهم يجب إحترامه وهذه مهمة القيادات المسؤولة في توفير مناخات إسلامية وثورية مثلما هو مهمة كل مسلم من أب أو أم في تربية أبنائكم لتوفير مناخات تطلق الطاقات العفوية والفطرية للجماهير وأعتقد أن هذا هو السر العظيم لإستمرار نجاح الإنتفاضة إلى حد الآن.

٣-مجموع التنظيمات الطولية والأفقية اللازمة للأمة التي يجب أن تتواجد لكي تستطيع الأمة أن تصل إلى أهدافها المطلوبة. هذه التنظيمات رغم الهيكلية التي يجب أن تتوفر لها لكنها يجب أن تتمتع بشرط رئيسي وهو خضوعها للأمة، خضوعها للهيمنة العلمائية لا أن تتجاوز عليها، لا أن تتحول هي إلى أمة أو إلى قيادة بل تبقى أداة لتنفيذ مهام محددة بهذا المعنى،هنا ستصبح التنظيمات أمراً مهماً وضرورياً لابد منه لإنتصار هذه الأمة.

أقول قولي هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الولاء والبراء في القرآن*
الشيخ عبد العزيز عودة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ونستفتح بالذي هو خير، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وبعد.

أيها الإخوة الأعزاء:- في هذه المرحلة التي يفرض علينا صراع الحياة أو الموت ونحن نواجه التحديات الكبيرة التي تستهدف أمتنا تاريخاً وحضارة ووجوداً، لابد أن نتسلح بمزيد من الوعي والإيمان. لم نجد الوعي الكامل ولا الإيمان المتين إلا في كتاب ربنا الذي أنزله على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور **"قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من إتبع رضوانه سبل السلام"** فعلى أساس القرآن تشكل وعينا ومن معينه ينبغي أن نستمد مقومات إيماننا ونحن نواجه محاولات الذبح والإفناء والإبادة التي يخطط لها أعداء هذا الإسلام. وربما يكون وراء إهتزاز الشخصية الإسلامية وضياعها في كثير من الأحيان، ربما كان وراء ذلك هو العزلة عن هذا الهدي القرآني. لقد أتى حين من الدهر على أجيالنا وعلى شعوب منطقتنا كان مصدر تشكيل المفاهيم والوعي والمواقف السياسية والمواقف الفكرية، كان مصدر هذه المسائل كلها مصادر بعيدة عن الإلتزام الإسلامي أو الصبغة الإلهية التي أرادها الله **(ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون)**. وعندما نعود إلى القرآن الكريم مناط عزتنا ومصدر كرامتنا، على أساسه نتلمس الطريق الصواب وفيه نجد معالم التربية الجهادية ومنارات طريقنا، نجد أن القرآن الكريم يقدم لنا إجابات على كل تساؤل في هذه المرحلة الصعبة أو في هذا الزمن الصعب.

وموضوع الولاء والبراء في الإسلام هو موضوع له مساس شديد بالعقيدة الإسلامية؛ إلى من ينحاز المسلم في هذه الحياة؟ كيف يحدد موقفه؟ كيف يحدد علاقاته مع الآخرين؟ القرآن يجيب على هذه الأسئلة. لكن عندما فرضت علينا الأفكار الغربية وعندما فرض الغرب هيمنته على شعوبنا، أصبحنا نعيش حالة من التبعية وحالة من الإلحاق ضاعت فيه شخصيتنا وتميع فيها وجودنا. وما يحصل الآن من ولاء للأجنبي ودوران في فلكه ووقوف في صفه وإنحياز إليه ما هو إلا من جراء غياب هذه الرؤية القرآنية الضابطة. ففي ظل الفهم القرآني الكريم تتوازن الشخصية الإسلامية. ونستطيع أن نحقق المهمة الرسالية والإلهية التي أناطنا الله بها وهو يريد منا أن نكون أمة متميزة، أمة وسط، أمة تقوم بدور الشهادة على البشر أجمعين **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)**. لكن عندما يشرد الناس عن هذا الهدي الإلهي وعندما لا يتخذون القرآن مصدراً لهم فإنهم يضلون ويضربون في التيه. فالقرآن يوضح

---

* قدمت هذه المحاضرة يوم السبت ٢٩/١٢/١٩٩٠.

** تم التعريف بالمحاضر في الصفحة رقم (٢٤).

أن أعداء الأمة الإسلامية لا يرضون الا تمام التبعية لهم وتمام الإلحاق بهم **(لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** ويتخبطون في الظلام ويريدون أن يقودوا الناس إلى هذه الظلمات أيضاً والقرآن الكريم يقول **(لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم)**، أنساهم ما يصلح شأنهم فهم يخبطون في تيه وفي ظلام ويقودون الناس أيضاً إلى هذا التيه وإلى هذا الظلام. هم يريدون من الناس أن يسيروا في الظلمات والنور بين أيديهم يريدون من الناس أن يموتوا ظمأ والنبع الصافي بين أيديهم. هذا مرجعه إيها الإخوة أنه أحيل بين أجيالنا وبين التربية المعمقة لهذا القرآن العظيم. لو فهم الناس معنى قوله تعال **(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم)** القرآن يرصد مشاعر الأعداء ويصورها لنا فعندما نقف أمام هذا النص هل أستجدي الكافرين؟ هل أطرق أبوابهم بحثاً عن حلول؟ هل ألجأ إليهم بحثاً عن الخلاص أو طلباً لحل المشكلات عندهم؟ والقرآن يقول **(ما يود الذين كفروا . . .)** ويقول **(ودوا لو يضلونكم)** **(ودوا لو تكفرون)** و **(ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون ميلة واحدة)**. ضروري الوقوف عند هذه النصوص القرآنية ليتشكل عليها وعينا وتتشكل عليها مفاهيمنا ومواقفنا السياسية والفكرية، ونحن نقف في صراعنا المرير مع هذه الهجمة المعاصرة والتي أخذت أخطر أشكالها في وجود إسرائيل في قلب العالم الإسلامي في فلسطين. وفي موضوع آخر "**ودوا ماعنتم**" والعنت السياسي والفكري والإجتماعي والإقتصادي. أنا أقول أنه آن الأوان لتتمحور جماهير المسلمين حول هذا القرآن ليكون مصدراً وأساساً يشكلون عليه مفاهيمهم ويحددون على ضوئه مواقفهم وخطواتهم على هذا الطريق الطويل.

موضوع الولاء في الإسلام يمس موضوع العقيدة: المسلم يوالي من؟ ويبرء ممن؟ كيف يحدد موقفه وعلاقاته مع الآخرين؟ والإسلام بصورة عامة عقيدة منفتحة وليس ديناً منغلقاً على نفسه والخطاب القرآني لم يكن مقصوراً على الذين آمنوا هناك بجواب **(يا أيها الذين آمنوا)** **(يا أيها الناس)** **(ويا بني أدم)** فخطاب القرآن الكريم ليس مقصوراً على المؤمنين بل هو موجهاً للناس جميعاً **(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)**.

فالعقيدة الإسلامية عقيدة منفتحة والإسلام ليس منغلقاً على نفسه وهو يدعو إلى كل ضروب التعاون من أجل نشر الخير ومن أجل نشر البر في العالم أجمع، ولكن هذا الإنفتاح ليس على حساب المبادىء وليس على حساب أصول العقيدة، فإذا كان هناك أعداء للاسلام وهناك مؤامرات عليه وهناك حرب يخطط لها ضد الإسلام والمسلمين فلا بد أن تكون مواقفنا واضحة وان تكون مواقفنا مبنية على أساس العقيدة الإسلامية. ولذلك جاءت هذه التحذيرات في القرآن الكريم الكثيرة من الولاء للكافرين،من الولاء للأجانب وهي آيات لا تحتمل أي تأويل. فعندما نسمع قول الله تعالى في صدر سورة الممتحنة التي تعتبر سورة الولاء والبراء. الولاء لله ورسوله وللمؤمنين، الولاء لقيم الخير، الولاء لقيم الفضيلة والنبل، والبراء من الشر. هذه المفاهيم التي تملأ ضمير الإنسان المسلم إصراراً على الفعل الإيجابي من أجل نشر الخير وتملأ ضمير الإنسان المسلم إصراراً على مقاومة الباطل وتقليم أظافر الطاغوت **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة . . . قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم . . . حتى تؤمنوا بالله وحده)**. ليس هناك مهادنة على المبادىء ،وليس هناك إلتقاء في منتصف الطريق مع الظالمين. ليس هذا معناه إعلان الحرب على العالمين، أو إعلان الحرب على العالم، بل الامر كما قلت أن الإسلام عقيدة منفتحة ويبحث الإسلام عن كل أوجه الاتفاق مع

البشر في سبيل الخير، لكن المسألة إن تعلقت بالعقيدة، إن تعلقت بالوطن، إن تعلقت بمصالح المسلمين، فلا إلتقاء في منتصف الطريق. كيف يوالي المسلم من يتآمر على أهله وعشيرته ووطنه ومقدساته، كيف يواليه المسلم وكيف ينحاز إليه **(لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)**. وحتى يتوازن الموقف يقول القرآن بعد ذلك وفي هذا السياق **.(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم إن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم إن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون)** فهؤلاء الذين ينحازون لمن قاتلوا المسلمين ولمن أخرجوهم من ديارهم، وظاهروا على إخراجهم، هل هؤلاء يهتدون بهدي الإسلام؟ هل هؤلاء يستلهمون القرآن وهم يوالون الكافرين الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم؟ الإسلام حاسم في هذه المسألة. لا مساومة هناك على حقوق المسلمين ولا إلتقاء في منتصف الطريق مع اولئك الذين ظلموا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وقاتلوهم. ربما ينظر المسلم فيرى أن ميزان القوى ليس في صالحه. المسلم لا يحسب بالمقاييس المادية والحسية فقط بل هناك عامل آخر لا بد من وضعه في الحساب. العامل الإيماني عامل التوكل على الله سبحانه وتعالى. ولقد سجل الله تعالى في القرآن الكريم **(الذين قال لهم الناس، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا، حسبنا الله ونعم الوكيل)**. إختلال ميزان القوى ربما يجعلني أعيد حساباتي، أبحث عن مكان خلل في مسيرتي، أبحث عن طبيعة تحالفاتي وعلاقاتي، أتجه إلى الهدوء فترة معينة، لكن لا يمكن أن يدفعني إختلال موازين القوى لأن أنحني أمام العدو وأمام مطالبه وأن يتحول الحق إلى الباطل، وأن أتحول إلى نصف صاحب حق بحجة إختلال موازين القوى. هذا منشأوه أيها الإخوة عدم التربية على هذه المفاهيم القرآنية التي أراد الله سبحانه وتعالى أن نصبغ حياتنا عليها. لهذا يقول الله سبحانه وتعالى **(لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منكم)**. الولاء هنا بمعنى النصرة وتبادل المحبة والتأييد لأولئك الكافرين الذين هم في حالة حرب مع المسلمين. كما يحدث في كثيرمن ديار المسلمين اليوم للأسف، هذه المواقف التي تنم عن تنكب لطريق الحق وتنكب لطريق الإسلام. وأنظر إلى تعبير القرآن الجميل **(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيه يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أصروا في أنفسهم نادمين)** فترى الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أليس هذا ما يحدث اليوم في مواقع كثيرة من الإرتماء في أحضان الأجنبي ودوران في فلكه وإنحياز له تحت حجة نخشى أن تصيبنا دائرة، ثم يقول القرآن الكريم **(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)**، **(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)**، ويقول أيضاً **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبا من الكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين)**، الإسلام هو بعد الأمة الإسلامية لدورها الرسالي ولدورها الحضاري كما جاء في قوله تعالى **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)**، أمة متميزة تعي مهماتها، أمة تحافظ على أخلاقها أمة تحافظ على شخصيتها، أمة تحافظ على مقدراتنا وثرواتنا، أمة تعرف أنها ليست مجموعة من الهمل تعيش على هامش الحياة، وإنما لها بعد حضاري ولها دور رسالي تستطيع أن تقف على أقدامها وتستطيع بالإعتماد على الله سبحانه وتعالى أن تواجه أكبر القوى. وهذا الكلام ليس معناه تطويح بموضوع الإعداد المادي لكننا نحذر من تسرب المفاهيم المادية والحسية لعقول المسلمين والإعتماد عليها. هناك عامل آخر الله سبحانه وتعالى يقول **(سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق**

الأعناق واضربوا منهم كل بنان). أليس هذا سلاحاً ربانياً ، كل الأسلحة المادية من صواريخ وغيرها ، إذا تسرب الرعب في قلوب الكافرين، هذا سلاح إلهي، هذا سلاح رباني، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم" نصرت بالرعب مسيرة شهرين". أصبح الذين ينتسبون للاسلام ظلما وزوراً اليوم هم الذين يسكنهم الرعب لتخليهم عن هذه الرسالة الالهية. حتى الآباء والأخوان والعشيرة والأزواج إذا فاصلوا العقيدة الإسلامية فلا يكون هناك ولاء لهم أو إلتقاء معهم **(لا تتخذوا آباؤكم أو إخوانكم أولياء إن إستحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون)**. ويقول القرآن الكريم أيضاً **(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ولو كان آباؤهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)**.

وفي كلمة واحدة الإسلام هو يعد هذه الأمة لأداء مهامتها الإيمانية والإلهية. نحن لسنا دعاة حرب وإعلان حرب على العالم، نحن دعاة خير وحملة رسالة، لكننا ظلمنا في هذا الزمن ظلماً واضحاً ومبيناً من هذه القوى المستكبرة الكافرة.

فلا بد أن نبدأ خطواتنا في المواجهة بإعلان الولاء لله سبحانه وتعالى والإعتماد عليه وإعداد أنفسنا على كل المستويات العقلية والفكرية والسياسية والروحية والمادية، على ضوء هذا القرآن الكريم والله يقول **(إنّ ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده"** أسأل الله هداية تملأ قلوب المؤمنين وتورثهم ولاء حقيقياً ومحرراً لله رب العالمين **(وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)**. وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الولاء والبراء في ظل أزمة الخليج*

الشيخ عبد الهادي آوان**

أحييكم بتحية الاسلام، تحية مباركة من عند الله، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون، الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين باحسان إلى يوم الدين اما بعد.

أيها الإخوة والأخوات. لست بحاجة لإطالة الكلام في تعريف الولاء والبراء

حبذا لو دخلت في الموضوع الذي يواجهه العالم الاسلامي المعاصر من قضايا حديثة تهدد كيان الأمة وشخصيتها وذلكم الذي يتعلق بالولاء.. إلى ما لا ينبغي الولاء له ويتبرأ من الذي لابد من التبرأ منه. والحديث عن الولاء والبراء لابد إقرانهما بالعقيدة الاسلامية لأنهما تمسان أهم اركان الايمان وهي الايمان بالله وحده، الايمان بالله الواحد الأحد، ولابد من الولاء له لا شريك له ويجب التبرأ من كل ما يخالفه من الشركاء والطواغيت **"فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم"**. **"الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون"**.

فالولاء او الولاية هي النصرة والمحبة والاكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً، والبراء هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار. وحيث ان أصل الايمان ان تحب في الله أنبياءه وأتباعه وتبغض في الله أعداء رسله وقد ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) قوله "من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما ينال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، حتى صارت عامة مؤخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً". واذا كان هذا في قرن خير القرون، في قرن الصحابة رضي الله عنهم، فكيف في عصرنا الحاضر، فجدير بالمؤمن أن يكون على وعي اسلامي صحيح كي يكون على بينة لمن يوالي ومن يعادي ومن يحب ومن يبغض، ثم يزن بميزان الكتاب والسنة ليرى هل هو في صف عباد الرحمن وحزب الله أو في صف الشيطان وحزبه. وعباد الرحمن وحزب الله هم المفلحون وما عداهم فقد خسروا الدنيا والآخرة، فولاء المؤمن لله ولمن أمره الله أن يواليه، قال الله تعالى **" إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون"** .فالولاء لله خالصاً ومطلقاً والولاء لمن أمره أن يواليه مقيداً بصفة الايمان الخالصة من نواقضه ونواقصه، والبراء من الشرك والكفر وأهليهما والنهي عن الولاء لهم، قال تعالى **"براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين"**. وقال تعالى **"لا يتخذ**

---

* ألقيت هذه الكلمة يوم السبت ٢٩/١٢/١٩٩٠.

** من ماليزيا، زعيم الحزب الاسلامي وعضو البرلمان الماليزي، داعية وخطيب ومعلم جماهيري.

المؤمنين الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير" ، وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباؤكم وإخوانكم أولياء إن إستحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون" . "قل إن كان آباؤكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين" .

أيها الإخوة والأخوات . .

هذه الآيات باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين وواضحة في الولاء والبراء في كل زمان ومكان والأسوة الحسنة فيهما في سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام من نوح وإبراهيم ولوط وهود ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكننا لابد من أن نقف عند وضع المسلمين في العصر الحاضر لنرى أين يقف المسلمون اليوم من هذه القضية وما مدى التزامهم بها أو تخليهم عنها وما الذي حل بهم فإننا نواجه جاهلية جديدة تحيط بالأمة الاسلامية والعالم الاسلامي، وانها ليست جاهلية عبادة، عبادة فرعون والأوثان وإنما هي عبادة النظم الحديثة والمبادىء الهدامة والأيدولوجيات الأجنبية التي تحكم عقول المسلمين وأوطانهم مما أدى إلى الولاء لله في شعائر العبادة والأحوال الشخصية فقط والولاء لتلك النظم والمذاهب والأيدولوجيات في أمور حياتهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية وغيرها. وهذه من بقية آثار الاستعمار ونتيجة ضعف المسلمين وتمكينهم عدوهم من السيطرة عليهم حتى وصل إلى أفكار ممن يسمى بحكام المسلمين وأراضيهم فنزعوا الولاء الاسلامي ليحل محله الولاء الجاهلي.

ايها الإخوة والأخوات . . كان العالم الاسلامي قبل هذا أمة واحدة تظله راية لا اله الا الله محمد رسول الله، ورغم خط الانحراف الذي يرتفع ويهبط في تاريخ المسلمين الا انه فيما يقرب من ثلاثة قرون كانوا يشعرون أنهم أمة واحدة لأنهم يدينون بدين واحد، يؤمنون بكتاب واحد وسنة واحدة ويتحاكمون إلى شريعة واحدة. ولقد كان المسلم يخرج من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب من العالم الاسلامي لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية، وإنما يحمل شعاراً اسلاميا وهو كلمة التوحيد. فكلما حل أرضاً وجد فيها له أخوة في الايمان وان كانت الألسنة مختلفة والألوان متباينة لأن الاسلام أذاب كل الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية، وإن تنازعوا في شيء ردّوه إلى كتابهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وإن اقتتلوا أصلحوا بينهم بهذا الدين، وإن إعتدوا عليهم أعداء دينهم وأمتهم واجهوا هؤلاء الأعداء يداً واحدة وصفاً واحداً بالرغم من تلك الخلافات والتنازعات. ولكن نتيجة ذلك الولاء المذبذب جعل حكام المسلمين لا يستطيعون حل كبيرة ولا صغيرة فيما بينهم فإنهم لا ينظرون إلى أهمية هذا الدين وأهله فانظروا أيها الإخوة والأخوات إلى هؤلاء الحكام الذين جعلوا آبار بترولهم أولى من قضية فلسطين وأفغانستان وكشمير وأريتريا والمسلمين في الهند، وجعلوا استثمار أموالهم الطائلة في بنوك امريكا وأوروبا أولى من استثمارها في بلاد المسلمين في إفريقيا، وانفاقها لأسلحة الدفاع عن قصورهم وعروشهم وكراسيهم أولى من تحرير الأراضي الإسلامية المحتلة، والنظر إلى سباق الخيول والجمال في الخليج ولا ينظرون إلى أبناء الحجارة بدمائهم ودموعهم نظرة دعم الجهاد. وطبق الله عليهم حكمه الآن فجعل الله بأسهم بينهم، وولاءهم للجيوش الصليبية عزة في أنفسهم.

ايها الإخوة والأخوات . .

نحن لا نرضى بالعدوان العراقي على الكويت لأسباب اقتصادية وسياسية، ولا نرضى كذلك بدعوة القوات

الأجنبية في شبه الجزيرة العربية لأننا لانجاهد على حساب الأراضي بدون عقيدتنا وديننا ولأن الله ربنا يقول **"ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولإن اتبعت اهوا ءهم بعد الذي جا ءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير"**. أيها الإخوة والأخوات... إن الحزب الاسلامي في ماليزيا مع إخوانهم العاملين في الحقل الاسلامي في العالم استنكر العدوان العراقي على الكويت واستنكر وجود القوات الأجنبية في شبه الجزيرة العربية واعتبرها أكبر منكر، واشتركنا بوفد الأحزاب الاسلامية برغم أننا لا نملك حكومة معترفة من حيث سياستهم ولكن ورا ءنا الرأي العام الأكبر من الأمة الاسلامية التي لها مكانة كبيرة في العالم لنقدم حلنا. انه لابد من حل سلمي اسلامي بين العراق والكويت ولابد من خروج القوات الاجنبية من شبه الجزيرة العربية لمكانتها الاسلامية وهي ليست ملكاً للملكة العربيةالسعودية فقط ولوصية الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم "لا يجتمع دينان في الجزيرة العربية" وقوله صلى الله عليه وسلم "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب". وإذا كانت لكل السفارات في كل بلاد العالم حصانة دبلوماسية من حيث القانون الدولي، فالجزيرة العربية أولى واكبر من هذا من حيث حصانتها الاسلامية. فإذا كانت هناك حرب، فعلى القوى الاسلامية أن لا تتضارب فيما بينها ولكن لتكن موجهة إلى اعداء الإسلام والمسلمين، وبالتالي لابد من اشعال القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين أرض الاسراء والمعراج وثالث الحرمين فلايمكن أن ندخل في شبكة السياسة اليهودية والصهيونية بعدم ربط القضية الفلسطينية بقضية الخليج.

أيها الإخوة والأخوات..

إنه لن يصل المسلمون إلى العزة والنصر إلا بالبراء من كل منهج وشريعة تخالف شريعة الله، والبراءة ايضا من كل النظم والأيدولوجيات التي تناقض العقيدة الاسلامية، والبراءة من أصحاب تلك النظم من الحكام المستعمرين الجدد وأبنائهم الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ولكنهم ايد قوية لأعدائنا. ولابد من تعميق الولاء لله وولاء المسلم لإسلامه ولأخيه المسلم وإنتمائه لإخوانه المسلمين وخلع الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية وغيرها. فالمسلم أخو المسلم في أية بقعة كانت. دار الاسلام هي دار لكل مسلم في جميع انحاء الارض، وفي تاريخنا ما يشهد على أهمية هذه القضية. فإن إمرأة مسلمة أهينت في عمورية فاستغاثت وا معتصماه فقال المعتصم لبيك يا أماه وجهز الجيوش وذهب إلى عمورية ونصر المرأة المؤمنة ولم يقل انا في وطني وانها في وطن آخر، بل انطلق من واقع مسؤوليته كخليفة مسلم. كل الأمة المسلمة أمانة في عنقه وهو مسئول عنها يوم يلقى الله عز وجل. ومن هنا فإن مسؤولية نصرة المسلمين المضطهدين في كل بقعة من بقاع الارض أمر واجب فرضته هذه العقيدة، ويكون واجب الانسان المؤمن محبة هؤلاء المسلمين ومناصرتهم باليد واللسان والمال في كل موطن ومناسبة. وعلى المسلمين حل قضاياهم فلا ثقة بالأمم المتحدة وبفروعاتها فإنها تحت سيطرة الدول الاستعمارية الصهيونية الاستكبارية. فالقرارات لها لا عليها، والقوانين الدولية ليست إلا بيوت العنكبوت وهي أهون القوانين وهي فرض على الدول الصغيرة والأمم المستضعفة. ألا ترون أنها تصدر القرارات لمصلحة الصهاينة بسهولة وتلغيها بالفيتو إذا كانت ضدها. فما أسرع القرارات لما حدث العدوان العراقي على الكويت، فهل يحدث هذا اذا كان ضد اسرائيل وحلفائها؟ على الاسلامين والعاملين في الحقل الاسلامي أن يعوا وعياً سياسياً اسلامياً صحيحاً لكي لا يصدروا الفتاوى والآراء تحت لعبة سياسية للحكام العلمانيين الذين يستخدمونهم لمصالح أعداء الاسلام والمسلمين. فلقد لدغنا بالجهاد الماضي ضد الاستعمار "ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين" فعلى الاسلامين أن يعوا وعياً سياسياً وأن يقفوا موقفاً اسلامياً وأن يحددوا صفوفهم ويخططوا مخططات حكيمة لمواجهة التحديات الجديدة وأن يعرفوا خدع أعدائهم

ومخططاتهم وأن تتعاون الحركات الإسلامية في العالم الاسلامي وتنسق بينها لتكون صفاً لا ينشق حتى لا يتخلله الشياطين ويأتي امر الله لنصر أوليا‌ئه وجنوده **"ولينصرن الله من ينصرنه" " ألا إن نصر الله قريب"** أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم.

الأمة الإسلامية وقضاياها الإستراتيجية*

الدكتور طه جابر العلواني**

الحمدلله رب العالمين و الصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد...

فإنني أود أن أجمل ما أريد قوله في نقاط:

النقطة الأولى:

لعل الواجب علينا في البداية تحديد مفهوم "الأمّة" في اللغة العربية وتوضيح منهج الشارع الحكيم في التعامل مع هذه اللغة وتوظيفها للتعبير عن مفاهيمه، ومفهوم "الأمة" يتضمن مجموعة أمور قد تبدو لأول وهلة مفاهيم مستقلة لكنها- عند النظر- لا تنفصل عن بناء هذا المفهوم الشرعي بحال. فوحدة الأمة وإستقلالها، ونهضتها، وعمرانها، وشهودها الحضاري، وقوتها، وولاؤها للإيمان وأهله، وبراؤها من الكفر وأهله، كل تلك الأمور تعتبر مضمنة في مفهوم "الأمة" بمعناه الإصطلاحي، الذي إستعمله فيه الشارع الحكيم تبارك وتعالى.

كما ترتبط بهذا المفهوم مجموعة أخرى من المفاهيم ذات البعد الإسلامي العميق كالأمانة، والإستخلاف، والشهود الحضاري، والخيرية، والوسطية والإبتلاء، والإعمار والأمر بالمعروف والنهي من المنكر، والدعوة إلى الخير، والإيمان بالله أولاً وأخيراً. ويوم تفقد الأمة عنصرا من هذه العناصر تفقد كونها أمة فهي إن تخلت عن الحكم بما أنزل الله، أو بعدت عن وحدتها أو تنازلت عن ولائها وبرائها أو نأت عن دورها وعن وسطيتها وعن شهودها الحضاري، فقدت الأهلية لأن تتصف بأنها أمة بالمفهوم الشرعي وان احتفظت بلقب "امة" بالمفهوم اللغوي الجامد.

النقطة الثانية:

موقع هذه الأمة الإسلامية من الأمم- في نظري - كموقع رسول الله- صلى الله عليه وسلم منها. فموقعها من الأمم هو موقع الشهادة والخيرية والتزكية والتعليم والقيادة. ولا ينبغي أن يغيب هذا عن البال. وموقع رسول الله (ص) من الأمة موقع الشاهد عليها والمعلم لها والمربي والمزكي والمطهر لنفوسها وقلوبها، وهو في الوقت نفسه رؤوف ورحيم بنا. وموقع أمتنا من سائر أمم الدنيا نفس هذاالموقع بالضبط فهي الشاهد على الناس والمعلمة والمربية والمزكية للأمم والرؤوفة الرحيمة بها، وكل ما يقتضيه قيامها بهذا الدور واجب من واجباتها وفريضة من فرائض الله تعالى عليها.

---

* ألقيت هذه المحاضرة يوم السبت ١٩٩٠/١٢/٢٩.

** من مواليد ١٩٣٥ بالفلوجة في العراق، رئيس المعهد العالمي للفكر الاسلامي في واشنطن، عالم وموجه اسلامي أصيل، تمتد إهتماماته في أصول الفقه إلى قضايا الفكر الاسلامي وله مؤلفات بذلك.

النقطة الثالثة:

كتاب هذه الأمة الكريم القرآن العظيم يمثل الإعجاز المطلق، المتحدي للبشر على الدوام أن يأتوا بمثله كلاً أو جزءاً، وسنّة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ممثلة موضحة شارحة، فهي ممثلة لأفضل أحكام قواعد تنزيل هذا الكتاب على الواقع المعاش في وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الدنيا كلها بعد ذلك أن تتأسى بهذه السنّة ومنهجها في تنزيل مطلق الكتاب على الواقع النسبي، وأن تتمثلها في خطواتها كلها. وبالتالي فإن مقومات بناء هذه الأمة وقواعدها وخصائصها تمثل قبسات من تلك الخاصية المطلقة للنبوة والرسالة التي يمثلها رسول الله- صلى الله عليه وسلم-... كما تمثل نفحات من ذلك الإعجاز المطلق الذي يتمثل في القرآن العظيم، فلا يمكن إعادة بنائها حين تهدم ولا يمكن أن تُستَحْيىَ هذه الأمة حين تموت بغير ذلك المنهج الإلهي (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، كما أن تلك المقومات والخصائص التي بنيت هذه الأمة عليها لا تقبل زيادة بشرية ولا نقصاناً إنسانياً، كما لا يتقبل التصور الإسلامي شيئاً من ذلك. وحين يحمل مفهوم "الأمة" بتلك الخصائص العرقية والإقليمية بحيث تطغى على خصائص العالمية والشمول فيها أو تختزل فيها تلك الخصائص، أو تغير في المفهوم الشامل أي تغيير جزئي أو كلي، فإن ذلك يشكل أعراف لا تقبله طبيعة هذه الأمة وقد تخرج بها عن كونها أمة مسلمة. وبالقوة نفسها يأبى مفهوم "الأمة" الفرقة وضعف الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وضعف البراء من أعداء الله ورسوله أو المؤمنين، ويأبى مفهوم الأمة كذلك بمفهومه الشرعي الذلة والضعف "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" ويأبى الجهل المطبق، والمرض أو الضعف بكل أنواعه وبكل مفاهيمه، لأن هذه "الأمة" كما قلنا لها دور وموقع لا يمكن أن تؤديه إلا وهي متمثلة بكل خصائص القوة والقدرة وتجاوز العجز. ويأبى مفهوم "الأمة" كذلك الظلم والطغيان بكل أشكاله، والإستبداد بكل دركاته فإذا وقع شيء من ذلك كان الجهاد بكل أنواعه واجباً لتقويم الجبهة الداخلية أو تقدمها، واحتلت البيئة الداخلية وإصلاحها الأولوية الأولى على سائر الفرائض والواجبات. وتحولت فروض الأمة أو فروض الكفايات إلى واجبات أعيان وفروض شخصيّة عينيّة على الشخصية الفردية كما هي واجبة على الشخصية المعنوية حتى تسترد هذه الأمة عافيتها ووحدتها وتبدأ هذه الفروض التي هي فروض مقاومة الأمة لعوامل فرقتها وتميزها بالعزة والرفض القلبي لكل ما ذكرناه، والرفض العقلي الواقعي الواعي لمظاهر الإنحراف ثم إستعمال وسائل الدعوة والتوعية بكل أنواعها وأمضى أشكالها لتنبيه وإيقاظ النائمين، وتحذير المغترّين، وتنقية وتطهير صفوف "الأمة" من المنافقين أوالمشركين أو المندسين أوالمخرّبين، وتمحيصها وتهيئتها للقيام بفرائض التعديل، وإرغام قوى الإنحراف على قبول ذلك التعديل إن لم تجدِ كل الوسائل الأخرى ثم إحاطة تلك المقومات بكل وسائل الحفظ والحماية اللازمة وفي مقدمتها الشورى وحفظ كرامة الإنسان وحقوقه ضرورية كانت أو حاجية أو تحسينية، وإقامة ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل مؤسسي يحول دون توقفه أو قصوره عن أداء دوره لكي لا يتكرر الإنحراف في الأمة أو يعود إلى الظهور ثانية.

ومن المؤسف أن الوعي الموضوعي على هذا المفهوم " بالأمة" بالشكل الذي ذكرناه قد أصابه كثير من عوامل الإضعاف في الماضي نتيجة خلل في فهم بعض حلقات منهج التصور الإسلامي، حدث في أعقاب إنقلاب قبائلي سريع على الخلافة النبوية التي حُولت بشكل قسري إلى ملك عضوض، وانفصل السلطان عن القرآن، وصار العلماء المجتهدون وقادة الفكر في جانب، وأصحاب السلطان في جانب آخر، وأصبح الصراع على الشرعية والمشروعية بين الفريقين السمة الغالبة

للعلاقة بينهما. ولم يقف التدهور عند هذا الحد بل تجاوزه خلال عقود قليلة إلى نوع من الجبرية والتسلط وإهدار الشورى وتحويل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى عمل فردي وتجاوز الناس تحذيرات رسول الله- صلى الله عليه وسلم -المستقبلية ولم يلتفتوا إليها ومن هذه التحذيرات " لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة أولها الحكم وآخرها الصلاة "وقوله "ألا وإن القرآن والسلطان سيفترقان ألا فكونوا مع القرآن حيث كان". وإذ تأخرت الأمة في إعادة بناء العروة التي إنتقضت وهي "الحكم" ولم تتمكن من إعادة الخلافة الحقيقية على منهاج النبوة، ورضيت بالشكل وغفلت عن المضمون كان لابد أن يتتابع إنتقاض العرى حتى يضيع قوم الصلاة.

وفي غمرة هذا الصراع المرير على الشرعية بين القيادة الفكرية والسياسية، تعرض العقل المسلم لجملة كبيرة من التغيرات والبدع الحادثات، والانحرافات الفكرية في النظر الى الإنسان والكون والسلطة والحياة الدنيا والدين والأسباب والسنن وغير ذلك.

فاختلطت في رؤيته الأدوار بين عالمي الغيب والشهادة وقضاياهما، وافتعل نزاع مزعوم بين الوحي والعقل واضطرب فهم المسلم بين الإرادة الإنسانية والعقل الإنساني وبين الإرادة والعقل الإلهي، لتنشأ عقيدة الجبر والقدر كما اضطربت صورتا الدنيا والآخرة. وتغير فهم الإنسان المسلم لحقيقة الإنسان ودوره في الحياة، ودب التغير إلى كثير من عناصر منظومة العقل المسلم الفكرية، واحتلت المفاهيم الفلسفية المستوردة بكل أنواعها ومختلف أشكالها محل المفاهيم الإسلامية، واقتنع الناس من الإسلام بأشكاله، فساد النظر الجزئي والقياس السطحي والإتجاه الشكلي وأسيء فهم كثير من أحاديث رسول الله (صلى) وسننه. كما دُس الكثير عليه "عليه الصلاة والسلام" كما دخل التفسير والتأويل مداخل كثيراً ما حجبت من أنوار الكتاب الكريم وصادرت على فهمه، وافترقت كلمة الأمة وتحولت إلى طوائف وأحزاب وفرق يلعن بعضها بعضا، ويكفر أو يفسق أو يُبَدِّع كل منها الآخر بتهم عقيدية أو فقهية واستمرت الأمة بالتمزق وجاء الفهم المنحرف لسنة رسول الله ليحول الفرقة إلى حتمية تاريخية بناءً على الحديث المعروف " افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى أثنين وسبعين فرقة وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة ما عليه أنا وأصحابي"(١) فلعل ما قصده الرسول -صلى الله عليه وسلمَ-هو التحذير من الفرقة والتخويف منها وتنبيه الأمة إلى إتخاذ سائر أسباب الحذر والحيطة من الفرقة. ولكن الحديث فهم على أنه قدر حتمي لا بد من تحقيقه مع أن آخر الحديث ينبه بوضوح إلى وجوب وحدة الأمة والتحذير من فرقتها أو السماح بظهور أسبابها حيث قال صلى الله عليه وسلم" كلها هالكة إلا واحدة، ما عليه أنا وأصحابي". وبدلاً من أن يتجه البحث على تأصيل منهج رسول الله وأصحابه، ويشاع بين المسلمين ليتمسكوا به في بناء وحدتهم وينجوا بذلك من الفرقة، أخذت كل فرقة أو مذهب تؤصل لقضاياها الخاصة والخلافية وتعتبر نفسها هي الفرقة الناجية لتزيد في فرقة الأمة وبث أسباب الصراع بين فصائلها. ومن الطبيعي أن

---

(١) انظر سنن ابن ماجة تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي-باب افتراق الأمم. الجزء الثاني ص٣٧٧(قال البوصيري في الزوائد ٢٤٣-أ:هذا إسناد صحيح رجاله ثقات،رواه الإمام أحمد في مسنده.

تتراجع الأمة عن دورها وقد أبتليت بكل هذه الأمراض وأن تفقد وحدتها وأن تجتمع عليها الأمم وتتداعى لتنقض عليها، لتهزم أمام الصليبين. وقبل ان تسترد أنفاسها من ضغط الحروب الصليبية داهمها التتار، فأصابوا منها ما أصابوا ولم تسترد عافيتها إلا في القرن الثامن الهجري على أيدي آل عثمان فتوحدت ديارها مرة أخرى. لكن المشكلات الفكرية ظلت جذورها وجراثيمها حية قادرة على الفتك بها عند أول بادرة ضعف تبدو عليها، لأن الدولة كانت تنشغل على الدوام بتوطيد الحكم ومقاومة الأعداء والإقتصار على الجانب القضائي الفقهي من الإسلام وما يمكن تسميته بالجانب المدني أو ما يسمى في أيامنا هذه بالقانون المدني أو أحكام القانون المدني، وإخضاعهما أي الجانبين القضائي والمدني للأحكام الفقهية المستمدة من الأصول الشرعية. فيكون ذلك هو نصيبها من الاسلام.

أما الجانب السياسي فقد بقي بعيدا عن الاسلام، مخالفاً لمنهاج النبوة. وكذلك الجانب الفكري فلم تُعد الأمّة بناء المنظومة الفكرية، ليعود العقل المسلم إلى تألقه وفعاليته منطلقاً بالتصور الإسلامي السليم في عملية البناء الحضاري، وبقيت حية سائر أخطار مفاهيم الجبر والقدر، والصراع بين النص والعقل، وإهدار قيمه العقل الإنساني، وإرادة الإنسان، وإهمال دور الأسباب، وإختلال النظر إلى الإنسان والكون والحياة، والإهتمام بالأشكال الفقهية عن الأهداف والمقاصد الشرعية، وقبول الأمر الواقع بسلبية المستسلم بدلا من إيجابية المجاهد، بل لقد تم تأصيل بعض المفاهيم الخاطئة. فبإسم الإحتياط وسد الذرائع أخضع الناس للجبابرة وبإسم الإجماع السكوتي إستبد الطغاة وادعّوا تمثيل الأمة الساكتة او المسكّتة بالقوة. وبإسم الخوف من أخطاء الإجتهاد رسخ التقليد في كل شيء. وبإسم الخوف على وحدة الأمّة طولب بقبول إمامة الجور والجبر وأُعلنت شرعية أحكام الجائرين والمتجبرين والمستبدين، وضمُر الفقه الفكري، والفقه السياسي، وفقه بناء الأمة، والفقه الأصولي والمنهجي، لحساب النمو السرطاني للجدل الكلامي، والفقه التعبدي، والفروعي، والجزئي، فكان من الطبيعي أن تعود الأمة إلى التراجع من جديد بعد أن يخبو بريق الإنتصارات العسكرية. لذلك فإن فتوحات الدولة العثمانية وغلبتها العسكرية لم تستمر إلا بضعة عقود من السنين لتبدأ دورة تراجع جديد إنتهت بتمزق الأمة الكامل، وإنهيار آخر رمز سياسي لوحدتها التي لم تكن كاملة وذلك في أعقاب الحرب العالمية الأولى في مارس عام ١٩٢٤ (٢).

وقبل ذلك كانت بعض أجزاء الأمة تعاني، وبعده كانت أجزاء أخرى تعاني من فقدان إستقلالها، وتمزق وحدتها وتخلفها وعجزها على دركات متفاوتة. لكن من أهم خصائص هذه الأمة أنها لا تفقد إرتباطها بدينها كلية، فمهما كثرت الإنحرافات وتنوعت الإتجاهات تبقى طائفة منها على الحق ظاهرة، قلت أو كثرت لايضرها من خالفها. وفي ضمير هذه الطائفة تستقرقضاياها الكبرى مثل وحدة الأمة، وشهودها، ووسطيتها، وعدالتها، وغير ذلك من صفاتها، فهذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا تجتمع على خطأ على الإطلاق. ولا تضمحل قيمها، ولا تنتقض سائر عراها تماماً، بل تبقى طائفة منها ظاهرة على الحق مهما كلف الأمر.

ولذلك فإن كثيراً من المصلحين نادوا بوجوب إصلاح فكر الأمة وعقيدتها ومناهج ونظم حياتها، ومن آواخر تلك الأصوات التي سبقت انهيار سلطنة آل عثمان ولم تفلح في إنقاذها، كان صوت أولئك العلماء الذين حاولوا في بلاد

---

(٢)هذا اليوم لو وقع لدى أية أمة أخرى لاتخذته يوم حداد عام ليذكرها بوحدتها الغائبة جيلا بعد جيل، وما جرته عليه مشكلات التمزق والفرقة .

إسلامية كثيرة أن يفعلوا شيئاً كثيراً فلم يفلحوا، ومنهم السيد جمال الدين الأفغاني(١٢٥٤-١٣١٤هـ/١٨٣٨-١٨٩٧م) وغيره ممن نددوا بالإستبداد السياسي وكشفوا عن عواقبه الوخيمة ودعوا إلى وحدة المسلمين وإصلاح نظامهم السياسي، ومعالجة أزمتهم الفكرية، وبين يدي الآن بعض مقالات السيد الأفغاني أرجو أن لا تملوا من أن تستمعوا إلى فقرات منها لتروا ما إذا كانت أمتنا قد تقدمت أو تدهورت بعد عشر سنوات ومائة سنة!!. كانت هناك جريدة في باريس أسمها "أبو نظارة زرقاء" كتب فيها السيد مقالة بعنوان "الشرق والشرقيون" عام ١٣٠٠ هـ، صدرها بمقدمة طويلة تحدث عن الإنسان وكرامته وعن عقله وأهميته، وأهمية إستخدام الإنسان لعقله، كما تحدث عن النفس الإنسانية، وشرف الإنسانية وكرامتها ،وكيف كرمه الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات فكأنه يمهد ويوضح انعكاسات الأزمة الفكرية عل الأمة الإسلامية، ثم قال بعد ذلك " إن الشرق بعد أن كان له من الجاه الرفيع سقط عن مكانته، و إستولى الفقر والفاقة على ساكنيه، وما غلب الذل والإستكانة على عامريه ولا تسلطت عليه الأجانب ولا إستبدت بأهله الأباعد، إلا لإعراض الشرقيين عن الاستنارة بعقولهم، وتطرق الفساد إلى أخلاقهم. فإنك تراهم في سيرهم كالبهائم لا يتدبرون أمراً ولا يتقون في أعمالهم شراً، يكدون لجلب النافع ولا يتجنبون عن المضار، طرأ على عقولهم السبات ووقفت أفكارهم عن الجَوَلان في إصلاح شؤونهم، وعميت أبصارهم عن إدراك النوازل التي أطاحت بهم، يقتحمون المهالك ويمشون المداحض، ويسرعون في ظلمات هوتها نفوسهم ونشأت عن أوهامهم المضلة، ويتبعون في مسالكهم ظنوناً قادهم إليها فساد طبائعهم. لا يحسون المصائب قبل أن تقصم أجسادهم، وينسونها كالبهيمة بعد زوال آلامها، وإندمال جراحها، ولا يشعرون- لاستيلاء الغباوة على عقولهم وسيطرة ظلمات غشاوة الجهل على بصائرهم -باللذائذ التي خص الإنسان بها من حب الفخار، من طلب المجد والعزة، وابتغاء حسن الصيت، وبقاء الذكر، بل لاستيلاء الغفلة على عقولهم. يحسبون أن يومهم الذي هم فيه هو كالسارحة، هكذا شأنهم لا يدرون عواقبهم ولا يدركون مآل أمرهم، ولا يحذرون ما يتربص بهم عن أمامهم ومن خلفهم، ولا يفقهون ما يضمره الدهر لهم من الشدائد، لذلك تراهم قد رأوا الذل، وألفوا الصغار، وأنسوا الهوان، وإنقادوا للعبودية، ونسوا ما كان لهم من المجد المؤثّل، والمقام الأمثل. لقد إنهمكوا في الشهوات الدنيوية، وغاصوا في اللذات البدنية، وتخلقوا بالأخلاق البهيمية، وتوسدوا الكسل والفشل، واتصفوا بصفات الحيوانات الضارية: يفترس قويهم ضعيفهم، ويتعبد عزيزهم ذليلهم، يخونون أوطانهم، ويظلمون جيرانهم، ويستلبون أموال ضعفائهم، ويخيسون بعهودهم، ويسعون في خراب بلادهم، ويمكنون الأجانب من ديارهم، لا يحمون غماراً ولا يخشون عاراً، عالمهم جاهل، وأميرهم ظالم، وقاضيهم خائن، ليس فيهم هاد يرشدهم إلى سبيل النجاة.." ، ثم تعرض في صفحات عديدة إلى الخيانات بين الدول والحكومات التي كانت قائمة تلك الفترة فيقول:- "إن العثمانين إتفقوا مع الروس على إقتسام بلاد إيران!! حين تغلب الأفغانيون على أصفهان أيام الشاه سلطان حسين، ولو نظروا بمنظار التدبر إلى الأمة الروسية ومالها من العلاقات مع اليونان والرومان وغيرهم من رعايا السلطنة العثمانية، ومايمكن أن تحوز في مستقبل أمرها من القوة والبسطة ما اختلج في بالهم محالفتها ولاخطر في أذهانهم مؤامرتها" ويستمر السيد الافغاني موضحا: كيف كان حكام تلك الفترة وما قبلها يتحالفون مع قوى عظمى وهم في غفلة من نتائج هذه التحالفات فيقول: "ذهل العثمانيون تهاوناً منهم عن العلاقات التامة التي كانت بينهم وبين الهنود، وأن سلطنتهم لو امتدت إلى تلك الممالك لدخل جميع حكامها بلا معارضة تحت لوائهم وقدروا حينئذ على قلع الحكومة الإنجليزية في الهند، وسدوا عليها طريق فتوحاتها في الشرق، وشاه إيران فتح بلاده إلى الإنجليز إرضاء

للإنجليز. وهدد الأفغان بالحرب"أهـ. ونترك مصائب عصر السيد الافغاني، وما ذكره من مآسي تلك الفترة، ولكن المنكي المبكي أنك حينما تقرأها اليوم فكأنك تقرأ حال الأمة في أيامنا هذه، من حيث الخلق، والسلوك، والعلاقات بين الحكام والمحكومين والاحزاب والجماعات والأفراد: مائة وعشر سنوات مضت وحال الأمة تسير من سيء إلى أسوء فأين نحن الآن؟

النقطة الرابعة:

أدبياتنا السابقة خلال الفترة الماضية التي تفصل بين عصر الأفغاني وعصرنا ماذا نجد فيها؟ نجد فيها أهم القضايا المطروحة كان علماؤنا وكتابنا ومفكرونا يعالجونها.

-الوحدة الاسلامية أو العربية بين الشعوب العربية على مستوى المنطقة العربية.

- الوحدة الاسلامية أو العربية الشاملة أو الجزئية في مقابل التجزئة.

- العدل الإجتماعي أوالنظام الاقتصادي أو اللاربوي الاسلامي أو الإشتراكية كما يسمونها في مواجهة الإستغلال أو التفاوت الاقتصادي والنظم الاقتصادية الغربية.

- الهوية والأصالة في مواجهة قضية التغريب والعلمنة.

- الحرية أو الديمقراطية أو الشورى أو التعددية في مواجهة الإستبداد والقمع السياسي.

- الإستقلال والتحرر ومقاومة الإستعمار بكل أشكاله المختلفة.

- التقدم والنهضة والمعاصرة في مواجهة التخلف والتراث وأعبائه.

- ثم اخيراً قضية فلسطين وتحريرها وهل هي مهمة فلسطينية عربية أو إسلامية.

إن عامة كتّابنا ومفكرينا وصحافتنا خلال العقود الماضية، كانت هذه الموضوعات تمثل موضوعاتهم الأساسية، وقضاياهم الرئيسية، وكل المشاريع التي صيغت من أجلها ،وحولها دارت برامج أحزابنا وفئاتنا والإنقلابين العسكريين والحزبيين الملكيين السلطانيين والخلافيين والاسلاميين وغير الاسلاميين، كل هؤلاء كانت هذه القضايا تشكل المشاريع الأساسية التي تدور حولها جهودهم ويحاولون أن يقدموا رؤيتهم فيها بشكل بآخر.والبيان رقم (١) في كل إنقلاب يقع، يشجب الانقلابيون الحكومة السابقة التي قضي عليها، ويصفونها بأنها كانت ضد الوحدة أوضد الحرية والديمقراطية أو ضد العدالة الإجتماعية أو بالاستبداد والظلم والاستعباد ومصادرة الحريات ليأتي البيان الآخر بنفس الشكل والمضمون، ولكن دون تغيير واقعي.

إن السؤال العتيد الذي كان السيد جمال الدين الأفغاني ومن سبقه يرددونه كثيرا هو: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ وأطروحاتهم كلها كانت تدور تقريباً حول ذلك، حين نلاحظ هذه الأهداف-اليوم- ماذا نجد؟ أين نحن منها؟ بغض النظر عن منطلقات تحقيقها! بغض النظر عن الجماعات وإختلافها والأحزاب وبرامجها، فإننا نجد إجماعاً أو إتفاقاً على الأقل بين المفكرين على إختلاف إتجاهاتهم، على أن حصاد العقود الماضية في هذا المجال كان ضعيفاً جداً بكل المقاييس لولا أن ديننا يدعو الى التفاؤل لقلنا: انه يدعو إلى اليأس ولكن " **لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**" سورة يوسف آية١٢.

النقطة الخامسة:

حينما نادى الغربيون بأن هناك صحوة إسلامية، وهم كانوا يتخوفون من أن هذا المارد الذي قضوا عليه " الأمة

الإسلامية" حين إقتسموا سلطنة آل عثمان، وفرضوا إتفاقية "سايكس -بيكو" تلك الاتفاقية التي بمقتضاها أقاموا تلك الدويلات- التي تتوزع الآن ولاءنا ومقدراتنا- وأوجدوا تلك الحواجز والحدود والأوطان التي نتقاتل على ترابها الذي يصرخ بوحدتنا، كان الغربيون يظنون أن هذة الأمة الإسلامية لن تتحرك مرة أخرى بإتجاه التوحيد. فحينما رأوا بعض البوادر -وهم أهل حزم وعقل ونظر مستقبلي ليسوا مثلنا- حين رأوا أن نوبة التدين العالمية قد مرت ببلادنا وكثر المنادون بالعودة إلى الإسلام في صفوفنا تنادوا بالنذر وأطلقوا أن هناك صحوة اسلامية في هذا العالم فأعدوا لها العدة، فسارعنا في ترديد ما قالوا وظننا ان هناك صحوة إسلامية حقيقية فعلاً، وأننا على مقربة من تحقيق الشهود الحضاري أو العالمية الاسلامية الثانية. فالحضارة الغربية ساقطة منهارة أو آيلة إلى السقوط، والشيوعية سقطت، فمن الموجود غيرنا؟ نسينا أن هناك اليهود يعدون أنفسهم لهذا الدور، ونسينا اليابان، وأوروبا التي خرجت من الحرب فوراً وبدأت تبحث عن الطريق الذي توحد فيه نفسها وتجعل من نفسها دولة واحدة، في سياستها، وفي إقتصادها، في كل شيء وها هي قد قاربت تحقيق ذلك. نسينا كل هؤلاء المنافسين الخطرين ونسينا مؤهلاتهم وتوهمنا أن مجرد حمل اسم الإسلام يؤهلنا لهذا الدور بين هذه "الدول" الست والأربعين "المِزَق" التي أصبحت موضع السخرية في العالم كله. الدول التي لا تستطيع معظمها أن تقطع أمراً دون أعدائها، الدول التي يوجهها أعداؤها في كل شيء حتى إلى حتفها! واستطاب الكثيرون من أن يعتبروا المسلمين-بوضعهم هذا- المرشح الوحيد لقيادة العالم. أي مؤهل نحمله لهذا؟ وقد تخلينا عن ديننا وخيريتنا ووحدتنا، ووسيطتّنا، ولم نعد إلاغثاءاً كما قال عليه الصلاة والسلام " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. قلنا أومن قلة نحن يومذاك يا رسول الله! قال لا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قلنا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت"(٣). هذا الحديث الشريف يصف حالة الغثائية فالغثاء الذي يجرفه السيل مجموعة متنافرة من جيف، وأخشاب، وأمور مهملة لا تستطيع أن تحقق بها شيئاً ولا تستطيع أن تحقق بها أي مهمة مهما كانت. فهذه الغثائية هي الحالة التي نحياها الآن.

النقطة السادسة:

أيها الأخوة والأخوات..

هناك إتفاق آخر على أن المنطقة العربية حتى قبل الأحداث الأخيرة لا تزال بعيدة جداً عن تحقيق هذه الأهداف الكبرى المنتظرة منها في ظل سائر المشروعات التي كانت قد قدمت، وأرجو أن لا يغضب إخواني حين أقول: أنه حتى المشروع الإسلامي الذي نادينا به "الإسلام هو الحل" اكتشفنا أننا مع وجود الحل في الاسلام فإن عقولنا لا تزال قاصرة عن الوصول إليه، ولا تستطيع أن تجسده، أو نقدمه كبرنامج للأمة تتبناه، ولم يستطع هؤلاء أن يعيدوا النظر في برامجهم ويسألوا أنفسهم لماذا لم يستطيعوا أن يحدثوا التغيير المطلوب في الأمة ودفعها إلى تبني مشروع حضاري إسلامي كامل تستطيع أن تعود به الى خيريتها ولماذا عجزوا عن تقديمه حتى الآن؟

مع أن هناك محاولات قد قامت بها بعض الفئات الإسلامية وبعض الأشخاص لسد بعض هذه الثغرات ولكن لم يستطع ذلك أن يأخذ الزخم المطلوب ليتحول إلى مشروع للأمة تتبناه ولم يستطع هؤلاء أن يعيدوا النظر في برامجهم

---

(٣): أخرجه الإمام أحمد في السند وابو داود عن ثوبان على مافي الفتح الكبير (٣-٤٣٨)

ويسائلوا أنفسهم لماذا لم يستطيعوا أن يحدثوا التغيير المطلوب في الأمة ودفعها إلى تبني مشروع حضاري إسلامي كامل تستطيع أن تعود به إلى خيريتها.

لقد كشفت كارثة الخليج الأخيرة سائر عورات هذه الأمة.. عورات أنظمتها وشعوبها وأحزابها وهيئاتها ومفكريها وعلمائها وأطروحاتها الفكرية ومشاريعها الحضارية؛ نعم سقطت سائر أوراق التوت- كما يقولون - وإذا كان في هذا الأمر أثاره من خير فهي في كشف سوآتنا لنا، هذه السوءات التي كان يغطيها الضجيج العالي برقم المسلمين الذي جاوز المليار منذ سنوات، وصحوة المسلمين التي اصبحت حديث الخاص والعام، وصحوة الاسلام السياسي، والاسلام الاقتصادي، والبديل الاسلامي وغير ذلك. كل هذه الأصوات تبين أنها لا تعبر عن حقائق- لقد استطاع أعداء الأمة أن يجمعوا أعواد هذه الأمة عوداً عوداً، وأن يختبروا مقوماتها واحدا بعد آخر ليتأكدوا في المرحلة الأخيرة- وهي أزمة الخليج أن ذلك الأسد الإسلامي- الذي كانوا يخافونه ليس أكثرمن جلد أسد محشو بقش ومواد محنطة، فقد حقيقته من زمن بعيد، لم يعد لدى المسلمين من الإسلام إلا رسومه وأشكاله، وأن جهودهم- أعني الغربيين- التي بدأت منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) قد آتت أكلها ونضجت ثمارها، وقضت على الحقيقة الإسلامية التي كانت تحرك هذه الأمة وتتحرك بها. فالرابطة الإسلامية قد أبيدت وتم القضاء عليها، وأصبحت جسداً بلا روح، ووقعت شهادة وفاتها يوم تطوع العراق بقيادة حزب "البعث العربي الإشتراكي" للقضاء على الثورة الإسلامية في إيران نيابة عن العالم الغربي وأصدقائه، ودفاعاً عن الحضارة الغربيةالمعاصرة وقيمها!! فخاض حربا ضروسا جاوزت ثماني سنوات ساندته فيها أموال الخليج وشعوبه وأريق فيها من دماء الشعبين وأموالهما وأموال جيرانهما ما جاوز ما أريق وما أنفق من دماء وأموال سائر الشعوب التي شاركت في الحرب العالمية الثانية وحلفائها. وبمجرد أن توقفت الحرب بين حزب البعث وإيران وأعلنت شهادة وفاة الأخوة الإسلامية، بدأت التحضيرات لحرب تعلن شهادة وفاة بقايا القيم الاسلامية التي تتعلق بالوحدة والولاء والبراء والجوار وكذلك قيم العروبة والوطنية والعشائرية وحتى الحزبية، والإنسانية العادية.

والغريب أن هذه العمليات الصراعية -في الآونة الأخيرة- لم تقتصر على الحكام وحدهم، ولكن هناك جهوداً قد بذلت ولاتزال تبذل لتحويلها إلى معارك وأحقاد وكراهية دائمة راسخة بين الشعوب وبين الأحزاب وبين القوى المختلفة.

ولعل الأنكى والأمر أن كثيراً من الفتن السابقة لم تستطع أن تستدرج منظومة القيم الإسلامية إلى ساحة الصراع، ولكن الفتنة الكبرى قد تجاوزت مداها كلها لتستدرج القيم الاسلامية في الأخوة والعدل والتحرر والولاء والبراء والجهاد وغيرها إلى ساحةالصراع فتحول إلى أجزاء نسبية في أحجار الصراع وأسلحة المتصارعين ولم يستطع حراس القيم الاسلامية من علماء وحركات وفئات إسلامية وغير رسمية أن ينأوا بأنفسهم وبالقيم التي يمثلونها ويدعون إليها عن ساحة الصراع فيحفظونها نقية ثابتة منزهة عن التوظيف السياسي والحزبي الرخيص لعل الأمة تستطيع أن تحفظها في ضمائرها لتعود إلى نقائها وصفائها ونورها وهدايتها بعد أن ينجلي الغبار، ويبدأ البحث عمن يقيل العثار.

لقد مثلت هذه الكارثة الأخيرة إنهيار مفهوم الأمة الإسلامية بكل المقاييس إنهياراً حول المنطقة العربية خاصة من دار السلام الى جحيم للجميع، فالتوتر دائم، والصدام مستمر، والنزاعات لا حل لها، وليس هناك وسيلة للاتصال بين العرب إلا العنف في كل أشكاله، إنها الفتن التي تجعل الحليم حيران.

ولكن ما هو سبيل الخلاص؟ لا أزعم لنفسي أن لدي مشروعا أتقدم به ولا أظن أن ذلك مطلوب مني الآن، لكن

ما نريد أن ننبه إليه الآن هو أن نتعلم كيف نصوغ مشاكلنا بصورة أسئلة تجعلها تلح على عقولنا، وتستدعي وتستجيش كل ما لدينا من طاقة للتفكير، وللتأمل، والتدبر، والحوار المشترك بين فصائل الأمة كافة، علنا نصل-معا- إلى بعض الإجابات عن هذه الأسئلة:

- أين الخلل في مشروع نهضة هذه الأمة أو مشاريع النهضة التي عُرِضت ، وما هو؟ كفانا تلاوماً وكفانا مزايدات من بعضنا البعض في سبيل الكسب الحزبي أو الفئوي أو القطري، وكفانا تكفيراً وتبديعاً او تفسيقاً ولنتجه بشكل مباشر إلى مشكلاتنا من خلال تلك الأطروحات التي سلخنا ما يزيد عن القرن ونحن نرددها دون أن نحقق شيئاً، ولنحاول أن نبحث لتساؤلات عن جواب.

لقد اعتبر الكتاب المنسوبون إلى الفصيل التقدمي-منا- أن بداية-عهد النهضة الأخيرة هي إحتكاك فرنسا بمصر أثناء الغزو الفرنسي النابليوني (عام ١٧٩٨) هل هذا صحيح؟ هل من الممكن القول بأن المشروع النهضوي- كله- ما بدأ إلا بعد الغزو الفرنسي وأن الأمة المسلمة كانت أمة جاهلة غبية لم تعرف النهضة إلا حين دخل عليها مستعمر غازٍ، فبدأت تتعرض للحضارة. وهل يمثل الاستعمار والاستكبار رسالة حضارية ومتى، وكيف، ومن هو المستعمر الذي مثل هذا؟ هل يمكن أن نعتبر ذلك مجرد تحدٍ استفز في أمتنا بقايا الحس الحضاري؟ وكيف ولماذا ولِمَ لَمْ توقف الأمة في أي أجزائها إلى تحقيق شيء من هذه الأهداف كما حقق اليهود-مثلا- كيانهم؟

ما أثر مفاهيم الحداثة والتقدم والنهضة وفق النموذج الغربي في الحالة التي نعيشها اليوم؟ وكيف نخرج من حالة التبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية للغرب؟

- كيف نتخلص من الإستبداد السياسي وحكم الفرد الذي أصبح يهدد كل مقوماتنا؟ أي إستبداد كان وأي فرد كان سواء سمى رئيساً أو حاكماً أو أميراً أو سلطاناً أو رفيقاً أو أخاً، وهل لدينا تصور أو برنامج للخروج من إطار الاستبداد السياسي وغيره؟

الله سبحانه وتعالى يقول **"كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه إستغنى"**، وأسوق هنا بعض ما قال المرحوم سيد قطب في حق فرعون عندما قال **"أنا ربكم الأعلى"** قال سيد: (قالها الطاغية مخدوعاً بغفلة جماهيره وإذعانها وإنقيادها فما يخدع الطغاة شيء مثلما تخدعهم غفلة الجماهير، وذلتها، وطاعتها، وإنقيادها، وما الطاغية إلا فرد لا يملك في الحقيقة قوة ولا سلطاناً، إنما هي الجماهير الغافلة الذلول تمد له ظهرها فيركب، وتمد له أعناقها فينحر، وتحني له رؤوسها فيستعلي، وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغى، والجماهير تغفل هذا مخدوعة من جهة وخائفة من جهة أخرى وهذا الخوف لا ينبعث إلا من الوهم، فالطاغية وهو فرد لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف والملايين لو أنها شاركت بإنسانيتها وكرامتها وعزتها وحريتها وكل فرد فيها هو كفء للطاغية من ناحية القوة، ولكن الطاغية يخدعها فيوهمها أنه يملك لها شيئاً. ولا يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة أبداً. ولا يمكن أن يطغى فرد في أمة رشيدة أبدا، ولا يمكن أن يطغى فرد في أمة تعرف ربها، وتؤمن به، وتأبى أن تكون تبعا لواحد من خلقه لا يملك لها ضراً ولا رشداً. فأما فرعون فقد وجد في قومه من الغفلة والذلة وخواء القلب من الإيمان ما جرُء به على قول هذه الكلمة الفاجرة الكافرة " أنا ربكم الأعلى" وما كان يقولها ابداً لو وجد أمة واعية كريمة مؤمنة، تعرف أنه عبد ضعيف لا يقدر على شيء، وإن يسلبه الذباب شيء لا يستنقذه منه. وإستخفاف الطغاة بالجماهير أمر لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنها الحقائق حتى يعلمونها النسيان، ولا يعودون يبحثون عنها، ويلقون في روعها ما يشاؤون من المؤثرات، حتى تنطبع نفوسهم بهذه

المؤثرات المصطنعة، ومن ثم يسهل إستخفاف الطغاة بها، ويلين قيادها لهم فيذهبون بها ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين). (٤).

وها هي اليوم وقد مردت على الذل واستنامت للطغاة تنتقل من سيء إلى أسوأ ومن خراب إلى دمار، ويسير بها الطغاة ذات اليمين وذات الشمال يرونها الأبيض أسود والأسود أبيض ولسان حال كل منهم يقول: "ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.."

وها هم الأئمة المضلون يقودون هذه الأمة من حرب الأخ إلى سفك دم الشقيق إلى هتك عرض الإبنة واستباحة حرمات الأم. يسفكون دماءهم ويخرجون أنفسهم من ديارهم، ويتظاهرون على الإثم والعدوان ومعصية الرسول (ص)، والأمة حيرى تلتمس الهداية فلا تجدها، فالقراء ضلوا، وتوزعهم الحكام، ومصادر الهداية قد تراكم عليها من مقولات التراث وأفكاره ما حجب عن الأمة فهمها وحال بينها وبين الوصول إلى النور الذي تشتمل عليه والهداية الكامنة فيها وقيادات الأمة الفكرية والحزبية لا تزال سادرة فيما هي فيه متشبثة بشعاراتها وأطروحاتها وتوازناتها التنظيمية والإقليمية تنسب أسباب الفشل إلى الخارج، وترفض مراجعة الداخل، وإذا راجعت فإنها المراجعة السطحية العابرة التي تستهدف أول ما تستهدف الدفاع عن الذات وتبرئتها ونسبة الفشل وأسبابه إلى الخارج أي خارج كان فإن لم تجد خارجاً تنسب إليه فشلها ففي الإحالة على الأقدار والظروف أو الغيب مناص!!

النقطة السابعة:

إن هزيمة حزيران ١٩٦٧ م كانت خطا فاصلا بين التكوين النظري والمنهجي القومي والإقليمي وسائر أطروحات التشطير للأمة الإسلامية، ولذلك بدأت الأمة بعدها تتخلى عن سائر الأطروحات الفكرية التي أفرزها الانهيار الحضاري والغلبة الحضارية للغرب في القرنين الأخيرين.

ولقد حاول حزب البعث أن يقوم بمحاولة أخيرة لتجربة الخليط المجتمع والمتبقي من تلك الأفكار ويجعل منها أطروحة نظرية ومنهجية بديلة تأخيراً للمد الإسلامي ووقوفاً بوجهه، ولكن إثنين وعشرين سنة تجارب الحزب في العراق وسبعا وعشرين سنة من تجاربه في الشام لم يزيدا الأمة إلا قناعة بفشل ذلك التكوين النظري والمنهجي اللذين قام الحزب بشطريه عليهما، وإنه لن يكون بديلاً أفضل رغم سائر محاولات الترقيع التي قام بها منظرو الحزب، وحاولوا فيها تركيز سائر الأفكار القومية العربية وبقايا الماركسية اللينينية وبعض المشاعر الإسلامية والمذهبية ليشكلوا منها إطاراً نظرياً ومنهجياً لبعث الأمة من جديد، ولكن الحزب لم يلبث أن أعلن عجزه واستسلامه، بل وتخليه عن أهم أهدافه: "الوحدة" حتى بين القطرين اللذين تتحكم في قيادتهما القيادات البعثية. ثم أعلن تخليه عن بقية أطروحاته حين أعلن رئيس النظام البعثي في العراق عن تبنيه للإسلام!! وإعلانه بكل ما استطاع أن الإسلام هو الحل.

أما الشق الذي يحكم بلاد الشام فقد أعلن انضمامه إلى "الحلفاء" الذين قرروا قتال الرفاق البعثيين، انضم إليهم مع من كان تبرأ منهم من أعداء الأمس، ويضفي عليهم كل صفات العمالة، انضم إليهم بدوافع لا يعلمها إلا الله والراسخون.

---

(٤) ان بين ما قاله السيد الأفغاني وما قاله سيد قطب عليهما رحمة الله ما يقرب من قرن

إن ما بعد هزيمة (١٩٦٧) جعل الإسلاميين في الداخل العربي والإسلامي بديلا غير منازع في ضمير الأمة عن كل تلك الفصائل، ورشح أطروحة الإسلاميين: "الإسلام هو الحل" لتكون البديل عن سائر أطروحات من سبقهم، وبدأت الصفوف الإسلامية تشق طريقها نحو قيادة الأمة، وكان المؤمل والواجب أن يبادر العقل السليم إلى التقدم بمشروع إسلامي حضاري كامل تتبناه الحركات الإسلامية، وتتقدم به إلى الأمة لتفجر طاقاتها به وتستقطبها حوله لتحقيق أهداف الأمة الكبرى التي قصرت المشاريع الأخرى عن تحقيقها مثل الوحدة والتحرر الكامل في الأرض والفكر والعقل والثقافة، والإرادة والسيادة، وتحقيق العدل، والشورى، وكرامة الإنسان، وبناء القدرة الإسلامية وتجاوز حواجز التخلف ومعالجة آثاره في كل جوانب الحياة- حتى إذا واتتها الفرصة في أي بلد استطاعت أن تبدأ فوراً بتقديم برامجها ومشاريعها الحضارية لتلمس الأمة الفوارق بين الإسلاميين وسواهم وبين أطروحاتهم وأطروحات من عداهم، ودخل الإسلاميون البرلمانات في كل بلد استطاع حكامه أن يمنحوا محكوميه شيئاً من الحرية- دخلوها محمولين على أعناق الجماهير مؤيدين بكامل إرادتها وكان ذلك مؤشراً كافياً بأن الحريات السياسية سبيل الإسلاميين لتسلم زمام قيادة الأمة: فحمايتها وتكريسها والدعوة إليها، وتحويلها إلى هدف سياسي من أهداف القوى الإسلامية يجب أن يصبح واحداً من دعائم بنائها، وجزءاً من مشروعها الحضاري.

وبدأ الإسلاميون يمارسون العمل السياسي، وانتظر الناس مشاريعهم بلهفة ما بعدها لهفة- فإذا بعامتهم لا يحملون معهم من المشاريع إلا ما كانوا يحملونه وهم دعاة يدعون الجماهير ويعظونها ويذكرونها بالواقع التاريخي الإسلامي الزاهر، فإذا جاوزوا ذلك فإنهم يجاوزونه إلى ما عرف "بتطبيق الشريعة". و "تطبيق الشريعة" في نظر الأكثرين يعني تطبيق الحدود والتعازير الشرعية على أمل أن تطبيق ذلك سوف يرضي الله تعالى. آنذاك سييسر الله سبحانه وتعالى معالجة سائر المشكلات ويخذل سائر الأعداء، ويحقق جميع الآمال. ولا شك ان الذي يحيى العظام وهي رميم قادر على كل شيء، ولكنه جلت قدرته قد وضع لهذا الكون وهذه الحياة سنناً، منها سنة التدافع بين الناس لتمكين الدين: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع..".

ومن سننه جل شأنه أنه ينزل للناس الدين ويرسل إليهم الرسل، ويدعوهم إلى التدين به فهم الذين (أي الناس) يتلقونه ويتفهمونه ويفقهونه ويحولونه إلى سلوك ونظم ومناهج حياة سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية وقانونية وواقع يعيشه الناس بقناعتهم وايمانهم ومن خلال فهمهم لأنفسهم والواقع ولسائر ما حولهم، ويتم ذلك بوسائلهم وشروطهم وأدواتهم وجدهم واجتهادهم وقدراتهم وبدون ذلك يبقى الدين محفوظاً، ولكن يختل التدين به أو يندثر.

والنصر والبركات ثمرات تدين حقيقي شامل كامل يتناول كل جوانب الحياة ويشكل الجانب القانوني واحدا منها، لا كلها، وتصحيح الاعتقاد، وبناء الفكر، وتكوين الثقافة تشكل المنطلقات الأساسية لتغيير ما بالنفس لتدور عجلة التحول نحو الأفضل بعد ذلك.

فكان الناس يتوقعون من القيادات والحركات الإسلامية أن تبادر إلى تعويض ما فات والتقدم بمشروعها الحضاري الإسلامي الكامل الذي يعني تنزيل الإسلام على واقع المسلمين، وتحويله إلى نظم ومناهج بديلة تحدث عملية التحول الكامل في الأمة لتبدأ انطلاقتها وعالميتها الثانية وتستأنف حياتها الإسلامية فتبدأ النظم والحدود المصطنعة والهياكل الهالكة تتهاوى من أمامهم وتبدأ مرحلة العالمية الإسلامية الثانية والشهود الحضاري الإسلامي الجديد- الذي لن

يشكل إنقاذا للأمة الإسلامية وحدها، بل للبشرية عامة- البشرية التي تبحث بجد عن البديل الحضاري لهذه الحضارة المستبدة الطاغية التي سقط شقها اليساري سقوطاً سريعاً، وها هو شقها الغربي الآخر يبدأ ميلانه نحو السقوط معلناً فشله في معالجة المشكلات الاقتصادية ومشكلة الانسان في الوريث القائم اليوم على حراسة هذه القيم الغربية- أمريكا- التي قد لا يمر وقت طويل حتى يشهد العالم تراجعها كقوة أولى عظمى في العالم. ولكن الحركة الإسلامية العالمية لم تفعل ذلك ولم تحقق من آمال وأماني جماهير الأمة إلا القليل.

وإذا أرادت الحركة الإسلامية العالمية أن تحافظ على بقايا ثقة جماهير الأمة بها فلابد لها من استنفار جميع الطاقات الإسلامية العقلية والفكرية والثقافية وتجنيد الخبرات لرسم معالم المشروع الإسلامي البديل بأقرب وقت قبل أن تبدأ الجماهير مرحلة الإنصراف عن أبوابها. إن الزمن لا يتوقف وإن الجماهير لن تصبر طويلاً والأحداث من حولها تتسارع والضغوط من كل جانب تزداد باحثة عن الحلول، ومنتظرة للمعالجات الإسلامية الناجعة.

النقطة الثامنة:

أود أن لا أغادر هذه المنصة قبل أن أترك في أذهانكم الأسئلة التالية:

- ماهي المؤثرات والمقومات التي يمكن تحديدها لعوامل مشتركة يمكن أن تحملنا على التفاعل مع زماننا في مواقعنا المختلفة لنبني مستقبلنا؟

-ما هي الدراسات المطلوبة لنصبح قادرين على فهم تلك المؤثرات والمقومات؟وما مجالاتها؟

- ما هي البرامج التربوية والتعليمية التي نحتاجها لإيجاد الإنسان القادر على تمثل ذلك- كله- أي تنزيله على الواقع؟

- ما هي المؤسسات الثقافية والتربوية والتعليمية التي لابد من إقامتها لتحقيق ذلك الهدف؟

-ما هي علاقتنا بالآخر وكيف نميز بين العداء والتعامل، والانفتاح والانغلاق، والانغلاق والاحتياط؟ وكيفية الاستفادة من الآخر وحدودها، وفي أي المجالات تكون هذه الاستفادة؟ وكيف نبني شبكة اتصالنا الثقافية والحضارية؟

- كيف نعيدالجدية الحضارية لأمتنا؟

- ما هي الرؤية الحضارية الإسلامية، وكيف نرد الاعتبار لحضارتنا الإسلامية؟ وكيف نحولها من حقيقة تاريخية ماضية إلى حقيقة تاريخية معاصرة قابلة للتجدد واستعادة الفاعلية الحضارية للأمة؟

- كيف نعيد فاعليةالتعامل إلى منابع الصياغة المعرفية والثقافية والحضارية والتجديد في بنائنا العقلي والمنهجي؟

- كيف نقدم البدائل والحلول المناسبة التي تنسجم وطبيعة كل كيان اجتماعي حضاري؟

- كيف نوجد التناسق والتوافق بين الكيانات الاجتماعية الحضارية الإسلامية، ونرتقي بها وفق خطة مدروسة حتى نتمكن من جمع هذه الكيانات وتوحيدها سياسيا في زمن منتظر؟

- كيف نوظف عمليات فهم الواقع في جهود ترشيد الواقع والرقي به؟

- كيف نحقق الفاعلية في شعوبنا رغم كل المعوقات، وكيف نزود طلائعنا الإسلامية بالأدوات والوسائل التحليلية التي تمكنهم من معالجة المسائل التنظيمية والأدائية التي تحقق تلك الفاعلية في الأمة؟

- كيف نزود طلائعنا الإسلامية بالقدرة اللازمة لفهم وتحليل الظواهر الاجتماعية والإنسانية، وطرائق التعامل

الإيجابي معها؟ وتجاوز موقع الناظر المتفرج والناظر الفاحص أو الواصف إلى موقع الناظر المرشد والخبير القادر الموجه؟

أما وقدانتهى الوقت المخصص لي فأستودعكم الله تعالى سائلا العلي القدير أن ينفعنا بما علمنا ويُعلمنا ما ينفعنا وينير بالقرآن العظيم قلوبنا إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمة وقضايا الإستقلال والوحدة والنهضة والعدل*

المهندس ليث فرحان شبيلات**

مقدمة : حال الأمة الإسلامية عامة وقلبها العربي خاصة

ما زالت الأمة الإسلامية منذ قرون، متعرضة لشتى أنواع الغزو الفرنجي الصليبي الصهيوني بقصد إحكام السيطرة عليها ولقد حقق الغزو القضاء على الخلافة الإسلامية وسلخ العالم العربي عن محيطه الإسلامي وتجزئته إلى دويلات ليس لمعظمها مقومات الدولة، وتغريب حاضرة الخلافة عن إسلامها نحو علمنة متنكرة لأصولها، متطلعة إلى الإنتساب لنادي الحضارة الغربية، وتسعير الخلاف الطائفي، فحاصر الأمة الإسلامية وقطع بين العالم العربي وبين إمتداده الأخوي في عمقه الإستراتيجي الآسيوي الإسلامي حيث سلخ أيضاً أجزاء كبيرة منه، وكما قطع ما بينه وبين إمتداده توسعه الثقافي الإجتماعي في عمقه الإستراتيجي الأفريقي حيث أوجد الإسلام العروبة التي تمتد بإمتداده وتنحسر بإنحساره.

وبعكس الغزو والحملات العسكرية الأخرى التي شنها الفرنجة والصليبيون على بلاد الإسلام فإن الحملات العسكرية الجديدة سبقها وتخللها، وترعرع بين إجتياح حملة وأخرى غزو فكري حضاري أوشك أن يجتث الأمة من جذورها وأن يسلخها من تاريخها مغرّبا هوية ذاتها بقصد تحطيم بنيتها الثقافية والإجتماعية مانعا بعث نهضتها الحضارية الإنسانية محلاً مكانها حضارة غربية إنسانية الدعوى إستكبارية الفحوى لا تقوم ولا تبقى إلا على إستعباد أبناء الشعوب المستضعفة وإسترقاقهم وإلحاقهم في فلكها الإستكباري. فتنهب ثرواتهم ويعاد بيعها لأممهم المفتونة بحضارة الغالبين بأسعار ترسخ إقتصاديا ذل تبعيتهم الثقافية والإجتماعية. وبعكس دعواها فإن الحضارة الغازية لا تحمل أية رسالة إنسانية وأي مشروع حضاري سوى الإستكبار والمادية وتدرك أن هزيمتها وذوبانها لن يكونا إلا على يد أصحاب المشروع الحضاري الإسلامي المناقض بقيمه الإنسانية والروحية لقيم الاستكبار والمادية.

ولما كان الإسلام هو الرابطة الجامعة للأمة، الحافظ للغتها التي هي وجدانُها، ووعاءُ فكرها وأدبها، وعنوان وحدتها والباعث لنهضتها ومحرك تاريخها ومفجر طاقاتها الإبداعية الفكريةِ والجهاديةِ وروحها التي تحُرك مادتها الدنيوية برسالة سماويةٍ إنسانيةٍ والملهم الأعظم للدفاع عن كرامتها ووجودِها وإستقلالِها،فقد كان هو المستهدف الرئيسي لذلك الغزو ولتلك الحملات. فوجهت إليه وإلى أمته الضربات تلو الضربات وكان من أكبرها نشر العلمانية وبث روح القوميات المجزئة للأمة المتطلعةِ للنهضة حسب البرامج الفكرية الغربية في الوقت الذي تم خنق معاقل ومنابت الفكر الإسلامي الحر بالسيطرة على الأوقاف الإسلامية المشرفة على المؤسسات العلمية الحرة وإلحاقها بأجهزة السلطان.

---

*قُدمت هذه الكلمة يوم السبت ٢٩/١٢/ ١٩٩٠.

** من مواليد ١٩٤٢ في الأردن، عضو المجلس النواب ونقيب المهندسين الأردنيين، أحد الأصوات الإسلامية المتميزة بصلابتها وأصالة مواقفها.

ففقد العلم، وخصوصاً الشرعي منه إستقلاله وتمت تربية أجيال من علماء الدين والدنيا تربية بعيدة عن الحرية مرتبطة بمكاسب السلطان الدنيوية في الوقت الذي أطلق الغرب فيه الحرية في بلاده لجامعاته تخرج أحراره ومفجري طاقاته الأبداعية وضامني بقاء قيمة الحرية، تلك القيمة الأساسية لنهضةالأمم. فحقق الغزو أعظم إنتصاراته عندما نمت أجيال مسلمة لا صورة للدين في مخيلتها إلا ما ارتبط منه بذلة علماء السلاطين الذين هم بدورهم عملاء للمستعمرين. فأعرض بعض المخلصون بسذاجة عن الإسلام باحثين عن نهضة أمتهم في مبادىء تعلقت قلوب المهزومين بالعزة التي حققتها للغالبين.

ولما كان الإسلام والعروبة وجهان لعملة واحدة لم يفترقا عند العرب حتى سقوط الخلافة فإن الطروحات البديلة للإسلام كانت مناقضة للعروبة مهما انتسبت إليها وادعت العمل من أجل رفعتها. وإن كل الطروحات البديلة التي أعرضت عن الإسلام قد أعرضت بالضرورة عن العروبة.

فلم تستطع العروبة الخالية من المضمون الاسلامي الصمود طويلا أمام الفكر الغربي العلماني عندما نمت نظرية الصراع على أنه رأسمالي وإشتراكي ولم تدرك أن الصراع مع حضارتنا هوصراع حضاري أوروبي ابتلع فيه الجناح الشرقي لتلك الحضارة أرضا وشعوبا إسلامية نجح في عملية ضمها وتذويبها أكثر من نجاح جناحها الغربي في مثل ذلك، حيث كان لاجتماع العروبة والإسلام الدور الأكبر لإفشال محاولات الضم والتذويب.

كما أنها لم تدرك أن مرحلة الدعم الجزئي لقضايانا من قبل الجناح الشرقي للحضارة الأوروبية لم يكن دعماً سوقياً إستراتيجياً بل كان دعماً مرتبطاً بتناقضات مؤقتة بين أبناء الحضارة الغربية الواحدة الذين خاضوا أعظم حروبهم وما زالوا متحالفين ضد من استعلى على حضارتهم ونبذها، من آريين من داخل جغرافيتهم السياسية، إلى أسيويين ومسلمين من خارجها.

وبلغ تناقض مثل هذه العروبة مع ذاتها أو بالأحرى مع ما يجب أن تكون تلك الذات عليه من عروبة إسلامية، أشده عندما قبلت بعد الهزائم التي تحققت على يد دعاتها بمبدأ التعايش مع إسرائيل إذا كانت العلمانية أساساً لذلك.

ولولا أن الحضارة اليهودية الفرنجية إستكبارية لا ترضى من غيرها إلا التبعية لتم ابتلاع من رضي بالانسلاخ عن حضارته في هذا الغزو وكان هذا من لطف الله بهذه الأمة المحفوظة... فكيف يجب علينا اليوم أن ننظر إلى قضايا الإستقلال والوحدة والنهضة ؟

في الإستقلال

الإستقلال كلمة يعتقد غالبية الناس وكثير من قياداتهم أنهم أحاطوا بمعناها أو بمعانيها والحقيقة أن القليل منهم قد سبروا غورها وما زال الآخرون و مهما تذوقوا بعض مظاهرها لا يدركون أن الإستقلال الكامل كلٌ لا يتجزأ وأن الإستقلال السياسي لا وجود له من غير الإستقلال الإقتصادي وكلاهما لايتمان من غير الإستقلال الثقافي والجميع مرتبط بالوحدة والنهضة إرتباطاً أساسياً. وان كل من كان قراره رهينا بإرادة الغير مقيداً به فإنه ما زال في ركب التبعية مهما بدا عليه غير ذلك. وبعض مظاهر الإستقلال السياسي التي تفتتن بها الشعوب وتعمل على تحقيقها القيادات وتسيل الدماء من أجلها ليست إلا نوعا من أنواع التبعية توجه فيها جميع طاقات الشعب للدفاع عن مظهر ذلك الإستقلال غير مدركة

بأنها بحراستها لذلك الإستقلال إنما تقوم بالحراسة الأمينة لمصالح قوى الإلحاق والإستكبار. فلقد تطورت وسائل إستعباد وإسترقاق الشعوب بتطور الزمان وبانتشار التعليم والابتعاد عن الأمية فكلما كانت الشعوب أقرب إلى الأمية كان الإلحاق بالوجود العسكري المستمر ذا جدوى ويحقق أغراض المستكبرين.

وكلما تقدم الزمان وانتشر التعليم كلما ابتعدت عملية الإلحاق عن المظاهر العسكرية المباشرة وذلك بقدر المستطاع حيث أن الإلحاق أولاً وأخيراً لا يعتمد إلا على القوة العسكرية فإن لم يكن ذلك عن طريق الظهور العلني المستمر فبالتهديد بوجودها على أهبة الإستعداد للتدخل المكشوف فترة بعد فترة.

وحتى ندرك المعنى الكامل للإستقلال، لابد لنا أن ندرس طبيعة العدو وذلك النظام العالمي الذي تديره قوى الإستعمار الغربي والذي نسعى للإستقلال عنه، فنحيط بطبيعة الصراع كي نضع أهدافنا الصائبة غير منقوصة ثم تجيء إدارة الصراع، وسيقودنا هذا لنقف وجهاً لوجه مع دورنا الحقيقي الأساسي الذي كلفنا الله به كأمة محمدية من أجل تحقيق غايته في قوله(سبحانه هوُ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحق لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّيْنِ كُلِّه وكَفَى بِالله شَهِيْدًا) (وَلَوْ كرِهَ الكَافِرُون) وفي قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِيْن) خصوصاً وأن العالم المستضعف بأكمله لا توجد فيه عقيدة واحدة مرشحة لقيادة قوى الإنسانية في عملية التحرر الكامل من الإستكبار سوى رسالة الإسلام. وقد يقول قائل أننا ابتعدنا عن الإنصاف في إقرار عقيدتنا كعقيدة صراع وحيدة ضد قوى الإستكبار الناهبة لثروات الشعوب الملحقة بهم في خدمة إقتصادها مع وجود عقيدة عالمية أخرى مثل الماركسية تقول بذلك ومع وجود حضارات أخرى غير الحضارة الإسلامية ممن تستطيع أن تنهض في وجه الحضارة الغربية المستكبرة فنجيب بأن الماركسية وإن حاولت أن تكون أممية إلا أنها عقيدة غربية نبعت من صلب الحضارة الغربية وفي خدمتها كنقيض للرأسمالية الليبرالية التي نبعت أيضاً من صلب تلك الحضارة وفي خدمتها.

ولما كان الصراع قائماً في داخل تلك الحضارة لا من أجل تحرير العالم كما تدعي كل منهما بل من أجل الإنفراد بالسيطرة على مقدراته ونهب ثرواته، نادت الماركسية بالأممية، موحدة بالقوة قوميات أوروبية وملحقةً بالضم قوميات آسيوية أخرى، مصارعة الليبرالية الرأسمالية في إطار الحضارة الأوروبية الواحدة (أمريكا إمتداد للحضارة الأوروبية) مقتسمة بقية مناطق النفوذ في العالم بينها وبين خصيمتها في إتفاقات حقيقة أغراضها سرية وظاهرها الدفاع عن "العالم الحر" كما تقول إحداها "والأممية" المدافعة عن الشعوب المستضعفة كما تقول الأخرى.

والدليل على الإنحياز الحضاري للماركسية على حساب الإنحياز للمباديء المعلنة كونها إكتشفت ما أثبته الإسلام من أن الرأسمالية القائمة على آلية الربا الجاعل من المال أداة إستعباد للعمالة تشكل العدو الرئيسي لحرية الإنسان وتعرضه للنهب والإسترقاق. ولكنها عندما لم تستطع أن تقدم العلاج لذلك من داخل الحضارة الغربية تكبرت أن تقتبس الحل من خارج حضارتها: من الفكر الإقتصادي الإجتماعي الإسلامي الأممي ورضيت أن تلتحق بالرأسمالية الغربية المستكبرة علنا كاشفة إبتعادها عن الأممية الصادقة. فضلت التبعية داخل الجنس الاوروبي المتفوق في هذا العصر لتكون القوة العالمية الثالثة أو الرابعة الناهبة لخيرات الشعوب على الإستقلال الكامل وإبقائها لقطبيتها العالمية عن طريق الإنفتاح المتواضع على الإسلام.

وفي الوقت الذي إعتبر فيه الرئيس السوفياتي دعوة إمام الثورة الإسلامية لنبذ الشيوعية وقبول الإسلام تدخلا في الشؤون الداخلية لدولته قبل أن تدير الولايات المتحدة سياسته الداخلية والخارجية ملتصقاً بالأخوة الأوروبية التي

تضمهما قابلا بقسمتها الضيزى. أما الحضارات الأخرى فإن تحققت لإحداها أسباب القوة فإنها قد تصبح قطب "إلحاق" يقتسم نهب العالم مع الأقطاب الآخرين على عكس الإسلام صاحب المشروع العالمي الإنساني الوحيد لايجاد قطب "تحرير ومساواة" للشعوب يهدي للناس حرية حقيقية من غير إعتداء على ثرواتهم ومن غير إلحاق عنصري لشعب آخر، ويكون فيه إقليم القيادة أميراً بين أمراء وسيداً بين نظراء.

فالحضارة الغربية قائمة على المادية وإطلاق الشهوات وبالتالي على نهب الأقلية للثروة واسترقاقها للأغلبية وقد مارست ذلك من داخلها عن طريق الاقطاع قبل انطلاقها لإكتشاف العالم وإستعماره ونهب ثرواته حيث أنَّ الأقلية بعد ذلك إحتاجت الأغلبية من أبناء عنصرها ليتعاونا معاً على نهب الأغلبية العالمية من خارج جنسهم، وقد سخرت ثقافتها لتحليل ذلك عن طريق جميع الطروحات الفكرية العنصرية العلنية والمبطنة حول سيادة العرق الأوروبي الأبيض وممارسة الوصاية الثقافية على الشعوب المتخلفة بحجة نشر رسالة التمدن الغربي مسخرة ذلك كله لإعطائها مظهر رسالة إنسانية تغطي حقيقة نظمها للسيطرة الإقتصادية البشعة. فبهرت بتلك الثقافة والمدنية ألباب الأمم المهزومة التي باتت تركض وراءها كما يركض "المضبوع" وراء الضبع الذي سيفترسه.

ولابد لطلاب الإستقلال أن يدركوا إستحالة أن تلتقي مثل هذه الحضارة المتمددة بإستمرار بأية حضارة أخرى سلمياً وعلى قدم المساواة دون محاولة إلحاق شعوب الحضارات الأخرى بركب تبعيتها حيث أن التنازع على السيطرة موجود حتى داخل نفس الحضارة الغربية التي يتناوب على القيادة فيها كل من برزت قوته على قوة شركائه محققا لنفسه حصة الأسد من غنائم نهب ثروات العالم. وتقع الحروب من فترة إلى أخرى عندما تفشل المفاوضات في إعادة توزيع المصالح حسب توازن القوى الجديد بين تلك الأمم فيعيد من حسمت الحرب لصالحه ترتيب القسمة من جديد. لذلك فإن أهم قاعدة يجب أن يدركها طلاب الإستقلال الحقيقي عدم إمكانية التعايش السلمي مع الحضارة الغربية وعدم إمكانية التهادن معها فهي تموت وتذوى إذا توقفت عن الحركة على حساب الآخرين.

ويوصلنا عقلنا في هذا إلى ما يجب أن يوصلنا إليه إيماننا من تنفيذ وصايا المصطفى صلى الله عليه وسلم بعدم ترك الجهاد مطلقاً لقوله عليه الصلاة والسلام (ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا) وقوله (الجهاد ماضي إلى يوم القيامة لا يمنعه ظلم ظالم ولا عدل عادل). فجهاد أمتنا المستمر هو وحده الذي يحقق لها الإستقلال الدائم ويمنع الاعتداء عليها في الوقت الذي يكون فيه سببا في نشر العدل والأمن في ربوع بلادها وبلاد الشعوب التي التحقت بها.

وحتى الآن لم تصل اية دولة إسلامية في هذا العصر إلى أكثر من إستقلال سياسي ظاهري بوجود تبعية إقتصادية إجتماعية ثقافية إلا الجمهورية الإسلامية في إيران والتي كادت تخرق النظام العالمي محققة الإستقلال السياسي والثقافي وجزء غير يسير من الإستقلال الإقتصادي رافضة أدوات ذلك النظام الإستكباري مثل الأمم المتحدة وغيرها لولا أن تآمرت عليها الدنيا كلها مقيدةً لها وموقفةً تقدمها مسببةً بعض التقهقر من حيث قبول ما رفضت من أمم متحدة ومؤسسات إستكبار عالمي أخرى. ويخشى عليها أن تعتقد اليوم أن انكفاءها على الداخل فيما يسمى بجهاد البناء سيمنع إختراقها وخلخلة بنيانها من قبل حضارة الإستكبار. والأولى بها اليوم من أجل صيانة مكاسبها ومن أجل إعادة مسيرة التقدم الضاغط بمبادىء ثورتها نحو أرجاء العالم أن تحالف عدو الأمس اللدود الذي يبدو أنه يحاول اليوم بدوره أن يخرق النظام العالمي فتتبوأ مركزها في قيادة الصراع فقوة الإثنين معاً وعنادهما في وجه الإستكبار قد يحقق للشعوب المستضعفة أملها في الإنفلات من قوى الطغيان العالمي ولا يقبل عذر إختلاف الإيديولوجيات في هذا الشأن خصوصاً وأن

الشق الآخر للدكتاتورية والأيديولوجية البعثية كان على علاقة تحالف وودود مع إيران المسلمة طوال عشر سنوات وما زال يحتفظ بعلاقات مميزة معها.

في الوحدة

وما التكلم عن إستقلال قطري ذي سيادة لأقطار الأمة الواحدة إلا عين التبعية والإلحاق بالقوى الأجنبية الحامية لهذا الإستقلال بل قل الحامية لوضع التشرذم القطري والذي من دونه لا تستطيع تحقيق نهب ثروات الشعوب. فهو علاوة على أنه تجزئة للأمة الواحدة فإنه لا يقوم إلا على نظم سياسية إقتصادية إجتماعية ثقافية غربية وكل ذلك مناقض لحقيقة الإستقلال.

ولا يمكن للاستقلال ان يتكامل نحو التحقق إلا بالتحرك نحو وحدة الأمة بحيث يكون حضور هذا الهدف واضحاً في السياسات الكبرى والصغرى لكل قطر من الأقطار الإسلامية يقاس كل مشروع من المشاريع القطرية بتناسقه مع مشروع إستقلال الأمة ووحدة سيادتها التي لا تتجزأ إلى سيادات قطرية. فالمصيبة في ما يسمى بالإستقلال القطري أنه يبدأ بكذبة يطلقها رواده يتم من جرائها إبعاد المظاهر العسكرية للإحتلال وإبقاء السيطرة الإقتصادية الثقافية وإلحاق القطر بالدول ذات السيادة المنتمية إلى مؤسسة الإستكبار العالمي "الأمم المتحدة" بحيث تصبح علاقات أقطار الأمة الواحدة مبنية على سيادة مبتدعة فيما بينها في الوقت الذي تكون فيه عمليا، بمفردها وبمجموعها، فاقدة لسيادتها أمام قوى الإستكبار. وتصبح حماية السيادة القطرية المصطنعة الحارس المحلي الأمين لمصالح الغرب المستعمر، والذي يكون مستعداً ليتدخل بكل قواه من أجل المحافظة على السيادة القطرية المصطنعة دائساً على سيادة الأمة في الوقت الذي تكون الأمة فيه منشغلة بتحليل هذا الحرام الذي ما جاء إلا لحماية حرام آخر.

ومن أسوأ ما في الاستقلال القطري المغرّب هذا أن معظم الشعب بما في ذلك حركاته المعارضة يلتحقون بحكامهم في الإيمان بسيادته القطرية بمعزل عن السيادة الواحدة الموحدة للأمة فيصبحون جميعا أسرى لهذا المفهوم وينقلبون إلى حراس لمصالح الأعداء،فيصبحون أعداءً لمصالح أمتهم من حيث لا يشعرون.

فتبتلى الأمة أيضاً بفقد أملها في قيادات جماهيرية ضلت الطريق وأسرتها المؤامرة. من أجل ذلك فإنه لا إستقلال دون وحدة وكل إستقلال جزئي يتناقض مع وحدة الأمة لا يكون مرحلة من مراحل الطريق بل عقبة في وجه سلوك الطريق إذ أن الأمة تكون أكثر إجتماعاً على هدف مشترك واحد عندما تكون تحت إحتلال الأعداء منها في حالة الإستقلال القطري المشرذم الكاذب هذا! وليس أمام الأمة الإسلامية من طريق للتحرر والإستقلال ثم لنقل رسالة التوحيد كما أمرت إلا بالمشروع الإسلامي المؤهل المناقض كلياً لمشروع إستكبار النظام العالمي. فالأول مؤسس على العدالة الإنسانية في مقابل الظلم العالمي للثاني، وعلى تحرير الإنسان من شهواته أولاً لكي تتحقق الأجواء المناسبة لتحرير أخيه الإنسان، فلا عدوان على الإنسان الا من أخيه الإنسان. وأن إيقاف هذه النزعة العدوانية التي تطلقها الشهوات لهو الأصل في تحقيق أية عدالة إنسانية، فالعدوان يبدأ داخل نفس المعتدي حين يظلم نفسه بإتباع الشهوات، ما ظهر منهاوما بطن، ثم ينتقل إلى الآخرين ويفجر المجتمع كله في طاقة ظالمة تأتي على ربوع الخير (من أجلِ ذلكَ كَتَبْنَا على بَنِي إسْرائِيلَ أنّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ في الأرْضِ فَكَأنَّمَا قَتَلَ النّاسَ جَمِيْعاً ومَنْ أحياها فَكَأنَّمَا أحْيَا النّاسَ جَمِيْعاً).

ولا يمكن للنهضة في المشروع الإسلامي أن تكون مماثلة للنهضة في حضارة الإستكبار ولا يمكن للأسلوب المتبع

في تحقيقها أن يكون نفس الأسلوب، فالحضارة الغربية بشقيها المدني والثقافي قائمة على الظلم، ولا يمكن تفريق المدنية عن الثقافة فيها بل أن الإرتقاء بالمدنية المادية هو عين المقصود في تلك الحضارة وهو غايتها وليست الثقافة فيها إلاّ وسيلة لتحقيق تلك الغاية وفي خدمتها. وبينما يختلف الأمركلياً في المشروع الإسلامي حيث تكون الرسالة وثقافتها هي الغاية والمقصود تسخير المادة والمدنية كوسيلة لتحقيق تلك الغاية وذلك لهدف سامٍ ولا تكون مطلب غاية بحد ذاتها.

والمدنية الغربية فخ تقع فيه الشعوب المستضعفة وقيادات التغيير فيها عندما تعتبر التخلف في الإبتعاد عن تلك المدنية وتجعل حجمها وأحلام شعوبها السعي من أجل تحقيق التقدم نحو المدنية أما كغاية وهدف تنموي أو كوسيلة من أسباب القوة تستعمل في الصراع وهي ليست في الحالتين إلا الحتف نفسه حيث لا تزداد هذه الشعوب إلا إلتحاقاً بفلك الغرب وتزداد ضعفاً ، وهو يبتز إلتحاقها هذا وإنبهارها بزخارفه ليجعل منها مصرفاً لسوق إنتاجه الذي به يزداد طغياناً حتى أن معظمها تراجع عن قدرته في إنتاج غذائه الأساسي فأصبح الغذاء مذلة له بعد أن كان مستقلاً به.

ولا يستطيع أن ينجو من هذا الفخ مع الصعوبة البالغة، إلا حملة المشروع الإسلامي الحقيقي الذي يدرك هذا ويصرف تعلق الناس إلى مصدر القوة الأصلي الله سبحانه وتعالى ويشغل الناس بتزكية نفوسهم وعمران آخرتهم بسلوك طريق الجهاد، والإشارة على صحة نهج رفض المشروع من عدمه مرتبط بالجهاد فإن توقف فقد حدث الإنحراف لا محالة وإن إستمر فهو الضمانة الوحيدة لتعلق قلوب الناس بالرسالة الخالدة وإنصرافها عن المدنية إلا فيما يزيد من قوتها ويعينها على جهادها.

ولا شك أن الإستعداد للجهاد بالأسباب المادية من الجهاد وليس الخوف من ذلك إنما الخوف من إستعمال شعار الإستعداد لتبرير العمل لبناء المادة لرغبة فيها وشهوة لها وركونا إليها. وهذا المدخل هو من أخطر المداخل التي يدخل فيها على الحركات الإسلامية لإبعادها عن المشروع الإسلامي. فإذا إنحرفت الحركات داعية إلى الله والجهاد باللسان تاركة للأفعال أن ترتاح للدنيا بحجة (التنمية) وبناء أسباب الإستعداد فتلك بداية المصيبة. والمصيبة الأكبر أن تجعل الحركة من موعوداتها وبرامجها تحقيق الرفاه ورفع مستوى المعيشة. وأن تنافس في هذه الشعارات مع التيارات المغربة الأخرى فتلحق هي الأخرى بدورها تكون قد أصبحت تياراً إسلامياً متغرباً في خدمة المشروع الغربي.

وفي رأينا المتواضع أن المشروع الإسلامي يجب تحديد أهدافه وتوضيح ثوابته ومرتكزاته وتحديد أدوات الصراع من أجل تنفيذه وأساليب إدارة ذلك الصراع وأن تقر ثوابت المشروع من قبل مؤتمر عام من حركات إسلامية وقيادات إسلامية يلتزمون جميعاً بأن يكون عملهم القطري متناسقاً مع المشروع الكامل مخضعين نشاطهم لنقد سنوي في مؤتمرات تعقد لتقييم المسيرة وتحديد المرحلة الجديدة. وخططها المرحلية. ونقترح مستندين إلى ما تقدم دراسة الثوابت التالية التي نراها تفرض نفسها علينا:-

أولا": الهدف المركزي: تنفيذ التكليف الإلهي بتحرير الإنسان من كل رق وعبودية إلا للهّ ونشر رسالة العدالة الإنسانية الإسلامية وإنشاء قاعدة لقيادة مستضعفي العالم في وجه قوى الظلم والإستكبار للنظام العالمي (ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاّ رَحْمةً للعَالَمِين)

ثانياً: حدود المشروع : التركيز على عالمية المشروع في وجه الإستكبار العالمي (هُو الذّي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى ودَينِ الحق لِيُظهِرَه عَلى الدّينِ كُلهُّ).

ثالثاً: المكلف بالمشروع: التركيز على وحدة الأمة وعلى رفض التعامل بين الأقطار إستناداً إلى السيادة القطرية المزعومة وعلى أن السيادة واحدة موحدة للأمة مهما قسمتها الأجزاء. (وأنّ هَذهِ أمّتكُمُ أمّةً واحدةً وأنا ربُّكُم فأعبدون).

رابعاً: أداه التنفيذ: الجهاد المستمر في سبيل الله بأنواعه من مقاومة سلبية إلى قتالية، وقيادة ثورة عالمية للمستضعفين ضد الطغيان وإستكبار النظام العالمي الغربي، (الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يوقفه ظلم ظالم ولا عدل عادل).

خامسا: الوسائل:

(أ) تأسيس إستقلال الفكر الإسلامي وحريته من خلال إعادة إستقلال الأوقاف عن مؤسسات الحكم وخاصة المخصصة فيها للإنفاق على العلم الشرعي وطلابه وتهيئة العلماء لقيادة الأمة بإدخال مساقات إلزامية للعلوم والمعارف الإنسانية الهامة الأساسية من منطق وإقتصاد وسياسة وإدارة إلى الرياضيات والفلك مما يوسع مداركهم بما يليق مهماتهم.

(ب) تعديل البرامج التربوية في المدارس والجامعات وفي برامج الحركات الإسلامية لتنسجم مع أهداف المشروع ووسائل تنفيذه بحيث يُجعل العلم الشرعي أحد أساسات طلاب العلوم والهندسة والطب والعلوم الإنسانية حتى يظل الطالب مدركاً أنه تخصص يقصد به وجه الله في خدمة صراع الأمة وليس أداة للوصول إلى الرفاه، لذلك فإن على طلاب الإستقلال أن يدركوا عدم إمكانية التعايش السلمي مع الحضارة الغربية التي تموت وتذوي إذا توقفت عن الحركة بدون التوسع على حساب الآخرين. فهي أشبه بكتلة طاقة متفجرة متمددة بإستمرار، وقودها المادية الوثنية التي تجعل من شهوات الفرد والمجتمع المحرك المتواصل للنهب والسلب والإسترقاق. وهي لا تختلف عن أصولها الرومانية واليونانية إلا بالمظاهر الحديثه للتمدن والتقدم التقني... وأن هذه الطاقة المتفجرة المتوسعة المكبلة للعالم برغم ثقافتها ونظمها الإقتصادية والسياسية وحضورها العسكري لا يمكن أن يوقف تمددها العدواني هذا إلا كتلة متفجرة أخرى تثور في وجهها دون توقف حيث أن التوقف هو بداية الهزيمة.

ونجدنا هنا متفقين مع القائلين بعالمية الثورة لمواجهة عالمية الطغيان، غير أننا لا نقر كل من إعتمد منهم على النظريات المادية كطاقة مفجرة لهذه الثورة حيث أن الثورة العالمية تقوم ضد الظلم العالمي من أجل تحقيق العدالة الإنسانية. والمادية هي أصل أسباب الظلم وكل حركة مستندة إلى المادية لا تكون إلا حركة من أجل إعادة إقتسام غنائم الظلم. ولا يحرك الثورة من أجل العدالة الإنسانية إلا رسالة سامية تسمو بالإنسان فوق شهواته المادية نحو روحانية أخروية يكف بها شر نفسه عن أخيه الإنسان ويسعى بها لخدمته.

من أجل ذلك فإن معظم الثورات المختلفة في العالم فشلت في تحقيق مرادها ولم تسفر إلا عن تغييرات في الطبقات الحاكمة التي ما زالت رهينة للإستكبار بل أنها أضافت إلى الإرتهان الثقافي الذي بدأت ثورتها به تكبيل الإقتصاد بمديونيات لا يمكن الإنفلات منها دون حجز على موارد البلاد وطاقات شعوبها لصالح أسياد الاقطاع العالمي الحديث، ولقد بات الغرب نفسه مدركاً للظلم اللامحدود الذي ألحقه بالعالم الثالث، لايدفعه لإدراكه ذلك أي حس نبيل، سوى مادية حب البقاء حيث أصبح يشعر بأنه يدفع بعالم المستضعفين دفعاً للتمرد والثورة عليه. كما يدرك مفكروه أن

وقود الثورة العالمية القادمة ومدير صراعها لن يكون سوى الإسلام، ولذلك فهو يندفع اليوم مسعوراً لإحكام سيطرة عسكرية بإحتلال الأراضي التي هي بمثابة قلبٍ للاسلام والمسلمين ملحقاً الحرمين الشريفين بثالثهما المحتل.

(ج) الإقرار بأن التبعية الغربية تبعية أفراد بعاداتهم الإستهلاكية كما هي تبعية دول، وأن وقف تأثر الأفراد بالتبعية هو بداية الثورة في سبيل الإستقلال، وأنه لابد من إظهار الفتوى السياسية كأحد أهم أسلحة الجهاد في مراحله الأول، مراحل جمع أبناء الأمة حول مشروعها وإنفكاكهم عن كونهم أدوات تغذية للإقتصاد الغربي.

(د) تحديد مستوى الكفاف المادي الذي يجب على المسلمين أن لا يتجاوزوه في إضطرارهم المؤقت لبضائعه الإستهلاكية وتوعية الناس إلى ضرورة الإلتزام بالفتوى السياسية التي تصدر لتثوير الأمة على أدوات الإستغلال.

(هـ) تجنب المسلمين وحركاتهم خاصة من إلتزام مشاريع نهضوية تنموية مخصصة لرفع مستوى المعيشة كهدف بحد ذاته وتسخير النهضة كلياً لخدمة وظيفة الأمة الرسالية الجهادية.

(ز) وضع البرامج الإقتصادية الإجتماعية التي يجب أن تتبناها الحركات الإسلامية عند وصولها للحكم مع الحذر من أي تقليد للمشروع الغربي المستند إلى نظم مناقضة وأهداف مناقضة إلى ما يجب أن يوصلنا إليه إيماننا من وجوب تنفيذ أمر الله سبحانه ونبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بجعل الجهاد قائماً إلى يوم القيامة لا يوقفه ظلم ظالم ولا عدل عادل وأن الجهاد هو سور الإسلام وحاميه وهو بذلك ذروة سنامه.

البعد الدولي لأزمة الخليج*

الأستاذ أحمد مكي**

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

نحن أمام ظاهرة ماثلة أمام ناظرينا هي ما يسمى بأزمة الخليج . وهذه المشكلة أو الأزمة أو القضية التي جعلت العالم يقف على قدميه تحدث في قلب العالم الإسلامي. إذن نحن لا نتخيل أمراً من الأمور أو نتوهم قضية من القضايا أو أزمة من الأزمات. وإنما يشهد العالم اليوم أكثر من مليون من البشر مدججين بالسلاح يقفون على أهبة الإستعداد. نجد أن الحضارة الغربية بكل ما أنتجته من أسلحة الدمار الحديثة قد صُبت في قلب العالم الإسلامي. نجد أن كل المؤسسات الدولية وكل المنظمات الأكاديمية والإنسانية والثقافية والإعلامية والإقتصادية والسياسية لا شغل لها هذه الأيام بل منذ أربعة أشهر مضت إلا قضية الشرق الأوسط أو قضية ما يسمى أزمة الخليج. بل الذي يجعل القضية تدخل في نفق جديد هو أن كل العالم ينتظر الآن ما الذي سيحدث بعد أسبوعين فقط من الزمان. إذن نحن لسنا أمام خيال ولهذا السبب لابد أن تكون لدينا عقلية حية ميكانيكية تنظر إلى هذه الظاهرة نظرة واقعية بعيداً عن العاطفة، تنظر إليها في سياقها الموضوعي، في إطارها التاريخي حتى لايخدعنا الحدث وما وراء الحدث وما قبل الحدث وما بعد الحدث. ولهذا السبب لابد لنا ان نستوعب ما نراه إستيعاباً حقيقياً غير عاطفي. أنا أعرف أن العربي بطبعه ذلك الإعرابي البدوي الذي يعيش في الصحراء كانت تغلب عليه العاطفة حتى جاء الإسلام فجعلهم ينظرون إلى الأمور ليست نظرة البصر وإنما نظرة البصيرة **"أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت"**. فإنما هو نظر الكيف ونظر الكيف لا يكون بالبصر ولكن بالعقل ولهذا نريد أن ننظر إلى هذه الظاهرة نظر الكيف. القضية ليست قضية صدام حسين ضد العالم كما يصورها أوكما يتخيلها بوش. القضية هي ليست قضية الكويت إنما القضية أكبر من ذلك، وأقول بادئ ذي بدء وأركز على ذلك وإؤكد إنني لست مع صدام حسين يعني حتى نقطع المسألة من جذورها. أنا أعرف أن هناك بعض الجرائيم من العقليات المتخلفة التي تتعامل مع الظواهر الخطيرة تعاملاً عاطفياً مع صدام أو ضد صدام. فإذا كانت القضية قضية الكويت فالكويت لن تكون في يوم من الأيام عندي كمسلم أهم من فلسطين. ولن تكون في أية لحظة من اللحظات أي بقعة من بقع الكويت مساوية ولا لذرة واحدة من حصى الرمل الذي يحيط بالمسجد الأقصى في القدس الشريف، لا

---

* ألقيت هذه المحاضرة يوم السبت ١٩٩٠/١٢/٢٩.

** من السودان، من مواليد ١٩٥٠، زعيم الحركة الطلابية في السبعينات والمفكر السياسي والحركي وعضو سابق في البرلمان السوداني، ورئيس تحرير جريدة الراية السودانية.

يمكن إطلاقا ً لذلك فإن هذه قضية عقيدة قبل أن تكون قضية صدام حسين ضد الكويت أو قضية العراق ضد العالم. ومن هنا لابد أن نستيقن أن النظام العالمي والدولي لم يقف على قدميه من قبل مثل ما هو واقف الآن، ليست القضية أن العراق زحف يوم ٢ أغسطس واحتل الكويت لأننا لو أردنا أن نضعها في إطارها الحقيقي فإن بريطانيا قد إحتلت هونج كونج قبل أكثر من ٩٠ عاماً فلم يقف العالم على قدميه ولم تصدر أية مؤسسة من مؤسسات العالم الدولية أو الهيئات الدولية ولم تتحدث أية صحيفة من الصحف ولم تتحدث أية منظمة من المنظمات الإجتماعية أو الإقتصادية أو الإعلامية عن كيف تأتي بريطانيا من آخر الدنيا لتحتل هونج كونج وهي جزء صغير من الصين وهي في آخر الدنيا. ولم يقف العالم على قدميه يوم إحتلت أسبانيا سبته ومليله وهما قطعتان من المغرب بل هما في إفريقيا ولقد ذهبت بنفسي إلى تلك البقاع لأرى كيف أن قطعة من القلب ممكن ان تحتل وقد حدث ذلك من ٥٠٠ عام ولم يتحدث عنها أحد. والاتحاد السوفيتي إحتل لاتفيا واستونيا ولتوانيا من قبل أكثر من ٤٥ عاماً ولم يقف العالم على قدميه. إثيوبيا إحتلت أرتيريا قبل أعوام قلائل من ٢٨ سنة في١٦ نوفمبر ١٩٦٢ ولم يقف العالم على قدميه رغم أنف قرارات الأمم المتحدة. ولم تكتفِ بذلك وإنما مسحت لغة أرتيريا وثقافة أرتيريا ومحت حتى أسماء الشوارع المكتوبة بالعربية وألغت الشريعة وألغت قوانين الأحوال الشخصية ولم يقف العالم على قدميه. إسرائيل لها أكثر من٢٣ عاماً وهي تحتل الضفةالغربية وقطاع غزة وتقتل كل يوم الأبرياء ومن أكثر من أربعين عاماً وهي تحتل باقي فلسطين ولم يقف العالم على قدميه وأصدر مجلس الأمن القرار تلو القرار ولم يلتفت إليها أحد. إذن لا يوجد هناك ما يسمى بالقانون الدولي الذي أُوجُد أو تُحدث عنه أول مرة في القرن السابع عشر إلا أنه لم يوضع كفلسفة أو نظام إلا بعد الحرب العالمية الأولى، ثم أنه فوق ذلك لا يغير شيئاً إطلاقاً ما يسمى بالقانون الدولي وإنما عندما يتعلق الأمر بالمسألة-بالصراع الذي سأتحدث عنه-يجرون وراء ما يُسمى بالقانون الدولي. لابد أيها الإخوة من وضع القضية في إطارها الصحيح كي نتخيلها تخيلاً صحيحا،ثم نجمع المعلومات الصحيحة حول هذه القضية ً كي نحللها تحليلاً صحيحاً . نرى أن هناك سياقين سياق إقليمي وسياق عالمي. ولابد أن أمُر في حديثي بالسياق الإقليمي رغم أن إخواني سيكفونني ذلك لكني لابد أن أمر عليه لأن السياقين مرتبطان ببعضهما البعض. أولا ما يسمى بالحلف الدولي هذا هراء. ليس هناك شيء يسمى بالحلف الدولي، إلا إذا كانت السنغال وبنغلاديش يمثلان قوة من القوى العظمى في العالم. وإنما القضية في سياقها وإطارها الصحيح الموضوعي هي قضية صراع حضاري بين الغرب وبين المنطقة وما تحمله في أحشائها -هذه المنطقة- من مكونات حضارية وليست من أجل البترول فقط. ونبدأ بسؤالنا ما هو الغرب؟ نحن لا نتحدث عن الجغرافيا وإنما نتحدث عن وعي فكري وعن منهج حياة. يقوم على هذا المنهج مذهب، وهذا المذهب تنبثق عنه كيانات حضارية متمثلة وقائمة في الوجود الذي نراه الآن. الغرب يقوم على مذهب الشك والشك يناقض الإيمان. وهو يقوم على هذا المذهب في علاقاته الإنسانية وفي وجوده، ولا يعترف بغير الظواهر الطبيعية. . ولا يعترف بغير ما يراه في العلاقات الإنسانية. الظواهر الطبيعية هي الرغبة بالنسبة للأمم. . الظاهرة الطبيعية هي لإشباع هذه الرغبة المتمثلة بالمصالح، والتناقض بين الرغبات يؤدي إلى الحروب ولذلك تناقضت مصلحة الغرب مع ما تحمله المنطقة في أحشائها. إذن الغرب يتعامل مع قضية يعرفها تماماً وهو في ذلك يمارس عبادة " **أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً** " اتخذوا أهواءهم ورغباتهم آلهة من دون الله. إذن فهو يتعبد، هو يسير في طريق سليم بالنسبة له. أما المشكلة بالنسبة لنا نحن هو أنه كيف نستطيع أن نفهم هذا التحدي.

أتحدث الآن عن السياق الثاني وهو السياق المحلي. مركز الثقل في هذه المنطقة أنها أولاً تمثل منذ القدم وستظل تمثل مركز العالم بموقعها الإستراتيجي. ففيها كل المضايق والممرات المائية. فيها مضيق جبل طارق، وفيها قناة السويس، وفيها مضيق تيرانا، وفيها مضيق العقبة، وفيها مضيق باب المندب، وفيها مضيق هرمز، كل التجارة العالمية تمر من هنا، هذه المنطقة هي الرابطة بين آسيا وإفريقيا، وإفريقيا وأوروبا، وآسيا وأوروبا أيضاً.

ثانيا، إن هذه المنطقة هي منشأ الحضارات، وهي ملتقى الحضارات هناك. إلتقت الحضارة الرومانية بالحضارة الفارسية والتقت الحضارة الهندية والصينية بالحضارة الإغريقية، والتقى الإسلام بإفريقيا وبكل منها جميعاً وأعْطى نموذجاً حضارياً عالمياً جديداً. ثالثاً هذه المنطقة هي شريان الحياة التجاري بالنسبة للعالم. ورابعاً هذه المنطقة هي منشأ الأديان فيها نشأ محمد صلى الله عليه وسلم، وفيها نشأ عيسى(ع) وموسى (ع) ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وذو الكفل وداود ولوط هؤلاء لم يخرجوا من فلاديلفيا أو بروكسل ولم يأتوا من نيويورك أو لوس أنجلوس، وإنما جاؤا من هذه المنطقة لذلك فلهذه المنطقة أهميتها بالنسبة لنا. ثم أنه عالمياً هذه المنطقة تحمل أكثر من ٨٢٪ من إحتياطي النفط في العالم. رغبة الغرب هي مصلحته ومصالحه الإستراتيجية تتلخص في ثلاث محاور:

١- إستراتيجية إقتصادية تعتمد على النفط وعلى التجارة في المنطقة إذ أن الولايات المتحدة تعتمد على أكثر من ٥٧٪ من نفطها القادم من هذه المنطقة. ثم أن اليابان تعتمد ٩٢٪ من نفطها القادم من هذه المنطقة.

٢- محور امني :- يلعب التوازن الدولي لعبته هنا وهذه المنطقة بما أنها مركز الثقل في العالم فالذي يسيطر عليها يستطيع أن يسيطر على العالم.

٣- المحور الثقافي والفكري:- محور النفوذ الحقيقي هو السيطرة على العقول فلقد أثبت التاريخ على مدى أكثر من ١٥٠٠عام في هذه المنطقة أنه ما أن تموت حضارة الا وتنبثق مرة أخرى. ففيها عوامل الحضارة، فيها بذرة الحضارة فليست كالحضارة التي نشأت في منطقة روما أوالحضارة التي قامت في منطقة دلهي فلما إنتست لم تقم لها قائمة مرة أخرى. إن حضارة هذا الدين لها جذور، لذلك لم يسمح الغرب (ليس الجغرافي) بوجود عسكري حقيقي يهدد مصالحه التجارية والإقتصادية والأجنبية لذلك جاء بأساطيله منذ عام ١٩٧٣ كما قال ديفيد بنوحر. وليست المسألة هي ٢ أغسطس، لعلكم تعلمون منذ عام ١٩٧٣ والطائرات الأمريكية B-52 تقوم بطلعات أسبوعية منذ ذلك الوقت ولحد الآن، فالمسألة ليست مسألة حديثة، ولا يسمح الغرب إطلاقاً بوجود أي نهوض أو بقيام أي إزدهار إقتصادي فكل الأموال التي تأتي عن طريق النفط لابد لها أن تدور في دائرة الإقتصاد العالمي حتى لا تستطيع المنطقة من إستغلال ثرواتها ضده.

وهو لا يسمح بقيام وحدة ثقافية فكرية يقوم عليها قيام حضاري يهدد الكيان الحضاري القائم الآن في الغرب. إذن الغرب لا يتعامل مع القضية كقضية أخلاقية. إن العراق غزت الكويت ومن أجل الديمقراطية والحرية ومن أجل إعادة الأمور إلى نصابها ومن أجل أن لا يأخذ المعتدي ولا يستثمر حق إعتدائه كما يقولون. القضية ليست هكذا. الغرب ينطلق من مصالحه ولذلك زرع إسرائيل في قلب هذه المنطقة ولذلك لما بداؤا يحسون أن هناك نقطة إسلامية حقيقية بدأت منذ الثورة الجزائرية ثم بلغت ذروتها في الثورة الإيرانية، لما راؤا أن الإسلام أخذ يتحول من ديانة أو عقيدة -ظن الغرب أنها عقيدة خانعة عقيدة كسل وخنوع- إلى قوة دفع ثوري إستطاعت أن تغلب وتهزم أقوى ترسانة عسكرية في بلدان المنطقة، ولما أحس الغرب بأن الحركات الإسلامية في المنطقة بدأت تجتذب الشباب إليها قرروا أنه لابد لهم أن يدبروا صراعاً حقيقياً ومواجهة حقيقية كي يقضوا على هذا الوجود وهذه هي المرة الثالثة في التاريخ الحديث. الأولى لما دخلت الولايات المتحدة

فيتنام، والثانية لما دخل الاتحاد السوفيتي أفغانستان، وهذه هي المرة الثالثة، إلا أن التعامل المباشر ممكن أن يؤتى نتيجة. أولاً فالقضية ليست أن تقع حرب أو لا، فالحرب قائمة. أما أن تقع معركة أولا تقع معركة فذلك ليس مهماً بالنسبة لنا إطلاقاً. المعركة قد تقع وقد تكسب وقد تخسر المعركة، ولكن هل فقدت أسبابك لتقاتل أم لا، هذا هو جواب القضية... وسيلة أخرى أن الولايات المتحدة والغرب عامة والنظام الدولي او ما يسمى بالنظام الدولي يتعامل بسياسة ذات وجهين وأقول بادىء ذي بدء أن الولايات المتحدة أو بريطانيا أو فرنسا أو إيطاليا أوألمانيا لا يحبون الإسلام ولا يحبون المسلمين. ولا يظنن ساذج أن الغرب الآن يقف مع الشيخ جابر أو ملك السعودية حباً بهما إنهم يكرهونهما أكثر مما يكرهون صدام حسين. لقد تعاملوا مع صدام حسين، وإليكم الدليل. يتعامل الغرب بازدواجية لأنه ليس لديه معيار أخلاقي، فهو الذي مد صدام حسين بالسلاح بينما كان يمد إيران بالمعلومات. الكويت هي التي أمدت صدام بالمال كي يشتري هذا السلاح، إذن القضية هي قضية مصالح معينة، هذا النظام أو الوجود الدولي الذي نراه الآن في واقع الأمر لا يتعامل بمعيار واحد يتعاملون بحرية عن المذابح في الكويت الآن، لماذا لا يتحدثون عن منظمة دولية معترف بها وهي كنسية غربية حتى النخاع إسمها SAVE THE CHILDREN وتمول من مؤسسة FORD . هذه المنظمة أخرجت تقريراً في يوم ١٦ مايو الماضي والتقرير من ١٠٠٠ صفحة عن ما تفعله إسرائيل في الأطفال وقال هذا التقرير أن أكثر من ٥٠ إلى ٦٠ ألف طفل قتلوا في منازلهم. أين جنوب إفريقيا؟. القضية إنما هي محاولة إضعاف من يحاول الخروج عن الطريق. صدام حسين خطره أنه اراد أن يخرج عن هذا القفص الذهبي الذي وضع فيه وتعامل مع القضية تعاملاً عقلانياً واستوعب المسألة إستيعاباً حقيقياً . إلا أنه أخطأ في منهجه بكل أسف ولا أقول أتمنى له أن يهزم. أخطأ لما ظن أن القوة وحدها ممكن أن تهزم هذه القوة، لأنه في صراع من هذا النوع القوي يأكل الضعيف، لكن الصراع الحقيقي **"إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين"** حين يقف على أرض فكرية عقائدية قوية ذات جذور وليس إعتماداً على عواطف العرب، عندما يسي الأمر في هذا السياق يمكن أن نشعر أن هناك حرب وليست معركة واحدة.

أختم القول أن الذي حدث الآن تحدث الغرب عنه قبل ذلك. تحدث عنه المحللون الإستراتيجيون الغربيون، كتب عنه جفري ريكورد في تقرير نشر عام ١٩٨١. كتبت عنه جين كيرباتريك ولهذا السبب جاء بها ريغان رغم أنها ديمقراطية. لأنها حللت هذا النوع من الصراع وذكرت وبينت أن القوة الغربية لابد لها في النهاية أن تتغلب على كل هذه العواطف وتسيطر على هذه المنطقة. كتب عنه كوتسمان ووصفه وصفاً دقيقاً والذي يلجأ إلى هذه الكتابات وهي موجودة في دوريات مثل FOREIGN POLICY و FOREIGN AFFARIS و COMMENTARY الا أن الأمة لا تقرأ.

أختم فأقول أن هذا الصراع صراع طويل وأن الغرب جاء إلى هذه المنطقة وسيبقى فيها لأكثر من ٦٠ أو٧٠ عاماً وقد لا يبقى في السعودية ولكنه الآن فيها، وقرأنا أنه سيبقى في البحرين والإمارات أو عُمان بوجود ليس رمزياً لكن حقيقيا كي يمتص كل البترول في تلك المنطقة لتعود المنطقة صحراء جرداء.

أزمة الخليج والموقف الإسلامي *
الأستاذ ليث شبيلات **

ابدأ من حيث تكلم أخي أحمد مكي في بعض كلامه "أن الحرب لا تنتظر بل أن الحرب قد قامت" أما أن تحدث معركة أم لا تحدث معركة فذلك الذي يُتكلم عنه إن كنا نتكلم عن الصدام العسكري، أما الحرب فقد قامت، وما دخول ٥٠٠ ألف جندي صليبي صهيوني إلى أرض الحرمين إلا حرباً. أوهل ستكون حرباً لو أطلق نظام من الأنظمة السايكسبيكوية أربع رصاصات على هؤلاء القادمين ثم إستنجدوا بنا حتى نعتبر أنها حرباً. هل يجعلها حرباً فقط أن تطلق عدة رصاصات عليها أم أنه إستعمار جديد يأتي مدفوع الأجر with overhead and charges كل رجل يأخذ راتب + الأرباح + المصاريف. هذا إحتلال لم يحدث مثله في التاريخ. أمة تُحتل؛ تدعو المحتل لأن يأتي وتدفع له ولا تفاوضه على الفاتورة. يضع الفاتورة كما يشاء وهو يكذب فيها ويكبرها بالبلايين. ومخطأ وساذج من يعتبر أن القضية بدأت من ٨/٢، وأؤكد ما قاله الأخ أحمد مكي، أنا شخصياً طوال عمري وطوال حياتي السياسية ضد الرئيس العراقي وما فعله، خاصة بإيران المسلمة وكيف كان هو والذين يمدحونه، وكنا نناقشهم ولا يصبرون علينا عندما كنا ندافع عن إيران وهم يدافعون عنه عندما كان يضرب إيران.

والقضية أكبر جداً من أن ينظر إليها بسذاجة مع فلان أوفلان، نحن مع بلادنا، نحن مع حضارتنا، نحن مع أمتنا، نخوض معاركنا عندما تفُرض علينا وعندما يكون لنا شرف الخيار بين قيادتنا فالأمر سيكون مختلفاً. بإختصار إستراتيجياً ، هذا الغرب بشقيه يتصارع على نهب العالم. من ينتصر يعيد القسمة. فالنظام العالمي الثاني بعد الحرب العالمية الثانية اقتسم ما بين الإتحاد السوفيتي وبين أمريكا وذلك في إتفاق يالطا ووضعت فيه الحدود لم تتدخل فيه أنت ولم يكن يمكن أن أفعله أنا، فإذا خرج أحدهما عن الخط كانت الطامة الكبرى واضطر ان يعود التزاماً بمواثيقه. بعد ذلك عندما حسمت الحرب الباردة لصالحها ودفعت ثمناً غالياً لتلك الحرب الباردة حسمت بسباق التسلح، ولقد اضطرت أن تكون أكبر دولة مدينة في العالم(بـ٣ تريليون دولار) وكانت تنفق وتستدين من هؤلاء العبيد المساكين الذين لا يجرأوا أن يطالبوا بديونهم. أوروبا عبد من عبيد العائلة واليابان ونحن العالم الثالث وأهل البترول من العبيد الذين يجب أن ينظر إليهم. فسرقت أموال العالم لكي تبني سباقها في التسلح الأمر الذي لم يستطع الإتحاد السوفيتي أن يفعله فانهار إقتصاده قبل أن ينهار اقتصاد أمريكا، مما اضطرهم أن يغيروا ويستسلموا وبدلاً من أن يكملوا حربهم العقائدية بإستيراد مبادىء ضد الرأسمالية من الخارج أعلنوا رأسماليتهم أو كما سماها الأستاذ عادل مهدي (الإمبريالية الإشتراكية) وانضموا إلى الإمبرياليين والآن يعاد ترتيب هذا الوضع داخل هذا العالم الأول.

---

*قُدمت هذه الكلمة يوم السبت ٢٩/١٢/ ١٩٩٠.

**تم التعريف بالمحاضر في الصفحة رقم (٥١).

كيف يعاد هذا الترتيب، أمريكا أنُهكت، الإتحاد السوفيتي ما عاد في المعركة، حسب الطبيعة السلمية الظاهرة للوضع يجب على الأقوى أن يقوده. أمريكا. بعد أن حسمت الحرب الباردة الأقوى كانت أوروبا واليابان وخاصة المانيا الموحدة الآن فالمانيا الموحدة واليابان وأوربا سيجعلون من أمريكا صاحب القرار الثالث والرابع في العالم وهذا الأمر لايمكن أن يقبل به ان الأمريكان وقد خططوا لهذا الغزو سابقاً وكما ذُكر في مذكرات إيزنهاور "كان البعض يفكر في غزو الخليج" وكما ذكر السفير الأمريكي في السعودية عام ١٩٧٥ آتيكنز في مقالته في لوس أنجلوس تايمز عندما ذكر أن هناك خطة كتبت في كتب الإستراتيجية الأمريكية عن إحتلال الخليج والسيطرة على النفط وبيعه بـ٢٠ دولار، دولارين للإخراج و٨ دولارات للغرب وعشر دولارات للثلاثين سنة تغطي به الولايات المتحدة عجز الميزانية وعندما سئل هذا السفير من قبل أحد الصحفيين ماذا تقول في هذا التقرير قال هذا كلام مجانين وقال لم أكن أدرك أن كيسنجر كان وراء هذا فطردني، وكُتب هذا حديثاً في لوس أنجلوس تايمز قبل أربعة أشهر. إذن هذه الخطوة المجنونة موجودة وعندما كتب قال الآن تنفذ هذه الخطة المجنونة. وكان لابد من سيناريوهات لاخطار الأمريكان وهذا ما حدث بالضغط على العراق واستُحدث هذا الذي جرى. إذن أمريكا عندما حسمت هذا الأمر، تحركت قبل أن تجتمع القمة العربية وهذا ثابت في الوثائق وحسمت الأمر بأن القوة العسكرية هي التي تقول قولها من هنا إلى ٤٠ و ٥٠ سنة قادمة. وأما القوى الإقتصادية فليس لها قول في أمور القرار،لها إحترامها، ولكن ليس لها قرار. القرار للعسكر، علاوة على أن إحتلال منابع النفط سيكون الكماشة التي تطبق على عنق الإقتصاد الأوروبي والياباني وغيره بحيث تتحكم أمريكا بقوة في ذلك الإقتصاد فيحسم الأمر قبل عام ١٩٩٢ عندما تتوحد أوروبا. إذن حسمت الولايات المتحدة الأمر لصالحها لتكون هي القوة الأولى في المنطقة. إضافة إلى الإستراتيجية التاريخية للحرب الصليبية للقدوم إلى مركز العالم ،مركز الحضارات ومهد الديانات وإحتلاله، هذه أيضاً إستراتيجية من إستراتيجياتهم، إضافة إلى الثروة الكامنة. اكتشفوا البترول ونحن لم نكتشفه فقالوا لنا تحَكم بترول فلنشترك به، أخذوا التسعة وأعطونا واحداً عندما بدأوا. كذلك نحمل كنزا عظيماً رآه مفكروهم ولم نره، واليوم بدأنا نراه. الإسلام.. المفكرون كانوا يرون الإسلام، هذا هو المحرك للمشروع الإنساني الوحيد القادر على أن يقف أمام هذا المشروع الإستكباري. حيث أن الحضارات الأخرى مهما تقدمت ليس عندها رسالة إنسانية تستطيع أن تتقدم في منطقتها وتجلس.

أما هذا الدين الذي هو أكثر العقائد انتشاراً في العالم، علماً بأن الأمة الإسلامية هي في أضعف أوقاتها من أي وقت مضى، مع هذا فإن هذه العقيدة تنتشر بأسرع من أي عقيدة مضت. فكيف إذا قيض لهذه العقيدة دويلة صغيرة وبعض المال لكي تتصرف. إذن الهدف الإستراتيجي لضرب معقل الإسلام وقلب الإسلام وإلحاق الحرم الأول والثاني والثالث للإحتلال وضرب القوتين قوة العراق المادية وقوة إيران المادية والمعنوية لأن إيران هي قبلة الثورة في هذا العصر، فإحتلال قبلة عبادتنا وهي الكعبة الشريفة وايضا المكان الوحيد الذي إستطاع أن ينجح ويقيم دولة إسلامية، وهي أول دولة إسلامية في العالم تقام في هذا القرن، وهو أمر لا يمكن أن يسمح به. فضرب العراق لن يكون وراءه إلا ضرب إيران واعادتها إلى العلمانية. ومن قصر النظر أن لا تقف إيران ضد ضرب العراق مبكراً لأنها هي الثور الأبيض بعد أن يؤكل الثور الأحمر.

هذا ما يريده الغرب يريدون إلحاق أوروبا، وأوروبا تعرف هذا فلماذا تركض وراء أمريكا؟ كل واحد يعرف قوته إن لم يحضروا القسمة لن يأخذوا شيئاً، يجرون وراءها وهم يشتمونها، (كل ما واحد تذبذب لهم أكثر حصل له في القسمة أكثر)، وبهذا أرسلت ساحل العاج ١٢ جندي لكي تخيف العراق! الكل يريد أن يأخذ قسمته أما الصراع فهو داخل أوروبا فلو إشمت أوروبا أي جزء من أوروبا لو إستنشق أملاً في أن يخرج من هذا النظام الجديد ويدخلون صراعاً، تأكدوا أيها

الإخوة والأخوات أنهم كانوا سيفعلون ولما قيض لأمريكا لأن تصل إلى ما تريد.

أما حالنا فسنلحق بعالم الرق والعبيد ويضرب على رقابنا بالحديد أما أوروبا فستدخل في صراع مع أمريكا في حرب عالمية لإقتسامنا، مع أن الأمل بالله سبحانه وتعالى أن تكون الحرب العالمية القادمة بين المشروع الإستكباري والمشروع الإنساني الإسلامي الذي لا يحتاج أي قوة. ويخطيء من يقول أننا بعد أن نبني أنفسنا نقف لهؤلاء فلا تستطيع الأمة أن تبني نفسها بالإعتماد على المشروع الغربي. فالإعتماد على المشروع الغربي هو التحاق بالغرب وهو نبذ لمشروعنا فمشروعنا هو مشروع المصطفى صلي الله عليه وسلم وسره بسيط حب الشهادة، طلب الموت، الجهاد، وأثناء ذلك كل ما قيض الله من سلاح فأهلاً وسهلاً فمشكلتنا وقضيتنا تبدأ بالجهاد وتلتحق الأسباب المادية بها بعد ذلك.

فلسطين في المواجهة الحضارية بين الإسلام والغرب*

الأستاذ حسن التل**

(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار).

صدق الله العظيم

(سورة الحشر ١-٢)

لقد أخذ الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب بعده التاريخي منذ بدايات الدعوة الإسلامية، وكان توجه الإسلام نحو البقع الجغرافية المجاورة للجزيرة العربية والتي تمثل إمتداداً جغرافيا وبشريا للعرب واضحاً منذ حداثة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وقد أشارت إلى ذلك الروايات التاريخية التي تحدثت عن رحلتي الرسول عليه السلام التجاريتين مع عمه أبي طالب وما دار من حوار بين عم الرسول عليه السلام والراهبين نسطوري وبحيرة من ضرورة العناية بقريبه من غدر اليهود الذين يعلمون من خلال كتبهم أن نبيا قد أظلهم زمانه وهم يعرفون صفاته.

وكان لحادثة الإسراء والمعراج من مكة إلى بيت المقدس ومن بعدها إلى جوار العرش وما أسفر عنها من فرض الصلاة على المسلمين وتوجههم إلى القدس فيها الربط الإستراتيجي بين المكانين.

وإذا أضفنا إلى ذلك التعاون والتواصل بين العرب والمشركين وبين اليهود في الجزيرة في ضرب الدعوة ووضع العراقيل في طريقها بدءاً في إستعانة العرب الجاهلين باليهود قبل الهجرة بإثارة الأسئلة مثل قضية أهل الكهف وموضوع الروح... ومروراً بالتعاون الإستراتيجي بين يهود الجزيرة والمشركين العرب بعد الهجرة رغم وثيقة المدينة التي صاغها الرسول لتقوية العلاقات بين سكان المدينة على اختلاف معتقداتهم وما تبع ذلك من نقض لهذا الإتفاق وخرق لسائر الإتفاقات وإنحياز اليهود إلى الصف العربي المشرك وتآمرهم على المسلمين والذي ظهر واضحاً وجلياً في معركة الأحزاب وما تبع ذلك من صراع مسلح بين المسلمين وبين اليهود انتهى بجلائهم كلياً عن الجزيرة كما أشارت إليه الآية الكريمة التي استهلت بها هذه الدراسة.

---

*ألقيت هذه المحاضرة يوم الأحد ١٩٩٠/١٢/٣٠.

** من مواليد ١٩٣٢ في الأردن، مؤسس ورئيس تحرير جريدة "اللواء الاسلامي" ومن رجال القلم الإسلاميين البارزين.

هذا عن بدايات الصراع بين الإسلام وبين الجانب اليهودي أما بدايات الصراع مع الجانب الغربي. فقد بدأ هو كذلك- في فترة متقدمة من التاريخ الإسلامي منذ أن وجه الرسول عليه السلام سفراءه إلى حكام المناطق المجاورة يدعوهم فيها إلى رفع العنت عن شعوبهم من خلال دعوتهم إلى الإسلام وإختلاف مواقف هؤلاء الحكام من رسائل الرسول عليه السلام، وما تلا ذلك من تحركات أسفرت عن توجه جيش روماني جرارلضرب الإسلام في عقر داره واستنفار الرسول عليه السلام للمسلمين للتصدي لهذا التحدي متمثلاً بغزوتي تبوك ومؤته، ومحاولة حاكم الروم أن يستدرج أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد في جيش الله بإغرائه بالهرب إلى بلاده ورفض كعب بن مالك لهذا العرض وتحمله لتكاليف عقوبة التخلف حتى نزلت مغفرة الله عنه وعن صاحبيه قرآنا يقرأه المسلمون على إمتداد الزمن " **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم" (التوبة ١١٨)**.

ثم كان الرد العملي على مواقف حكام المنطقة من الرسائل النبوية اليهم بإجتياح ظلمهم وتحرير شعوب المنطقة بالقوة العسكرية التي تحققت فيها كل وعود الإسلام للمسلمين ففي أقل من أربعين سنة من يوم الهجرة إستطاع المسلمون بالإسلام أن يحرروا بلاد فارس وما بين النهرين والشام بأقاليمها الأربعة، ومصر والشمال الإفريقي كله إلى بحر الظلمات رغم الفرق الهائل بالعدد والعتاد والتقدم المادي بأنواعه المختلفة بين المنتصرين والمهزومين لأن المسلمين التزموا بأوامر الله ونواهيه فصدقهم الله وعده، " **إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (آل عمران ١٦٠)**.

لقد تواصل الصراع بين الإسلام وبين الحضارة الغربية بأشكال مختلفة، فبعد أن تجاوز المد الإسلامي إسبانيا والبرتغال إلى فرنسا حتى وقف في سهول الليون بعد معركة بواتيه، بدأ الجزر الإسلامي يأخذ أشكالاً شتى ومظاهر متعددة من الهزائم. بدأت بالإهتزازات العنيفة التي ألمت بالأندلس وانتهت بتمزيق الدولة الإسلامية الواحدة وتحولها إلى ملوك طوائف وما أسفر عن ذلك من القضاء الكامل على الوجود الإسلامي فيها نتيجة للإختراق السلوكي الذي مثله أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر ووصفته أمه وصفاً صادقاً عندما قالت له:

"أبك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال"، وإنتهاءاً بالتفسخ والإنحطاط السياسي والفكري الذي إنتهى بالإجتياح الصليبي الذي أبرز أحقاد الغرب الدفينة على الإسلام حيث لم يتورع بإستعمال كل الوسائل بما في ذلك التعصب الديني البغيض الذي يخالف أبسط مباديء الأديان. فاستغل الغرب الحالة الدينية عند الشعوب الغربية وشحنها بأحقاده ضد المسلمين فكان ما كان. ولكن الإسلام على مدار قرنين إستطاع أن يلملم جراح المسلمين ويجمع كلمتهم ويدحر الصليبيين عن دياره، وكانت معركة حطين وما سبقها وتبعها من المعارك هي نهاية الوجود السياسي والعسكري للحضارة الغربية.

وشاء الله تعالى أن يبدأ عهد جديد للمد الإسلامي المبارك فبعد أن توحدت الأراضي الإسلامية تحت راية العثمانيين المسلمين، استطاع الإسلام هذه المرة أن يحطم حصون القسطنطينية ويجتاح جيوش الروم ويجعل من عاصمة الكنيسة الشرقية عاصمة للإسلام ويطلق عليها إسم " إسلام بول" ويجعلها مركزاً للمد الإسلامي الذي اجتاح أوروبا الشرقية ووصل أسوار فيينا.

والأمر الحري بالدراسة الجادة أن المد الثاني للإسلام جاء على أنقاض إنحطاط وتخلف وتمزق سياسي وتخلف فكري ولكن ظهور القيادة المتجردة الجادة وتسخير الإمكانات المادية المتاحة والتوجه الصادق من الجماهير نحو إرادة الجهاد والإستشهاد حقق المد الثاني للإسلام.

ولكن حركة التاريخ ذات القوانين والنواميس الثابتة التي لا تماري أحداً لم تغفر للمسلمين خلودهم إلى الراحة وتخليهم عن واجبهم الذي ندبهم الله له وتعرضهم مرة أخرى إلى الضعف والتفسخ والهزيمة وكان الحقد الغربي هو الأداة الأكثر قوة التي استغلت ظروف الدولة العثمانية السيئة، فأقامت إستراتيجيتها هذه المرة على الدراسة العلمية وسخرت كل الأسباب والإمكانات التي أتاحتها لها ظروفها وما توصلت إليه من تطور في شتى حقول العلم والمعرفة بدءاً بالتكنولوجيا وما توصلت إليه من تقدم في هذا المضمار من شتى أنواع الإكتشاف والصناعة وتسخيراً للعلوم الإنسانية المختلفة حيث جندت الآف المتفرغين المعدين للمهمة التي انتدبتهم إليها من مستشرقين ودارسين في شتى أنواع العلوم الإنسانية وحشدت كل ما وصلوا إليه من نتائج لدراساتهم المختلفة ووضعتها في معركتها ضد المسلمين وقد ساعدها ما انتهى إليه الحال الإسلامي عند المسلمين من ضعف وتشتت وإختلاف بالتصور، وعلى الإختراق للكثير من اصحاب القرار في العالم الإسلامي حيث تهيأت الأسباب لخططها الفكرية التي إستهدفت تغييب الإسلام الحقيقي عن الساحة وإقامة تيارات فكرية معادية للاسلام واستطاعت أن تجد لهذه الأفكار عملاء مأجورين من داخل الجسم الإسلامي، ومكنت لهذه التيارات الوافدة أسباب القوة حتى استطاعت أن توجد لها جيوباً حضارية تتبنى أفكارها وتعمل على تحقيق مخططاتها فبرزت القوميات بالمفهوم الغربي من خلال حركة التتريك التي قام عليها حزب الإتحاد والترقي، وجاء رد الفعل ببروز القومية العربية التي غذاها الغرب بالأسباب التي تحقق له أهدافه ومخططاته، ووصلت الأوضاع في العالم الإسلامي كله إلى حالة القابلية للإستعمار. وعندها بدأ الإجتياح الذي لم يقف إلا بعد أن استولى على العالم الإسلامي كله بدءاً بطنجة وإنتهاء بجاكرتا ومروراً بالوطن العربي كله وبلاد فارس والهند وسائر الأراضي الإسلامية في العالم أجمع.

ولم يقف محركوا الصراع الغربي عند الإجتياح العسكري بل سبق هذا الإجتياح ورافقه إجتياح فكري وإقتصادي تناول مرافق الحياة كلها.

لقد جاء الإستعمار الغربي على أنقاض إنحطاط ذاتي كانت تعاني فيه الأمة من التخلف والتحلل والفساد إلى درجة جعلتها غير قادرة على استيعاب ما هي فيه وعاجزة كليا عن إستشراف المستقبل من خلال معطياتها الذاتية حتى وصل مع قطاعات كثيرة من أبنائها إلى درجة العداء المستحكم بين أبناء الوطن الواحد، عندما نجح في خلق مدرستين متناقضتين. وصل الأمر فيهما إلى فجوة من الشك والإحتقار ينطلقان من قناعات تكاد تكون ثابتة لعدم توفر مناخ الحوار الجاد القادر على تجسير العلاقة بينهما، وقد واصل العدو المشترك تحريك مديته في هذه الجراح ليستمر النزيف ويتواصل التمزق حتى حقق له كل هذا الإجهاز على الضحية.

ولقد استغل العدو ظروف التخلف والإنحطاط وقام بدراسة مستفيضة تعتمد التخطيط المنهجي الذي يحدد أهدافه ويعمل لها بجد ومثابرة فوضع المناهج التي تحقق هدفه بإستراتيجية واضحة حيث فجر التغيير الإجتماعي من الداخل على الصورة والكيفية التي تنحرف عن متطلبات الوطن العربي وتحقيق أهداف المشروع الإستعماري فخلق إزدواجية حضارية تستهدف خدمة مشروعه حيث أبقى على الكيانات التقليدية للمجتمع بما عليها من تهرؤ وخَلَق إلى جانبها بنيان شبه جديدة كما

يقول الدكتور سعد الدين إبراهيم(١) دون أن تكتمل أو يسمح بإكتمالها بدءاً بالهياكل السياسية التي أبقى على شكلها وقلص نفوذها. وضع إلى جانبها هياكل صاغها على عينه فأعطاها الأسماء والمظاهر والأشكال الحديثة التي صاغت مجتمعه، وحققت له ما يتمتع به من تقدم وغنى، وسلبها الروح والقدرة على تحقيق التقدم، بل أنه وجهها توجيهاً سفلي بحيث كانت الحركة إلى أسفل، فزاد الظلم وانتشر الفقر وتكرست الفرقة. وكانت هذه النتيجة التي تشكل الحالة التي وصلت إليها القضية الفلسطينية ممثلة بالعجز العربي الرسمي والموقف الدولي السلبي نهاية الضعف والفشل والإحباط.

ولم يقف الأمر عند الحالة السياسية بل أن المشروع الإستعماري تحدد أكثر في الهياكل الإقتصادية والتعليمية فقوض الإقتصاد القائم الذي كان يحقق الحاجات الأساسية للسكان من خلال إعتماده على الزراعة والرعي والحرف التقليدية، وحول الجزء الأكبرمن الإقتصاديات الوطنية إلى إقتصاديات تابعة ومندمجة في نظامه الإقتصادي العالمي بقصد تحويل المجتمع من حالة الإنتاج إلى حالة الإستهلاك ينتهي دوره في توريد المواد الخام إلى مصانعه في الغرب وإستيراد السلع المصنعة هناك بشروط تبادل مجحفة، حيث انتهى الحال إلى الحال الذي نحن فيه من عجز إقتصادنا عن النمو المستقل والإكتفاء بهذه الجيوب الإقتصادية الممثلة بهذه المراكز التجارية والمصرفية التي تقوم بدور أشبه ما يكون بدور العميل الذي قد يحقق بعض المكتسبات على حساب مصالح وطنه وأمته.

وحتى تكتمل أهداف المشروع الإستعماري، فقد إعتنى عناية خاصة في التعليم وأقام استراتيجيته التعليمية على إضعاف المؤسسة التعليمية الوطنية الممثلة بالمظاهرالقائمة وبنى إلى جانبها مؤسسة تعليمية علمانية ليس بقصد تخريج الفنيين والمهنيين والمثقفين العصريين كما يقول الدكتور سعد الدين إبراهيم ولكن بقصد تخريج أنصاف متعلمين يصلحون فقط لملء وظائف الخدمة المدنية والأجهزة التي خلقها الإستعمار كأداة لإحكام سيطرته وإستغلاله.

لقد استهدف المشروع الإستعماري من هذا التدمير في الهياكل الإجتماعية تشويه مكونات المجتمع وخلق فئات إجتماعية معاقة غير قادرة عن الخروج من الفلك الذي رسم لها على كل الأصعدة حيث أفسدت الواقع وعجزت عن إفراز معطيات جديدة قادرة على تطوير المجتمع ودفعه إلى الأمام.

فعلى صعيد الصناعة أجهز على طبقة الحرفيين التي كانت تقوم على تأمين المجتمع بحاجاته الأساسية، وأقام على أنقاضها طبقة شبه "بروليتارية" ولكنها لا تعمل في الصناعة وإنما في الخدمات والتجارة والمواصلات وتعاني من البطالة السافرة أو المقنّعة ولم تحمل هذه الطبقة الجديدة المهمة أو الأدوار الإجتماعية والإقتصادية التي حملتها البرجوازية الغربية على أكتافها، ومع ذلك حاولت وما زالت تحاول التشبه بالبرجوازية الغربية وتطلعاتها وأنماطها الإستهلاكية دون أن يكون لها أي من مآثرها.

أما على الصعيد الزراعي فقد قام المشروع الإستعماري على دعم كبار الملاك المحليين حتى أصبحوا شبه إقطاعيين وظل صغار الفلاحين يحتلون السواد الأكبر من سكان الأرياف وجاءت القرارات الزراعية التي نفذت على أيدي النخب او الجيوب الحضارية التي أوجدها المشروع الإستعماري، وأناط بها القرار السياسي لتحوّل الجزء الأكبر إلى أجزاء هجروا الريف إلى المدينة وانضموا إلى البروليتاريا الهلامية.

---

(١) تجسير العلاقة بين المثقفين وأصحاب القرار السياسي.

لقد استطاع المشروع الإستعماري أن يفسد مسيرتنا على إمتداد الفترة التي تم فيها الإتصال معه فشوّه الإقتصاد العربي وأوجد حالة من الفوضى أفسدت هياكلهم وحالت دون تكاملها، الأمر الذي أدّى إلى نشوء تكوينات إجتماعية مشوهة كرست هذه الفوضى وجعلت كل المحاولات التي طفت على السطح مع عهود الإستقلال عاجزة عن إنجاز أي نجاح على أي صعيد، وجاء عهد النفط بشكله الدرامي كما يقول سعد الدين إبراهيم ليضاعف من تشوّه أنماط الإنتاج والتكوينات الإجتماعية. وكان من مظاهر هذا التعميق للتشوه مزيد من التبعية الإقتصادية والثقافية والسياسية للخارج التي برزت في هذا التفاوت في الثروة بين البلدان العربية وفي داخل كل منها بين الفئات المختلفة وعدم الإنسياق بين معايير العمل والأداء من ناحية ومعايير التوزيع والجزاء من ناحية أخرى.

وقد عمقت الأزدواجية في التعليم هذا التناقض حيث أوجدت تكوينات إجتماعية ثقافية مشوهة وغير متوزانة. فقد قامت المناهج التعليمية الحديثة على أساسٍ علماني وزودت بمعظم العناصر وأحسنها وكان نصيب التعليم الديني أقل هذه العناصر وأردأها في الوقت الذي بقيت مخططات المشروع الإستعماري تفعل فعلها بحيث أن الذين إنخرطوا في التعليم العلماني لم تتم تنشأتهم وتدريبهم بالكيفية اللازمة للقيام بدور تحديثي فعال، كما أن الذين إنخرطوا في التعليم الديني لم تتم تنشأتهم وتدريبهم للقيام بالمحافظة على الأصالة بأفق مفتوح وفقه متطور، بل تم تكريس المفاصلة بين أبناء الأمة الواحدة وتجذرت الخلافات إلى درجة العداوة، وما زالت المعركة مستمرة بين الفريقين والهوة عميقة واللقاء شبه مستحيل.

لقد كانت هذه الفترة التي ما زلنا نعيشها من أسوأ الفترات التي عاشها العالم الإسلامي فقد حدثت فيها اختراقات كثيرة وتلاشت فيها أسباب المقاومة أو كادت وطفى على السطح الكثير من الأمراض وعانت الأمة معاناة شديدة من التفسخ والضعف والهزائم، وانقسمت على نفسها وبددت جهودها وطاقاتها بما لا طائل وراءه فأصبح أبناء الأمة يضرب بعضهم وجوه بعض، وبعدت المسافة بين الحاكم والمحكوم وتكاثرت الهزائم وتحول الشعب إلى أداة إستهلاك تافهة حتى أحكم العدو يده علينا، يهددنا برغيف الخبز ويلعب بقدراتنا كيف يشاء. وقد انعكس ذلك كله على قضية الصراع وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية التي يعود ما آلت إليه إلى التخبط الذي كان وما زال يعاني منه القائمون على أمرها حيث أنها لم تأخذ مسارها الشرعي في حلقة الصراع وكان الكثيرون وما زالوا ممن يتقدمون للعمل يحولون بينها وبين الكثير من أسباب قوتها ويكفي هنا أن نشير إلى واحد من هذه الأسباب، وهو العمل الدؤوب على إخراجها من إطارها الطبيعي والشرعي وهو الإطار الإسلامي وإصرار الكثيرين من أصحاب النفوذ على هذا الطرح في الوقت الذي توجهوا فيه نحو الشيوعيين واعتبروهم الأصدقاء. فكانت النتيجة هذه الجريمة المأساوية التي انتهت بالهجرة اليهودية من الإتحاد السوفيتي إلى فلسطين فكانت عربونا لهذه الصداقة.

لقد أخطأت الثورة الفلسطينية في النتائج التاريخية النهائية بعدم الإنطلاق من الإسلام بسبب تأثر القائمين عليهابالمناخ العام، وتأثرهم بالظروف السياسية التي صنعت الوجود العربي القائم بكل ما فيه من تناقضات وما تعاني أنظمته من أمراض أبرزها التبعية لقوى الإستكبار العالمي. هذه القوى التي صنعت مأساة فلسطين وحمت الصهيونية ومدتها بأسباب القوة وحمتها بسور من هذه الأنظمة التابعة لقوى الإستكبار المنفذة لسياستها. وقد خسرت القضية الفلسطينية بسبب ما حل بينها وبين ما يفرضه الإسلام من ضرورة خلق تيار شعبي يقوم على أسس فكرية وشعورية تشكل قوة ضاغطة على الأنظمة للإستجابة إلى الروح الشعبية الإسلامية وليس التوجه إلى الأنظمة أو المنظمات التي كانت

السبب الرئيسي في ما عانته وما تعانيه من إحباط، بل على الحركة الإسلامية أن تبادر لتبنى إستراتيجية تمكنها من حمل السلاح وخوض المعركة مع اليهود ومن يحاولون حمايتهم. وكما هو الحال مع الطروحات والحركات العلمانية وكذلك كان أمر العمل الإسلامي.

إن الحركة الإسلامية العربية قصرت كثيراً بل فشلت بإستراتيجيتها تجاه القضية الفلسطينية وغيرها من القضايا الأخرى لأنها لم تبادر بالتحرك القائم على الدراسة الذاتية. وبناء الإستراتيجية المناسبة للمرحلة.

وقد برز فشل الحركة الإسلامية السريه بروزاً واضحاً، عند مقارنتها بالثورات الإسلامية الأخرى سواء على صعيد مواجهة الإحتلال ممثلا بما إستطاعت القيام به الثورة الأفغانية التي واجهت الجيش الأحمر وأذلت كبرياءه وأرغمته على الأنسحاب من آراضيها، بل أنها فعلت فعلها في الكيان الروسي حيث يرى الكثيرون أن الثورة الأفغانية بصمودها وتحديها وهزيمتها للجيش الأحمر قد أسهمت بالإنهيار الكبير الذي أصاب الجسم الشيوعي. ومن هنا فقد أصبح لزاماً على القائمين على الثورة الفلسطينية إسلامين وعلمانيين أن يدرسوا حال الثورة الأفغانية والإستراتيجية التي قامت عليها لأنها بهزيمتها للجيش الأحمر من أرض الأفغان حققت نصراً كبيراً إعترفنا به أو لم نعترف لأنه حقيقة أكبر من كل إدعاء. في الوقت الذي فشلت فيه الحركة الإسلامية العربية في تحقيق أهدافها فإن المسلمين الأفغان الذين واجهوا الإتحاد السوفيتي يوم كان في أوج قوته العسكرية واستطاعوا أن يرغموه على الإنسحاب بعد صراع دام طويلاً، دام عشر سنوات متواصلة يشكلون نموذجاً متقدماً في العمل الإسلامي الثوري حري بالعاملين في حقل القضية الفلسطينية أن يدرسوه ويغيروا منه لا أن يثيروا الشبهات في وجهه...

أما الرؤية الإسلامية لقضية السلام فأحسب أن السلام بالنسبة لهذه القضية بالذات أو مجرد التفكير به بإستراتيجية بجدية يشكل جهلا في حقيقة هذه القضية وخللا في فهمها فإن الأرض الفلسطينية كلها أرض إسلامية لا يجوز التفريط بشيء منها، وأن الوجود اليهودي السياسي وجود طاريء يجب إزالته والدور الذي يجب أن يضطلع به المسلمون في هذه القضية هو إقناع القوى التي دعمت وتدعم إسرائيل ببغيها وظلمها وأن تحركها في إتجاه الدعم اليهودي سوف ينتهي في نهاية المطاف إلى النقيض مما تتوقعه وسوف يكون وبالا عليها لأن اليهود يسوقونهم إلى النهاية المحتومة التي ينتهي إليها كل باغ وظالم كما أكدته حركة التاريخ ونواميس الحياة التي توجهها إرادة الله. وإن كان الوجود اليهودي كله في المنطقة وقبله الوجود الإستعماري يعود إلى حالة الإنحطاط والفوضى والتسيب والإعراض عن أوامر الله التي هيأت الحالة التي إستطاع الإستعمار واليهود أن يجتاحوا المنطقة ويذلوا شعوبها فإن أمر التحرير مرهون بالصحوة الإسلامية القادرة على إصلاح الخلل في العلاقة بين الأمة وعقيدتها وإدراك الشعوب الإسلامية لمسؤولياتها الدينية في عملية التحرير وتنحي الذين وصلوا بالقضية إلى هذه المرحلة من الضعف والإستسلام واليأس بعد أن باشروا عمليات التنازل بدءاً بمقولة الأرض مقابل السلام وإنتهاء بالقبول بأي شكل من أشكال الوجود على الأرض الفلسطينية والتخطيط لعمل جهادي إستراتيجي واعد يقوم على دراسة المنطقة وعلاقاتها الدولية والعمل على تحريرها من كل الأوهان التي تحول بينها وبين مباشرة دورها الحقيقي في معركة الوحدة والبناء والتحرير، ويجب في الحال أن ترتفع الأصوات مخاطبة رموز التخاذل ضاربة بعنف إدارته وما لم نواجه الواقع فإن الأحداث تذكر ان المقصّرين والعاجزين لن يستطيعوا الوقوف في وجه حركة التاريخ لأنها أقوى منهم فهي قادرة على إستبدالهم بالذين يحسنون فهمها ويستطيعون التعامل معها "ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا

يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " سورة محمد آيه ٣٨.

أما قضية التوازن الإستراتيجي مع الغرب كشرط لازم لحل قضية فلسطين فيجب أن يفهم على أساس القدرة والإمكانية وبذل الجهود والطاقة، وليس على أساس الضرورة في تحقيق المستوى المادي الموازي لقدرات الغرب لأنه ليس المستوى العلمي والإمكانات الإقتصادية ولا القدرات البشرية ونوعية المؤسسات هنا وهناك قادرة بالمعيار العلمي الوضعي والمفهوم المادي أن تحقق هذا التوازن في الزمن المنظور لظروف وأسباب كثيرة ولكن الحقيقة التي يجب أن يفهمها الإسلاميون ويدركوا أبعادها أن الإستراتيجية في المنظور الإسلامي تختلف من حيث الأساس والتوجه عن الإستراتيجية الغربية الوضعية.

فالمرحلة الأولى التي يجب أن تقوم عليها الإستراتيجية الإسلامية هي الفهم الحقيقي للإسلام والقدرة على التصور السليم لهذا الفهم ثم الإرتفاع بالتجرد والإخلاص والصدق والإحسان لهذا التصور. وأن يكون العاملون للإسلام على مستوى هذا التصور فهماً وسلوكاً. وعندما يرتفع المسلمون إلى مستوى إسلامهم ويحسنون فهم عصرهم والتعامل مع هذا العصر من منظور إسلامي يكونون بحق قد وضعوا أساسيات الإستراتيجية الإسلامية.

أما أن يقف العمل للإسلام عند طرح الشعار بدون فهم حقيقي لهذا الشعار وفهم لإلتزاماته وقدرة على الإلتزام بتكاليفه، الأمر الذي سبب هذا الإحباط والفشل الذي عانت منه الحركة الإسلامية وعرّضها للأخطاء الفادحة التي سببت لها كل هذه العقبات، والذي استمر كل هذه السنين وتجاوز في مرارته شتات الكثير من الحركات التي عرفها التاريخ.

إن الحركة الإسلامية المعاصرة على كثرة ما حققت من إنجازات في عدة ميادين إلا أنها إجترحت أخطاء أعاقتها عن أخذ مكانها الطبيعي في مسيرة الأحداث وجعلتها متخلفة حتى عن الصحوة الإسلامية التي وصفها الكثيرون من المفكرين الإسلاميين بأنها جسم بلا رأس إشارة إلى عجز الحركات والقيادات الإسلامية عن إستيعاب المرحلة وحتى التصرف معها وتوظيفها في إطار الأهداف الكبيرة للاسلام.

إن ما يجب أن يعكف عليه زعامات العمل الإسلامي هو إعادة النظر بإستراتيجية الحركة ومراجعة تحركاتها وقياسها على أساس القرآن الكريم والفهم النبوي وإذا أفلحت هذه القيادات بإستيعاب أبعاد إستراتيجية الدعوة الإسلامية واستطاعت أن توجه جماهيرها الوجهة السليمة وصنعت منهم نماذج كتلك التي أفرزتها الدعوة الأولى، عندها فقط يبدأ العمل الجدي القادر للحركة الإسلامية، وتستطيع أن تحقق ذاتها من خلال إلتزاماتها الإسلامية. وعودا على بدء فإن فلسطين قد تعرضت للغزو والإحتلال أكثر من مرة وسقطت عاصمتها القدس حوالي تسعين عاماً بأيدي الغزاة، وعقدت أكثر من معاهدة، وتم أكثر من صلح، ولكنها مثلما تعرضت للغزو والإحتلال كانت محركا فاعلا للنهوض والتحرير والوحدة ،واستطاع الإسلام أن يقيم دولة كبيرة مرهوبة الجانب شملت مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية واستطاع المسلمون طرد الغزاة.

إن ما آلت إليه القضيةالفلسطينية في هذه الأيام هو حصيلة لارتكاسات كثيرة ومتعاقبة ليست مسؤوليتها مقصورة على فريق دون فريق، فالمسؤولية عامة ومشتركة.

وإن كانت هذه الظروف تفرض على أصحاب القرار السياسي مواقف جديدة فإن هذه المواقف وليدة المرحلة التي يجب أن تبلغ مداها لتستكمل شهادة التاريخ على هذه المرحلة.

أما معقبات الأمور وما يحمله المستقبل القريب أو البعيد فمختلف كل الإختلاف عن الشواهد والمرئيات.

ترى من كان يصدق لو وقف واحد على ضفاف دجلة وهو مصبوغ بالدم والحبر يوم دخل المغول بغداد وفعلوا ما فعلوا وقال لبقايا المغوليين سوف تزول آثار هذه الجريمة وسوف يجتمع الشمل من جديد وتعود جحافل الفتح لتدك أسوار القسطنطينية.

وهل أحد يفهم مثل هذه اللغة لو جاء على المنتظرين للذبح في صحن المسجد الأقصى عندما كانت خيول برابرة أوروبا تغوص في الدماء إلى الركب ويزيد على ما قيل على ضفاف دجلة بأن حفدة صلاح الدين لن يقفوا عند ضفاف البسفور والدردنيل بل سوف يتجاوزونه إلى أوروبا، وتجتاح جيوش المسلمين مساحات واسعة وتقف على أبواب فيّنا حاملة الإسلام هناك.

وهل فينا من يصدق ونحن في هذه الحال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال برواية مسلم وأبي داود وإبن ماجه والترمذي (إن الله قد زوى لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها وأن أمتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها).

وانه عليه الصلاة والسلام قال كما روى أحمد والطبراني (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدين بعز عزيزأو بذل ذليل عزا يعز به الله الإسلام وذلا يذل به الكفر).

بل من بقيت فيه دماء من الإيمان بذاته وعقيدته يستطيع أن يقرأ ما رواه أحمد الدرامي في الحديث الشريف الصحيح (يقول أبو قبيل كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولا، القسطنطينية أو رومية: فدعا عبدالله بصندوق له حلق فأخرج منه كتابا وقال: فقال عبدالله بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل عليه السلام أي المدينتين تفتح أولا، يعني القسطنطينية أو رومية فقال عليه السلام مدينة هرقل تفتح أولا..)

بل من كان يصدق ان تزحم شوارع تل أبيب بالمتظاهرين المحتجّين على سياسة الإستيطان الصهيوني في المناطق المحتلة.

إن الأيام القادمة حبالى بالأحداث فهل يستشعر علماؤنا وأصحاب القرار منا مسؤولياتهم ويتهيأوا للمستقبل بأساليب العصر ووسائله وبنيّة المواطنة الصادقة التي تعيش لاهداف أمتها وتتلمس مرضاة الله في تحركها القومي.

النظام الدولي الجديد وأثره على الوضع العربي والإسلامي*

الأستاذ عادل مهدي**

بعد صعود غورباتشوف والإعلان عن سياسة البيروسترويكا وظهور التحولات في الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية وما أعقب ذلك من تفكك حلف وارسو، وإنهيار في النظام الشيوعي وقيام ألمانيا بفرض وحدتها رغم كل عوامل العرقلة والتعطيل، بعد هذه التحولات الكبرى فإن الجزء الأهم من نتائج الحرب العالمية الثانية يكون قد إنتقل من عالم السياسة إلى عالم التاريخ مما فتح الابواب واسعة للكلام عن النظام الدولي الجديد.

فأخذت التحولات تطل برأسها في كل أطراف المعمورة نتيجة تخلخل العلاقة بين المعسكرين، أو بسبب إضطراب أدوار المراكز الغربية، أو لتصاعد المطامح التحررية الاستقلالية أو غالباً بسبب هذه العوامل مجتمعة. فتولدت بسرعة مناطق فراغ في إطارات النظام الدولي، وقامت في ساحات معينة طموحات جديدة أو صراعات من نوع جديد. فتوالت الانقلابات في أفريقيا، وهزت آسيا وأوروبا وأمريكا سلسلة من التغيرات العنيفة والهادئة.

وسط هذه الظروف- أو بسبب هذه الظروف-إندلعت أزمة الخليج في أكثر مناطق العالم حساسية وخطورة، فكانت بدورها مناسبة للأطراف المتصارعة للكلام عن النظام الدولي الجديد.

لكن الحديث عن النظام الدولي يتم عموماً بكثير من التبسيط ويتأثر بالموقع الذي يقف فيه المتكلم، فالمحلل في الغرب، يعتبر الإتفاقات الأوروبية الجديدة اتفاقات عالمية، ويعتبر المآل الذي آلت إليه الكتلة الشرقية دليلاً على صحة المنهج الغربي. ويعتبر الكثير من المتأثرين بالمدرستالغربية في بلدنا ان ما حصل من إنتصار الأفكار الليبرالية ونظام السوق الرأسمالية والوحدة الأوروبية المتحققة والمرتقبة وقيام عالم أحادي القيادة هو الحقيقة الأولى التي يجب البدء بها عند دراسة مستقبل المنطقة. ويتكلم آخرون عن إنهيار النظام ذي القطبية الثنائية لمصلحة نظام متعدد الأقطاب، فيقولون أن الاتحاد السوفيتي سيعيد تنظيم نفسه خلال عامين أو ثلاثة، وأن أوروبا الموحدة واليابان القوية إقتصادياً، إضافة لصعود قوى من آسيا، ومنها القوى الإسلامية ستساهم كلها في إقامة نظام دولي متعدد الأقطاب والمراكز.

إن مثل هذه الاراء وغيرها، وبغض النظر عما يمكن أن تحويه من حقائق قد تنطلق من المشاهدة المجردة، فترى النتائج وتنسى الأصول، او أنها ترى المؤقت ولا تتعامل مع الشامل، أو هي تقف عند الجزئي ولا تتناول الكلي.

ولهذا ،وقبل تحديد مستقبل النظام الدولي لابد من طرح بعض المرتكزات التي يقوم عليها هذا النظام لأن الكثيرين يتغافلون عن حقائق أساسية فتخرج الاستنتاجات شاذة أو غير كاملة.

أولاً: يجب أن نزيل وهماً كبيراً أعتقد أن أغلبنا يتفق عليه، وهو أن النظام الدولي، منظوراً إليه من العالم العربي والإسلامي، هو إسم على غير مسمى. فلم يحمل صفته الدولية لأنه يمثل إلتقاء الإرادات الحرة لدول العالم، بل حمل هذه الصفة لأن قلة من الدول الإستكبارية تجد أن مصالحها وكلمتها تمتد إلى مساحات العالم والكون كله، فتَتَحكّم بتعسف وإستغلال بمصائرالدول والأمم الأخرى.

---

* قدمت هذه المحاضرة يوم الأحد ١٩٩٠/١٢/٣٠.
** تم التعريف بالمحاضر في الصفحة رقم (٢٧).

وعليه، فإن مفردات المجتمع الدولي، والرأي العام الدولي والضمير الدولي تشير إلى طغيان الجزء وتعميم نفسه. .وكذلك لا تعني المؤسسات الدولية أنها وضعت لصالح عموم الدول . . بل هي تعمل-أولا وقبل كل شيء-لضمان مصالح دول وأمم معينة في عموم الساحة الدولية وفي العالم والكون. بهذا الفهم يجب أن نرى منظمات كهيئة الأمم ومجلس الأمن وصندوق النقد الدولي ومنظمات دولية تهتم بالتجارة والتعليم والبيئة و الغذاء وحقوق الإنسان والعفو الدولية.

ثانيا: لحسن فهم النظام الدولي، وفي واقعه ومستقبله، وما يهدد به الآخرين، أو ما يفتحه من مجالات عمل تفيد حركة الأمم والشعوب المستضعفة أو من مجالات إختراق تضعف قبضته عن رقبتنا لابد-على الأقل-من رؤية المستويين اللذين يشكلان هذا النظام.

المستوى الأول: البنية التحتية للنظام الدولي، أو القاعدة التي يقف عليها.

إن النظام الدولي على هذا المستوى ما هو سوى النظام الإستكباري الاستعماري الامبريالي. إنه خروج الرجل الأبيض والغرب لإستعمار العالم محطماً الحدود والقيود.

- مرة تحت شعار تحرير الأماكن المقدسة وما سماها بالحروب الصليبية وسماها أجدادنا عن وعي بحروب الفرنجة.

- ومرة تحت شعار "دعه يعمل دعه يمر" محطماً كل الحواجز لتدمير الحضارات الأخرى، مستبيحاً كل القيم لاختراق الشعوب، ليبني في بيته أشد أنواع الحمايات والقيود على دخول العمل والبضائع، بل وحتى الأفكار.

- ومرة تحت شعار نشر الحضارة. . تحت شعار محاربة الإرهاب والقضاء على بؤرة التوتر ومنع تهديد الأمن الدولي.

والنظام الدولي - كما جرى في بناه التحتية - لا كما قدم إلينا كخطاب ما هو في النتيجة سوى إنتقال أنظمة العبودية من مستوياتها المحلية الى مستويات عالمية، ومن أطر فردية إلى أطر جماعية بنيانية. .أي أن تستعبد أمة أمماً أخرى، ودولة دول أخرى، وشعب شعوباً أخرى.

والنظام الدولي-على هذا المستوى، هو ليس التوسع التدريجي للحالة المحلية، أي هو ليس نتيجة لتمدد الغرب. بل أن النظام الدولي هو الشرط الأول لقيام الغرب بمعناه الإستكباري. .فهو القاعدة اللازمة والضرورية لتوفير القدرة والقوة والرفاه الذي يتمتع به الغرب(أو الشمال) على حساب فقر وضعف وإستكانة الشرق(أو الجنوب). فالغرب هو ليس الفريضة ليكون النظام الدولي نافلته، بلى على العكس فإن النظام الإستعماري الدولي هوالأساس، إذا انهار إنهارت معه أوروبا والغرب الإستكباريين.

والنظام الدولي هو مجموع الشركات والصناعات والمصارف والبيوتات التي تخدم في النتيجة ما يسمى بالإقتصاد العالمي، أو نمط الحياة الحديثة. .وهو الإعلام والصحافة الدولية، وهو الجامعات ودور التعليم ومراكز البحث ونظام القيم والمعايير والأخلاقيات وطرق العيش والإستهلاك التي تنتج بشكل قسري أو طوعي ما يسمى بالأنماط العصرية للحياة أو الرجل العصري أو المرأة العصرية.

والنظام الدولي أو الإستعماري على هذا المستوى ورغم قدراته المادية والتكنولوجية الهائلة يمر بمعادلة قاتلة

يصنعها منطقهُ بنفسه، إنه نظام كمي مادي. .ليس فقط بما يؤمن به، بل أيضاً بمقومات عيشه وإستمراره. فهو يلتهم من الماديات أكثر مما تستطيع بناه القاعدية أوقوى الانسان والطبيعة أن تنتجه. فلتلبية الحاجيات المتزايدة من سلع وخدمات هناك وعاء من الأعمال الضرورية والخامات الطبيعية التي يجب أن توضع لخدمة هذه المهمة. وأن للآلة أو للتكنولوجيا دوراً مساعداً. . إنها تسرع العملية، تنظمها وتساعد على إتمام أعمال التحويل أو التصنيع أو لنقلها أو غيرها من أعمال، لكن الآلة لا تولدها. فما يضيع منها(أي قوى الإنسان والطبيعة) لا يمكن سوى لقوى بشرية جديدة ولإمكانات طبيعية محددة أن تعوضه.

لهذا عندما عمل أوغسطين إصلاحاته المشهورة وطالبه بعض شيوخ مجلسه أن يحرر المرأة. . أجابهم ومن يعوض عملها المنزلي الذي كان أقرب لعمل العبيد، فأجابوه "الميتيك" أي الغرباء العبيد. وكما في الماضي فإن القانون هونفسه نفسه، فإن أي تقدم أو إنجاز لتحقيق الرفاه والحرية للمواطنين الغربيين أو لشرائح معينة منهم فإن هناك شرائحاً وقطاعات مقابلة ومن الشعوب الأخرى يجب أن تقوم بخدمتهم وعملهم، أي أن تتولى أعمالاً إضافية لسد النقص الحاصل لدى الطرف الأول. لهذا قال الإمام علي (ع) "ما جاع فقير إلابما متع به غني". بل إن إلغاء قوانين الإسترقاق في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ما كان ممكنا لولا نقل عملية الإستعباد لتفرض على كتل وعوالم كاملة صارت تسمى اليوم بالعالم المتخلف أو بالعالم الثالث.

إذا كان ما نقوله صحيحاً فإن النظام الدولي هو نظام عدواني بالتعريف الأول الذي يقوم عليه، فهو لا يكتفي بالتهام حقوق ومكاسب وأرض الآخرين، بل يلتهم أيضاً وبسرعة هائلة مقومات الحياة والتكاثر كما وضعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان والأشجار والمياه والهواء وما في الأرض وما في باطنها وخارجها. وأن كل النظريات التي قبلت منذ قرنين أوثلاث ولحد الآن والقائلة بأن تقدم التكنولوجيا والآلة كفيل بسد هذا النقص أو بموازنة هذا الشرخ المدمر والخطير، كل هذه النظريات فندتها الحقائق الدامغة. وأن كل المدارس الإقتصادية والبيئوية والإجتماعية -وبالذات الغربية منها- تتفق اليوم أن نظام الحياة بطموحاته وأنماط إستهلاكه، والذي فرضته الحضارة الغربية قد دخل طريقاً لا عودة فيه ولا شفاء منه يهدد الإنسانية، بل يهدد الحياة على هذه الأرض.

هذه الملاحظات-ودون الحاجة للتفصيل فيها- تشير بوضوح إلى أن الآلة ومهما تقدمت إلا أن دورها يبقى محدوداً وملازماً لما يمكن أن يقدمه الإنسان أو تستهلكه الطبيعة، أو لما يسمح بتجديد دورة الإنسان ودورة الطبيعة، بالشروط الفطرية اللازمة التي أنشأها الله سبحانه وتعالى لهذه الحياة.

نتيجة ذلك ظهرت مقاومة واعية أو غريزية -بما في ذلك في الغرب نفسه- للتصدي لهذا النظام ولايقاف دولابه المدمر. . فتحققت نتائج منها تراجع الإستعمار بشكله السياسي، وأن وعياً متزايداً يتشكل، ومقاومات عديدة تظهر لهزم النظام الدولي في صلب بناه وأدوات عمله الإقتصادية والفكرية والحضارية، تماماً كما هزم-من قبل- النظام العبودي أو الإسترقاقي على أصعدته المحلية.

ونستطيع أن نقول أن الخط العام للنظام الدولي سائر إلي تفكك، وأن علامات الضعف المختلفة التي أخذت تظهر على تركيبته هي أمر يلمسه بسهولة كل مجاهد أو مقاوم ذي حس سليم. وأن تجديد الإستعمار أو النظام الدولي لنفسه إن كان يشير في جانب منه إلى تطورات تحصل في بنية هذا النظام، إلا أنه يشير في جانب آخر إلى إنهيار تدريجي لمقوماته وأركانه.

من خلال هذه الرؤية نستطيع أن نفهم كيف إنهار الإستعمار البرتغالي والأسباني، ثم كيف إنهار الإستعمار الفرنسي والإنجليزي وغير ذلك. . صحيح أن عملية التجديد كانت تأتي بقوة أشد بأس وإمكانية من التي كانت قبلها، لكن الأكثر أهمية في هذا السياق هو أن القوة الجديدة كانت تركب موجة التغيير وهي تحمل شعارات وأهداف تضرب الجوهر العميق لمنطق الإستعمار أو النظام الدولي مؤكدة أن هذا النظام أمر غير طبيعي ولا يمكن أن يدوم، وأن من يركب موجته سائر إلى هلاك لا محالة. .وأن مراجعة سريعة لسياسات الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي، منذ العشرينات وإلى ما بعد الحرب الثانية، والتي مهدت لهما بإحتلال دورهما لاحقاً كقوتين عظميين تشير بوضوح إلى صحة هذا الكلام.

بل أن هذه الرؤية وما سبقها -من أن المجال الدولي هو الأساس والبيت الأوروبي هو النتيجة- هي التي تفسر لنا لماذا إنهارت الكتلة الشرقية، وبهذه السرعة وبالشكل المثير الذي حصلت فيه. وأن الأسباب الأولى لانهيارها لا تعود أساساً لعوامل داخلية كما قد يبدو للوهلة الأولى. إنه ليس إنهيار النظرية ونظام الحزب الواحد والدولة المستبدة فقط بل هو-اولا- إنهيارنظام الامبريالية الإشتراكية. فهي لو نجحت في تعزيز سيطرتها العالمية، فنجحت بالتالي في نقل ثروات أمم أخرى -إضافة إلى تلك التي إستعمرتها منذ قرون وما بعد الحرب الثانية- لتصبها في مصلحة الأمة الروسية لقبلت نفوس المواطنين الروس النظام ولمجدّته، كماتمجد الأمم الغربية أنظمتها، طالما توفر لها الرفاه والبحبوحة، رغم كل ما في هذه الأنظمة من جرائم وفوضى وفساد.

فعندما أطلق خروتشوف تحديه عام ١٩٦٤ من أن الشيوعية ستتجاوز الرأسمالية قريباً وتحقق مستويات معيشة أرقى تقوم على تلبية الحاجة، فإنه لم يكن يفكر أنه سيحقق ذلك اساساً عبر الآلة الداخلية، رغم أن نتائج ذلك ستظهر على الآله الداخلية. .بل أخذ يفكر بذلك كمشروع ممكن لأن عقدي الخمسينات والستينات شهدا حركات إستقلال وتحرر جعلت الإستعمار يترنح، مما ولد الشعور لدى الإمبريالية الإشتراكية الصاعدة من أن فرصة تاريخية جديدة قد فتحت لتوسع من جديد امبراطوريتها العتيدة، وبأن صراعها مع الغرب ورفعها شعارات نصرة الشعوب سيجعلها البديل لاحتلال مواقع جديدة وقدرات وثروات جديدة تسمح لها بالتفوق على النظام الإستعماري والامبريالي الغربي. وبالفعل بدت المرحلة منذ الحرب الثانية وإلى نهاية السبعينات سنوات إنتصار للاشتراكية. وتسابقت الدول التي سقطت تحت أسر هذا الإستعمار للتسمي بالاشتراكية وبالشيوعية، وظهرت عشرات الجمهوريات بما في ذلك في عالمنا العربي والإسلامي وهي تحمل هذه التسمية.

لكن الامبريالية الإشتراكية جاءت متأخرة، كما يبدو، وأن الشعوب التي دافعت عن حريتها واستقلالها ضد الإستعمار الآخر كانت أحرص على مقاومة هذا الإستعمار، وظهر بقوة شعار لا غربية ولا شرقية وهو الشعار الذي رفعته الحركةالتحررية أولاً، ثم أصبح الشعار الذي عرفت به الثورة الاسلامية. ثم جاءت الضربةالقاصمة على يد المجاهدين الأفغان في كفاحهم البطولي لطرد المستعمر الروسي، وهو ما قبر مشروع الامبريالية الاشتراكية. فصبت شعوبها غضبها على المؤسسات التي قادت هذا المشروع وهي الحزب والدولة والشيوعية. وهي مؤسسات كانت ستتوج بأكاليل النصر لونجحت الامبريالية الاشتراكية بتحقيق سيطرتها العالمية. وأن غضباً مماثلاً سيصب على رأس الأنظمة الليبرالية كلما انحسرت إمكانيات استعباد واستغلال الشعوب الأخرى، وأن الثورات الطلابية، ثم الشعبية، في صيف عام ١٩٦٨ في أوروبا ثم حركات المعارضة في الولايات المتحدة في السبعينات، في أعقاب التراجع النسبي للاستعمار والهزيمة الامريكية في الهند الصينية، هي مؤشر لما يمكن أن يحدث، لو إنهارت الأمبريالية الرأسمالية خصوصاً في عالمنا الإسلامي.

إنطلاقاً مما تقدم، يهمنا ان نكرر رؤيتنا من النظام الدولي-على مستوى بناه القاعدية- بأنه يمثل حركة تراجعية وخطاً نازلاً، وهذا أمر مهم على المجاهدين والمقاومين أن يروه لينظموا حركتهم وطبيعة خطابهم واستعداداتهم.

المستوى الثاني: النظام الدولي في بنيته الفوقية. طالما يشار إلى هذا المستوى عند الكلام عن النظام الدولي. إنه الترتيبات الظرفية التي يصل إليها "الكبار" سلماً أو حرباً لإدارة العالم.

باختصار، نستطيع أن نجرد ثلاث مراحل في القرن الحالي:

١- نظمت الحرب العالميةالاولى بنتائجها المعروفة سلسلة من السياسات والاتفاقات والمؤتمرات منها نقاط ولسن المشهورة ثم إتفاقيات فرساي، وفيما يخص العالم العربي والاسلامي اتفاقات سيفر وسان ريمو واتفاقات سايكس بيكو. فظهرت عصبة الأمم والتي عبرها نظمت أوضاع الدول الأخرى استقلالاً أو إنتداباً أو ولاية أو الحاقاً أو إستعماراً. وبموجب الإتفاقات أعلاه جزأت الدولة العثمانية وجزأت الأمة العربية وأعطي وعد بلفور..

٢- اما بعد الحرب العالمية الثانية فقد نظمت مؤتمرات القاهرة وطهران ويالطا وبوتسدام، نظمت العالم تنظيماً جديداً يقوم على مفهوم الدولتين العظميين وتوازن الرعب النووي، وقيام الأمم المتحدة، وتقسيم ألمانيا، وقيام دولة إسرائيل وسيادة الدولار (عبر إتفاقات بريتون وودز) وقيام موجة لانهاء الأشكال القديمة للاستعمارين البريطاني والفرنسي، ومنح المناطق المستعمرة دولاً مستقلة في الشكل، مقيدة في حركتها الإقتصادية والسياسية والفكرية.

٣- المرحلة الحالية:قادت الانهيارات التي جرت في الكتلة الشرقية لمصلحة التيار الليبرالي واقتصاد السوق ثم تصاعد القوة الاقتصادية لأوروبا، ووحدة ألمانيا ورغبة السوفيات في الدخول كمساهمين في المشروع الدولي عبر الاتفاق بعد أن فشل أسلوب الصراع، قادت هذه التحولات إلى إعطاء نفس جديد للغرب وبالذات للولايات المتحدة، مما ولد نفسية هجومية تجاوزت إلى حد ما نفسية الهزيمة التي منيت بها في الستينات والسبعينات، خصوصاً بعد حرب فيتنام وانتصار الثورة الاسلامية في ايران، فأخذت تتكلم بملء فمها لغة كلها غطرسة وتكبراً وعدواناً..وهو الأمر الذي جسدته بسلسلة من الأعمال الهجومية في غرينادا ولبنان والخليج وبنما والفلبين ونيكاراغوا.. وغيرها، بل هو الامر الذي تريد أن تستثمره إلى أقصى الحدود عبر الحشد الهائل الذي يجري حالياً في الخليج واستحصال القرارات الدولية لتغطية استفرادها بالقرار الدولي.

بناء على كل ما تقدم، وعند إختزال الكثير من المسائل التفصيلية نستطيع ان نجد خطين رئيسيين يمكن ان ينظما رؤيتنا الاستراتيجية لهذه المرحلة:

إن النظام الدولي يعيش خطا تراجعياً على صعيد بنيته القاعدية، لكنه ينظم خطا هجومياً على صعيد بنيته الفوقية.

هذه النتيجةتدفعنا لابداء الملاحظات:-

١- ان النظام الدولي على مستوى بنيته الفوقية لم يأخذ كافة ابعاده، أي أنه بعد إنهيار النظام القديم لم يتشكل كليا كما يتصور البعض، انه في دور التشكل. إن الحالة الهجومية التي أشرنا اليها خصوصاً ما يقوم به وما ينظمه حول أزمة الخليج، هو في رأينا إحدى الوسائل لتعزيز المكاسب الأولى وصولا إلى إعطاء هذا النظام صيغة نهائية وواضحة ومقبولة لكل الأطراف التي اصبحت لها كلمة -كل حسب حصته- في تقرير مصير الادارة الدولية. ولا يخفى على المجاهدين والقادة المسؤولين أن الاختراقات التاريخية التي تقوم بها الأمم المستضعفة طالما تحصل في مثل هذه

الظروف.

٢- يجب أن نتذكر أن الاتحاد السوفياتي الذي كشف عن ضعف، بل عن إنهيار إقتصادي وإداري ما زال هو الدولة الاولى في العالم على صعيد عسكري بالأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل. ونحن نعلم ان مالك القوة العسكرية لن يستكين ولابد ان يبحث عن قوة سياسية واقتصادية سلماً أو حرباً إن تعذر.

٣- كشفت التطورات الجديدة عن صعود لقوة اوروبا واليابان الاقتصادية بشكل خاص. وداخل اوروبا يجب إعطاء أهمية خاصة للتطورات التي جرت في المانيا. فنحن نعلم أن مالك القدرة الاقتصادية لابد أن يبحث عن قوة سياسية عسكرية سلماً إن تمكن أو حرباً إن تعذر.

٤- لم تلعب الصين دوراً دولياً واسعاً لحد الآن. ولكن دورها آخذ بالتزايد، ليس فقط لان ربع البشرية تسكن هناك، بل أيضاً لدورها المتزايد في توجيه الصراعات الإقليمية ولدخولها النادي النووي، ولتقدم دورها في صناعة الاسلحة وتصديرها دولياً. لكن الصين ما زالت مترددة، وما زال الآخرون يخافون من حجمها وطاقاتها.

هذه العوامل على صعيد الاطراف الرئيسية في إدارة الوضع الدولي، إضافة إلى العوامل المزمنة في بنية النظام الدولي تجعلنا نعتقد أن السمة الرئيسية لهذا النظام ستكون مزيداً من الفوضى والتناحر، وإن التصالح والإتفاق الذي يبدو على السطح الآن لا تدعمه عوامل ثابتة للاستمرار، وأن هذا التقدير تعززه ايضاً التطورات الكبيرة التي جرت وتجر في معسكر الأمم المستضعفة والمظلومة، وفي مقدمتها خير أمة اخرجت للناس، ومن هذه التطورات:

١- إنتصار الثورة الاسلامية في إيران وقيام الجمهورية الاسلامية.

٢- استمرار الانبعاث الاسلامي في كل ارجاء العالم وصعود قوى إسلامية إلى مراكز الصدارة والقرار في بلدانها.

٣- صمود الإنتفاضة الفلسطينية وتحولها إلى ثورة ونمط عيش والى مرابطة مجاهدة معاصرة، وهذه بحد ذاتها من أعظم الأحداث التي تعيشها أمتنا.

٤- نجاح الثورة الاسلامية في افغانستان في طرد أعظم وأقوى جيش في العالم.

٥- تطور الانتفاضة والجماعات الاسلامية وتصاعد أعمال الدفاع عن الاسلام.

٦- تعزز النزعات الاستقلالية والتحررية لدى شعوب وأمم العالم.

إن إنتزاع المسلمين والعرب مكاسب تاريخية وتصحيح الوضع الدولي لصالحهم أمر ممكن تماماً، صحيح أن الخصم ما زال مقتدراً وقوياً، ولكن تجربة الأعوام العشرة الماضية تبين أن ما يمنع من انتزاع المكاسب هو ليس قوة الخصم وليس عوامل الضعف المادي في صفوفنا، بل هو تعطل الإرادة التي مصدرها ضعف التوكل على الله سبحانه وتعالى. إذ حالما توفرت الإرادة كما رأينا في فلسطين وإيران ولبنان وأفغانستان والجزائر وتونس والسودان، وفي غيرها، طالما توفرت الإرادة فان الحجر قد صمد أمام الرصاص، وأن الدم قد انتصر على السيف، وأن روح الشهادة قد هزمت إسرائيل وجيوش الأطلسي، وأن صرخات الله أكبر التي تنطلق من قلوب الجماهير المسلمة الهادرة قد قلبت موازين القوى ووضعت الامة من جديد على درب الجهاد والشهادة،طريق العزة والنصر، وما تبع ذلك من توفير وسائل القوة والمنعة والاقتدار.

بل كشفت أزمة الخليج أن تحدي القوى الإستكبارية أمر ممكن حتى لأولئك الذين سبق ووقفوا مع الاستعمار، فها نحن نشاهد رؤساء وملوكاً يشاكسون الإرادة الامريكية و "الدولية" وأن هذا التحدي -بحد ذاته- أمر مهم لرؤية الوهن

الكبير الذي يعيشه النظام الدولي، ويبين ما يمكن أن يحصل لو تسلم القيادة قادة مسلمون مجاهدون ثوريون يعتمدون فعلاً، لا لفظاً، على قوة الاسلام، وعلى قوة المسلمين، لا على المناورة، والشعارات، أو على أوهام من قوة عسكرية أو تكنولوجية سبق أن جربنا مثيلاتها مع الأنظمة العربية في حروب ١٩٦٧ و ١٩٧٣ وغيرهما.

النظام الدولي والمنطقة العربية والاسلامية:

في هذا الاطار الدولي الشامل نقترب أفضل لفهم التطورات الجارية في المنطقة العربية والاسلامية:

اولا: ان المنطقة مهمة للنظام الدولي على الاقل في أربعة أمور:

١- الموقع المتاخم لأوروبا، والمحاذِ للاتحاد السوفياتي، والمرتبط بإفريقيا والممتد في عمق آسيا،بكل ما فيها من ممرات مائية وجوية وبرية ومصالح استراتيجية وسياسية واقتصادية وحضارية.

ب- فلسطين والأرض من حولها، مهبط الديانات ونقطة التقاء الحضارات والتي لم يخطيء التاريخ مرة واحدة في تحديد أهميتها العالمية. اذ يكفي أن نعرف من يمسك بها لنعرف من يمسك العالم.

ج- الثروات الطبيعية، وخصوصاً النفط كسلعة استراتيجية لا غنى للعالم الحديث عنها. فخلال سنوات قليلة سيزداد اعتماد العالم أكثر فأكثر على النفط الذي تضم منطقة الخليج اكثر من ٧٠٪ من احتياطياته ناهيك عن الموجود منه في بقية بلدان العالم الاسلامي.

د- الاسلام كرسالة عالمية ترفض أن تكون مظلومة أو ظاملة، معتدية أومعتدى عليها. فهي بهذا عقبة أولى ورئيسية لأي مشروع يريد استعباد الناس. إذ استطاع الخط العبودي تحريف النصرانية فقيل أن روما رومنة النصرانية ولم تُنصِّر النصرانية روما. وكذلك الامر مع اليهودية، وإننا نجد أن مفاخر الاسلام هو انه استطاع -وفي أحلك الظروف وعندما اخترقت الحداثة والعصرنة المسلمين في عقر دارهم وفي اعراضهم وعزتهم وكرامتهم-أن يُبقى على مقاومته ورفضه للإنخراط في المشروع الرأسمالي أو الاشتراكي. وكم انتقد البعض -بما فيهم علماء يتكلمون باسم الاسلام- هذا الذي سموه جموداً في الاسلام وعدم قدرته على التكيف مع ما سموه بـ "تطورات العصر" دون أن يعلموا أن هذا الرفض هو ما حفظ للأمة البقية التي استطاعت أن تقاوم وأن تمنع الحصار من أن يستكمل عملية التطويق الكامل، ليقضي على الأمة والحضارة الاسلامية، كما قضى على أمم وحضارات أخرى.. هذه البقية المؤمنة ومثالها الامام الخميني وحسن البنا وسيد قطب والمودودي والصدر وغيرهم من قادة وعلماء الأمة، استطاعت استنهاض الأمة وهو أمر أقرب إلى المعجزة منه إلى الانجاز البشري. لذلك فالمنطقة وبسبب الطبيعة التي يجسدها الإسلام، مقصودة لإسلامها، وكلنا يتذكر أقوال قادة الغرب أثناء الحرب العراقية الايرانية وتبرير دعمهم للعراق متعللين بأن النصر الاسلامي سيعني وقوف الجيوش الاسلامية على أبواب أوروبا. وفي نفس الاتجاه نسمع اليوم كلام الغرب والولايات المتحدة والقائل بأن فشل الولايات المتحدة من دحر العراق وتوسع الأمر ليرتبط بالنفط وبفلسطين سيعني تهديد كامل المصالح الاستراتيجية للغرب في المنطقة.

ثانياً: كشفت أزمة الخليج، كما كشفت من قبل ما سمي بمسألة الشرق الاوسط عن طبيعة الدور الذي يمكن أن تلعبه المنطقة في النظام الدولي منظوراً إليه بالعين الغربية وما تقترحه فعلاً من مشاريع على أرض الواقع.

ولتوضيح هذه المسألة نقول: إذا كان تشكل النظام الدولي غير ممكن -بناء على ما تقدم من الأهمية العالمية للمنطقة- بدون ربط المنطقة بالنظام الدولي أو إرتباطها بدورته، فإن مراكز القرار والقوة الغربية ستكون مخيرة بين أسلوبين لا ثالث لهما لاحتواء المنطقة.

أ- الأسلوب التفاوضي أو الإيجابي ويتضمن إعطاء حقوق ولو جزئية للمنطقة، لتساعد الفئات المتحكمة في بلداننا على أن تدير المنطقة لمصلحة الخارج، أي أن تحقق على الأقل ثلاثة أمور هي:

١- أن تضع للمنطقة مشروعاً يشبه المشاريع التي تضعها اليوم لأوروبا الشرقية، بل هي في حالة المنطقة العربية والاسلامية يكفيها أن تقبل بأسعار للنفط تقترب من سعره السوقي الذي يوازي أسعار بقية انواع الطاقة فيباع حينذاك بما لا يقل عن ٥٠ دولارا للبرميل.

٢- أن تقدم حلاً ولو جزئياً لمسألة فلسطين، خصوصاً وأن جزءاً مهماً من القيادات العربية والفلسطينية قد قبل بحلول -بما فيها الاعتراف باسرائيل وإلغاء ميثاق منظمة التحرير- وهي حلول لا يمكن لأي صاحب مصلحة حقيقية في الغرب إلا أن يشجعها ويقبل بها.

٣- أن تعطى لإحدى الدول الاسلامية وجوداً ولو شكلياً في مجلس الامن أو على الاقل في اطارات دولية كقبول تركيا في السوق المشتركة، أو قبول دول المغرب وغيرها من الحادات كأعضاء مراقبين في ما يقابلها من جماعات أوروبية أو غربية، أو غيرها من حلول تسمح للحكام عندنا للقول بأنهم شركاء في الوضع الدولي وليس عملاء له.

ب- لكنه يبدو أن النظام الدولي أصبح من الضعف إلى درجة، أو أن النظام الدولي أصبحت تكاليف استمراريته مرتفعة إلى درجة، أو أن النظام الدولي يخاف الاسلام وصعوده إلى درجة، نقول أنه أصبح في وضع لا يستطيع معه التعامل مع المنطقة إلا بالأسلوب القمعي والإخضاعي. أي أن هناك تراجعاً في وسائل الإخضاع والإحتواء فالمنطقة قد حكمت منذ إنهيار الخلافة وإلى السبعينات عن طريق تشجيع الفئات الحاكمة الداخلية، وتشجيع نمو طبقات عليا ووسطى تساعد على مسك الأغلبية المسحوقة، فقد أعطى النظام الدولي بعد الحربين الاولى والثانية المنطقة دولاً وأعلاماً واستقلالا، أعطاها جامعة للدول العربية. ولوح للمنطقة برغبته في كبح جماح اسرائيل ومنح الفلسطينيين حقاً في وطنهم. ثم مع صعود النفوذ الامريكي أعاد طريقة حساب النفط حسب الطريقة المعروفة بـ ٥٠٪ لكل طرف، وقبل ولو على مضض بزيادة أسعار النفط مما شكل دورة مالية أوجدت دولا متمكنة وفئات مستعدة للسيطرة بالعنف او بالإغراء على بقية أطراف المعادلة الإجتماعية المحلية، والتي عبرها تجد المصالح الأجنبية حماياتها واستمراريتها.

أما الآن فيبدو أن أزمة النظام الدولي وإنهيار رؤيته فيما يخص مشروعه العالمي والخوف من الاسلام والحرص على إبقاء يد إسرائيل هي العليا وعدم السماح لأي دولة إسلامية بالتفوق عليها، أخذت تمنع من إعطاء حتى ذلك القليل الذي يسمح للعملاء بالحفاظ على عمالتهم، دون الكلام عما يؤدى اليه هذا الموقف من تصعيد وتفجر عوامل الغضب والثورة وانفلات قدرات ضبطها الداخلي، وهو ما أخذ يَسِمْ الأوضاع في كل البلاد العربية والاسلامية.

إن النظام الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة يتعامل مع المنطقة بأعلى درجات الاستهتار، إنه يرفض إعطاءها ولو أبسط المتطلبات، بل هو يأخذ بخناقها ليقطع عنها حتى نفس الاستمرار والحياة وهذه أمثلة سريعة.

- يطالبها أن تعطي كل شيء لإسرائيل، دون أن يطلب من اسرائيل أن تعطي أي شيء حقيقي مقابل. فرأينا كامب ديفيد، ثم رأينا مسرحية المفاوضات الفلسطينية الامريكية والاعتراف بإسرائيل. بل وصل الرفض على هذا الصعيد إلى حد قطع الحوار الاميركي الفلسطيني.

- تنظيم هجرة يهودية سوفياتية، وقريباً شرقية جديدة إلى فلسطين، سبقها هجرة الفلاشا، وستصل الاعداد إلى أكثر من مليون مستوطن جديد.

-منع شعوب المنطقة من إختيار أنظمتها والويل لمن يفكر بطرح النظام الاسلامي أو الشريعة الاسلامية، وأمثلة إيران والسودان ولبنان ومصر والجزائر وغيرها، وما تتعرض له من حروب وضغوط شاهدة على ذلك، بل أن أجراس الخطر والإنذار تقرع لأي فوز يحققه المسلمون في أبسط تجمع اونقابة، حتى عندما يتم ذلك، كما هو الامر غالباً، بأسلوب الانتخابات والتصويت، أوكما يقولون بالأسلوب الديمقراطي. ونذكر هنا المقالة الشهيرة التي كتبت في الصحف البريطانية بعد فوز جبهة الانقاذ في الجزائر القائلة بأن "الديمقراطية جميلة، لكن الأصولية قبيحة".

Democracy is beautiful, Fundamentalism is ugly

- مطالبتها التخلي عن أي مصدر للقوة، كما في حالة العراق اليوم. وهي قوة تمتلك اسرائيل أضعاف أضعافها.

- إنه يطالبها ويضغط عليها، لتخفيض أسعار نفطها، وإذا ما أخذنا معدلات التضخم حالياً فإن أسعار النفط تكون قد انخفضت عما كانت عليه قبل أكثر من عقد، وهو كذلك يدفعها عن طريق أنظمة الأسعار وعمليات الاقتراض والديون إلى تدمير زراعتها، وتحويل المنطقة إلى أرض قاحلة فقيرة لا تمتلك حتى قدرة تسديد فوائد ديونها، وهذا الأمر لا ينجوا منه حتى أولئك الذين قبلوا بلعب أدوار خدمت الاستعمار في مرحلة ما، ومثال العراق بعد الحرب مع ايران أوضح من أن يفصل هنا.

- إنه يشن حرباً إعلامية وفكرية وحضارية سافرة وحاقدة وخالية من أي أسلوب أخلاقي على العقيدة الاسلامية، ويتعامل مع الاسلام بعدم احترام وبمقت شديد مشوهًا تعاليمهُ محاصِراً أنصاره، وإن مثال المرتد رشدي وإثارة معارك الحجاب وإحتواء الطوائف الأخرى وتأجيج مشاعرها ضد الاسلام كما في لبنان والهند وسيلان وغيرها تبين كلها الموقف الذي يتخذه النظام الدولي من الاسلام والمسلمين.

- وأخيراً فانه توج كل ذلك في العودة إلى أساليب الأساطيل والإحتلال وإنزال مئات الآلاف من الجنود في أرض الحجاز والجزيرة معيداً الاوضاع في المنطقة إلى مطلع القرن العشرين عندما إضطر لاحتلالها لإعادة تنظيمها وفق خرائط جديدة.

لكل ما تقدم، لا نرى من آثار للنظام الدولي الجديد على المنطقة سوى توقع المزيد من العدوان، نتوقع أن يزداد انخراط المزيد من الشرائح التي كانت لا ترى الاسلام هادياً ومرشداً، أن تزداد انخراطاً في المشروع الاسلامي، وأن تزداد الشرائح التي كانت لا ترى الثورة طريقاً أن تزداد انخراطاً في المشروع الثوري، إن الخصم بعناده وعجرفته وغبائه يساعد المسلمين أن ينجحوا في مشروعهم. فالخصم بسلبيته معلم من طراز أول يضع الناس على العتبات الاولى للإسلام والثورة، كما ان الإسلام بطبيعته وتعاليمه وعلمائه القدوة وشبابه المجاهدين معلم ايجابي من طراز أول يمتلك كل المقومات لاحتواء الناس عبر خطاب مسؤول، رزين، يحرص على كل طاقات الأمة.

فاذا كان الوضع الدولي يمثل خطأ تنازلياً على صعيد بنيته التحتية، واذا كانت حالة الهجوم التي يعيشها هي حالة ظرفية، بل هي معلم بالسلب يدفع الناس للاسلام والثورة فإن شروطاً تاريخية تكون قد إجتمعت تنتظر الإرادات المؤمنة لاستثمارها وصولا إلى وضع الامة على طريق النصر الالهي. والله ولي التوفيق.

تحديات الإنتفاضة في عامها الرابع في ضوء التطورات الأخيرة*

د. خليل الشقاقي**

مع دخول الإنتفاضة عامها الرابع فإننا نشهد إستمراريتها وتأكيد عزمها، ومع أنّ العام الثالث للإنتفاضة قد أوصلها إلى مرحلة أزمة حقيقية، ومع أن الفلسطينيين يرون خسائرهم وضحاياهم تزداد يوماً بعد يوم وأوضاعهم الإقتصادية تنهار أكثر وأكثر، ومع أن آمال بعضهم تتهاوى ويزداد الغضب والإحباط، مع كل هذا فإن إصرار الجماهير الفلسطينية على قبول التحدي وتصعيد الإنتفاضة يتعزز يوماً بعد يوم.

لكن الضغوط السياسية والإقتصادية المتزايدة تواجه الإنتفاضة بعدة تحديات:

١) إن هنالك تهديداً متصاعداً للوحدة الفلسطينية حيث يزداد الإنقسام بين المعسكرين الإسلامي والوطني والإنقسام بين "المعتدلين" و "المتشددين" في المعسكر الفلسطيني ككل.

٢)إن هنالك جدالاً متزايداً حول وسائل وطرق الصراع مع العدو (حيث يصبح تحويل الإنتفاضة إلى ثورة وجهاد مسلح مطلباً أكثر صراحة وأوسع إنتشاراً).

٣) أخيراً، إن هنالك إنقلاباً خطيراً في العلاقة التاريخية التقليدية بين الداخل والخارج (حيث أصبح الداخل أكثر "تشددا" بينما تبنى الخارج مواقف أكثر "إعتدالا").

سأتحدث هذا الصباح عن هذه التحديات التي تواجه الإنتفاضة اليوم، وخاصة في ضوء تطورات أربعة رئيسية، وهي :١) الإحتلال العراقي للكويت والمواجهة العراقية - الأميركية في الخليج. ٢) الزيادة الهائلة في عدد المهاجرين اليهود السوفييت للدولة اليهودية. ٣) التحول نحو اليمين المتطرف في السياسة والرأي العام الإسرائيلي. ٤) تدهور الوضع الإقتصادي بشكل بارز في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الأشهر القليلة الماضية.

سأبدأ أولاً بعرض التطورات الجديدة التي تلقي بظلالها على الإنتفاضة وعلى التحديات التي تواجهها. التطور الرئيسي الأول هو المواجهة في الخليج وإمكانية وقوع حرب أمريكية عراقية في الأسابيع القليلة المقبلة. إن أي حرب في الخليج ستشكل ضربة سياسية وإقتصادية بالغة لمنظمة التحرير الفلسطينية وللموقف الفلسطيني عموما. إنّ مما لا شك فيه

---

* قُدمت هذه المحاضرة يوم الأحد ١٩٩٠/١٢/٣٠.

** من فلسطين من مواليد ١٩٥٣، استاذ العلوم السياسية بجامعة النجاح في نابلس، وزميل لمركز دراسات الاسلام والعالم في الولايات المتحدة الامريكية.

أن موقف المنظمة من الإحتلال العراقي للكويت ومساندتها السياسية للعراق قد أحدث أثراً سلبياً على التعاطف العالمي مع القضية الفلسطينية. فقد رأى الكثيرون (ما صوّرته وسائل الإعلام على أنّه) تناقض بين الموقف الفلسطيني الرافض لإدانة الاحتلال العراقي، وإنكاره بالتالي لحق تقرير المصير الكويتي، والرافض لإدانة الممارسات العراقية في الكويت، وبين إصرار المنظمة على الاستقلال وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. وفي إسرائيل خسر "معسكر السلام " الفلسطيني تأييد "الحمائم" الإسرائيليين الذين رأوا تناقضاً بين التأييد الفلسطيني للتهديدات العراقية ضد إسرائيل وبين رغبة المنظمة المعلنة في العيش بسلام إلى جانب الدولة اليهودية. لكن الموقف الفلسطيني الرسمي، في حقيقة الأمر، يرفض الإحتلال العراقي للكويت ويطالب بالإنسحاب العراقي وإعطاء الشعب الكويتي حق تقرير مصيره . وفي نفس الوقت فإن هذا الموقف يعترض على الوجود الأجنبي في الجزيرة العربية ويعطي العراق تأييداً واسعاً في مواجهته. إنّ رفض المنظمة لإدانة الإحتلال العراقي في الجامعة العربية ينبع من وجود تعاطف فلسطيني شعبي واسع مع العراق في الأردن وفي الضفة الغربية وقطاع غزة يعود للإعجاب الفلسطيني بالقدرة العسكرية العراقية "الرادعة"، وبتهديدات العراق المبالغ فيها ضد إسرائيل، ولوقوف العراق ضد حليفة إسرائيل الأولى، الولايات المتحدة الأمريكية. ولا تريد المنظمة المخاطرة بفقدان مكانتها في الأرض المحتلة، خاصة وأنها تواجه هناك تنافساً حاداً من قبل الحركة الإسلامية من أجل كسب التأييد والتعاطف والولاء. كذلك فإن المنظمة قد أقامت شبكة واسعة من العلاقات العسكرية والسياسية والمالية مع العراق في السنة السابقة للإحتلال بحيث كانت العراق في طريقها لتصبح المركز والقاعدة العسكرية والسياسية الرئيسية لها، ولا ترغب المنظمة في فقدان هذه القاعدة. خسرت المنظمة تأييداً دبلوماسياً وسياسياً من الدول الخليجية ومصر، وقد وفر هذا التأييد في السابق قناة دبلوماسية هامة للمنظمة في المفاوضات مع الولايات المتحدة وإسرائيل. لكن المنظمة، التي كانت قد وقعت خلال عام ١٩٩٠ تحت ضغط شديد من قاعدتها الشعبية من أجل إقناعها بإعادة النظر في سياسة "التنازلات" التي كانت قد إتّبعتها منذ نوفمبر ١٩٨٨، والتي رأت الولايات المتحدة تجمد، تحت ضغط اللوبي المؤيد لإسرائيل في الكونجرس، الحوار الفلسطيني - الأمريكي، ربما رأت أنها بحاجة لإثبات مؤهلاتها الوطنية، وأنّ فرص نجاح العملية السياسية لم تكن عالية على أية حال. في الجانب الإقتصادي خسرت المنظمة مئات الملايين من الدولارات التي كانت دول الخليج تدفعها للمنظمة أو تموّل بها مشاريع ومؤسسات فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. سيستمر، على الأرجح، الإستنزاف المالي والسياسي للمنظمة بعد الحرب الخليجية وستكون المنظمة بالتالي في موقف سياسي ضعيف قد يدفعها إلى تقديم المزيد من التنازلات للإدارة الأمريكية من أجل ضمان إستمرار إعتبارها لاعب أساسي في العملية السياسية الرامية لمعالجة الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. وقد يساعدها في ذلك إزدياد النفوذ السوفيتي في المنطقة نتيجة للتأييد الذي أعطاه الإتحاد السوفيتي للولايات المتحدة أثناء المواجهة الأمريكية - العراقية. ستعزز منظمة التحرير علاقتها بالأردن وقد تطورها إلى تحالف سياسي - إستراتيجي واسع، بهدف تقوية موقفها العربي والدولي، وبهدف تمكين نفسها من مقاومة الضغوط السورية التي قد تؤدي إلى تحديد مجال مناورتها. أمّا في داخل الأرض المحتلة فقد تزيد الحرب من الشعور الفلسطيني بالإحباط وخيبة الأمل و قد يؤدي ذلك إلى تقوية الطرح المنادي بتصعيد الإنتفاضة تصعيداً جهادياً مسلحاً بينما يضعف الطرح المنادي بتحويل الإنتفاضة إلى إنتفاضة "بيضاء" لاعنفية.

لكنّ حرباً تدمر القوة العسكرية العراقية وقاعدتها الصناعية - العسكرية قد تعطي إسرائيل ثقة أكبر بالنفس وتدفعها، على المدى القصير، إلى الإصرار على مواقفها الرافضة للحل السياسي. أمّا إذا شاركت إسرائيل في الحرب فمن الممكن أن تحاول الدولة اليهودية إستغلال فرصة إنشغال العالم بالعراق من أجل إتخاذ خطوات قمعية متطرفة ضد الإنتفاضة وقيادتها، مثل عمليات هدم واسعة وإبعاد لعدة آلاف من القياديين. لكن إسرائيل قد تكون، على المدى المتوسط، مستعدة لفتح حوار مع الفلسطينيين، الذين سيكونون في موقف ضعف وعلى إستعداد لقبول إقتراحات أمريكية - إسرائيلية لإقامة نوع من الحكم الذاتي كمرحلة إنتقالية نحو حل نهائي غير واضح الملامح. إن هذا لا يعني أن إسرائيل ستنجح في سعيها لإقناع الفلسطينيين بالتنازل أو الخضوع. فمن المتوقع أن تؤدي الحرب في الخليج إلى نجاح المعسكر الإسلامي في الضفة والقطاع في كسب قواعد شعبية جديدة وأن يتمكن "المتشددون" في المعسكر الوطني في الداخل من تأكيد نفوذهم مما قد يؤدي إلى تصعيد جهادي مسلح للإنتفاضة. بعبارة أخرى، في الوقت الذي ستؤدي الحرب إلى مزيد من "الإعتدال" في موقف المنظمة، فإنها ستؤدي إلى مزيد من "التشدد" في الموقف الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة في فلسطين.

التطورالرئيسي الثاني هو الزيادة الهائلة في الهجرة اليهودية السوفيتية للدولة اليهودية. بإنتهاء يوم الغد سيصل عدد اليهود الذين هاجروا لإسرائيل هذا العام حوالي ٢٠٠ ألف مهاجر، ومن المتوقع وصول حوالي ٤٠٠ ألف يهودي سوفيتي في العام القادم ١٩٩١ وما بين ٤٠٠ ألف إلى ٦٠٠ ألف في العام الذي يليه. تقوم هذه التوقعات على أساس عدد طلبات الفيزا الموافق عليها في موسكو، وهي تعني بإختصار أن الغالبية العظمى أو حتى جميع اليهود السوفييت والبالغ عددهم حوالي مليون ونصف سيغادرون الإتحاد السوفيتي خلال السنتين القادمتين. لكن الأرقام الحقيقية للهجرة اليهودية السوفيتية لإسرائيل ستعتمد بالطبع على طبيعة الوضع السياسي في الإتحاد السوفيتي وإمكانية توفر وسائل نقل كافية، وإمكانية توفر نقاط إستقبال بديلة عن إسرائيل، وأخيراً نجاح عملية إستيعاب للمهاجرين في الدولة اليهودية. إن الهجرة اليهودية هذه ستؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى المزيد من مصادرة الأراضي والمزيد من المستوطنات والمستوطنين في الضفة والقطاع. لكنها الآن تحدث آثاراً لا تقل خطورة عن ذلك. توفر الهجرة دماً جديداً للدولة اليهودية مزودة إياها بما يزيد عن مائة ألف جندي إضافي، كما تعطي دفعاً نفسياً يقوي عزيمة المحتل وإصراره على الإحتلال ويشجع الدعوات المطالبة بترحيل العرب لإفساح المجال أمام إستيعاب المهاجرين الجدد. ثانياً، إن الغالبية العظمى من المهاجرين السوفييت يؤيدون مواقف يمينية متطرفة فيما يتعلق بالصراع العربي- الإسرائيلي. وتظهر إستطلاعات للرأي في الأشهر الأخيرة أن حوالي ٧٠ - ٨٣٪ من هؤلاء المهاجرين سيصوتون لأحزاب إسرائيلية يمينية متطرفة مما سيشجع المحتل على إتخاذ إجراءات أكثر تشدداً من العملية السياسية وأكثر قمعية وتطرفاً في مواجهة الإنتفاضة. ثالثاً ، إن موجة الهجرة السوفيتية هذه توفر أيدي عاملة تحتاجها الدولة اليهودية لتحل محل الأيدي العاملة العربية وخاصة في وقت تتصاعد فيه أصوات يهودية رسمية وغير رسمية تطالب بمنع الفلسطينين من العمل في داخل الدولة اليهودية.

التطور الرئيسي الثالث خلال الأشهر القليلة الماضية هو التحول المتزايد نحو ما أصطلح على تسميته " باليمين المتطرف" في السياسة والرأي العام الإسرائيلي. فقد إستطاع إئتلاف يميني - ديني متطرف أن يشكل حكومة جديدة في يوليو الماضي هي الأكثر تطرفاً في تاريخ الدولة اليهودية منذ تأسيسها في عام ١٩٤٨. فقد ضمت هذه الحكومة الأحزاب

اليهودية المتطرفة جميعها وبدون إستثناء. كما أن إستطلاعات الرأي تظهر توجهاً متزايداً لدى الشارع اليهودي نحو تأييد هذا التطرف. فبينما أظهر مثلاً إستطلاع للرأي في أغسطس الماضي أن حوالي ٣٨٪ من الناخبين سيصوتون لحزب العمل وأحزاب ما يسُمى باليسار مجتمعة ، أظهر إستطلاع آخر أجري في منتصف هذا الشهر أن حوالي ٣٣٪ فقط سيصوتون لصالح العمل واليسار، بينما بلغت نسبة المصوتين لليمين بين الشباب حوالي ٨٠٪. كذلك، أظهرت هذه الإستطلاعات وجود أغلبية إسرائيلية اليوم تؤيد ترحيل وطرد الفلسطينيين بالقوة من الضفة والقطاع إلى البلاد العربية المجاورة وخاصة الأردن. إن مغزى هذا التطور هو أن فرص وإمكانات الحل السياسي تتضائل يوماً بعد يوم ــ وقد لا يكون هذا شيئاًسلبياً ــ ولكن في الجانب الآخر يشتد القمع والضغط على الجماهير الفلسطينية.

التطور الهام الرابع والأخير هو تدهور الوضع الإقتصادي في الضفة والقطاع خلال الأشهر القليلة الماضية. لقد أدى الإحتلال العراقي للكويت والموقف الفلسطيني منه ومن الوجود الإجنبي في الجزيرة العربية إلى إنقطاع المساعدات المالية الخليجية للضفة والقطاع. كانت الكويت وحدها تدفع سنوياً ما بين ٥٠-٨٠ مليون دولار لمؤسسات فلسطينية مختلفة كالجامعات والمستشفيات ودور الرعاية الإجتماعية. كما إعتمد الفلسطينيون تحت الإحتلال على التحويلات المالية من العمال الفلسطينيين في الخليج وقد إنخفض حجم هذه التحويلات المالية بشكل كبير منذ أغسطس الماضي. كذلك تأثر حجم الأموال التي تدخلها المنظمة للمناطق المحتلة نتيجة لتوقف السعودية والدول الخليجية الأخرى عن دفع مساعدات للمنظمة. يحمل ما يقارب الأربعين ألفاً من العاملين الفلسطينين في الكويت بطاقات هوية من الضفة والقطاع وقد عاد حوالي ٢٥-٣٠ ألفاً من هؤلاء إلى الأراضي المحتلة منذ بدء المواجهة في الخليج . لا توجد أعمال في هذه المناطق المحتلة لهؤلاء العائدين لأنه لا توجد بنية إقتصادية تحتية قادرة على إمتصاص خبراتهم المتقدمة، وقد كانت هذه سياسة إسرائيلية متعمدة هدفت إلى ربط الإقتصاد الفلسطيني بالإقتصاد اليهودي. إن هذا يؤدي الآن إلى إرتفاع كبير في حجم البطالة التي كانت قد وصلت إلى حوالي ٢٥٪ حتى قبل المواجهة في الخليج. إن هذه النسبة هي في إرتفاع مستمر نتيجة لطرد العمال الفلسطينين من أعمالهم في الدولة اليهودية وإستبدالهم بعمال يهود سوفييت، ومن الممكن أن تصل نسبة البطالة إلى أكثر من ٥٠٪ فيما لو تم إقفال باب العمل في إسرائيل أمام العمال العرب. إن تدهور الوضع الإقتصادي والإنخفاض الحاد في المساعدات الخارجية يؤدي الآن أيضاً إلى إنهيار العديد من المؤسسات الإقتصادية والإجتماعية التي تم إنشاؤها قبل وأثناء الإنتفاضة وذلك لأن العديد منها كان ذي طابع حزبي أدى إلى إزدواجية في الخدمات وإستنزاف لموارد وقدرات محدودة أصلاً.

كان هذا عرض لتطورات الأشهر الأخيرة التي أثرت وتؤثر على الإنتفاضة ومستقبلها . سأقوم الآن بإستعراض التحديات الثلاثة التي تواجه الانتفاضة والتي سبق وأشرت اليها في بداية حديثي.

التحدي الأول هو التهديد للوحدة الفلسطينية. إن مما لا شك فيه أن الأنتفاضة قد أثمرت درجة عالية من الوحدة في الصفوف الفلسطينية مقللة من حدة التنافس ومعززة من التضامن الداخلي. شهدت الأشهر الأولى تكون القيادة الوطنيةالموحدة التي تشكلت من ممثلين عن المجموعات الوطنية الأربعة الرئيسية (أي فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين والحزب الشيوعي الفلسطيني)، كما شهدت نفس الفترة محاولات جادة، كان بعضها ناجحاً، من قبل الوطنيين والإسلاميين للتعاون والتنسيق. إن هذه الوحدة قد تعرضت خلال العام الثالث للخطر حيث ظهرت شروخ واضحة. ففي خلال الأشهر الأولى من هذا العام أدى نزاع وتوتر داخل المعسكر الوطني إلى صدع وإنشقاق مهم داخل القيادة الوطنية الموحدة. ففي فبراير ١٩٩٠ أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بيانها الخاص المنفصل الأول منذ بدء الإنتفاضة وقد تبعه بيانات مرقمة لاحقة. إن محتويات هذه البيانات قد عسكت خلافاً عميقاً بين فتح، وهي أكبر وأقوى الفصائل المكونة للقيادة الموحدة، والجبهة الشعبية حول قضايا سياسات معينة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وحول توجه الإنتفاضة العام، وحول العلاقة بين المعسكرين الإسلامي والوطني، وحول دور الكفاح المسلح في الإستراتيجية الفلسطينية عامة وفي الإنتفاضة بشكل خاص. عبرت الجبهة الشعبية عن تحفظات هامة على سياسة المنظمة في إعطاء تنازلات "مجانية" طالما أن إسرائيل لا تقدم تنازلات مقابلة. في هذا الإطار عارضت الجبهة الشعبية الحوار الفلسطيني – الإسرائيلي، الذي كان مقترحاً إنعقاده في القاهرة بمبادرة أمريكية، والذي كانت المنظمة تسعى حثيثاً لإقامته. وقد كان من النتائج المترتبة على هذا الخلاف السياسي تصاعد كبير في العام الثالث للإنتفاضة في عدد حوادث الإقتتال الداخلي بين القوى الضاربة التابعة للطرفين مؤدية في عدة حالات إلى سقوط قتلى وجرحى.

كذلك نادت الجبهة الشعبية بتصعيد فوري للإنتفاضة وللإكثار من العمليات الهجومية المسلحة ضد المستوطنين والجنود الإسرائيلين. أوضحت الشعبية أنها قد إضطرت إلى إصدار بياناتها المنفصلة لأن القيادة الموحدة قد رفضت تضمين بياناتها نداءات تحث على المقاومة المسلحة. إتجهت الشعبية خلال النصف الأول من ١٩٩٠ إلى الجماعات الإسلامية، وسعت لتشكل وإياها مصدر ثقل منافس لفتح، وذلك تقديراً منها للتزايد الواضح في شعبية الإسلاميين وإدراكاً للتطابق في وجهات النظر السياسية بينهما.

كذلك أدت التنازلات السياسية التي قدمتها المنظمة للدولة اليهودية وتوقف العملية السياسية المصحوب بتزايد المعاناة الفلسطينية إلى تعميق الفروقات بين المعسكرين الإسلامي والوطني. إن التضامن والتعاون، الذين سادا بوضوح في الفترة الأولى من الإنتفاضة، قد تضاءلا بشكل ملحوظ في السنة الثالثة، وخاصة بعد قرارات المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٨٨. وعندما نجح المعسكر الإسلامي في توسيع قاعدته الشعبية تدريجياً أخذ المعسكر الوطني ينظر إليه كمصدرتهديد محتمل. إذ أنه بالرغم من أن المجموعات الإسلامية غير ممثلة في مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ورغم فقدانها للبنية التحتية (التنظيمية والمالية والسياسية) الضرورية من أجل تحدي الهيمنة الوطنية، فإن هذه المجموعات الإسلامية قد نجحت في كسب تأييد ما يزيد عن ثلث السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة. عندما رأت تزايد نفوذها وقوتها أخذت المجموعات الإسلامية في التأكيد على نقاط إختلاف محددة مع منظمة التحرير الفلسطينية. رفضت هذه المجموعات "مبادرة السلام" الفلسطينية التي أعلنتها المنظمة، مثلما رفضت خطة الإنتخابات الإسرائيلية وخطة بيكر ومشروع الحوار الفلسطيني – الإسرائيلي المقترح. والأهم من ذلك أقامت العديد من القوات الضاربة الإسلامية المستقلة التي شارك بعضها في الصدامات بين المجموعات الوطنية، كما شارك بعضها في صدامات عديدة مع حركة فتح في شهر سبتمبر ١٩٩٠، حيث إتهمت فتح والقيادة الموحدة حركة المقاومة الإسلامية بالإعتداء على مؤيدي فتح بينما إتهمت حركةالمقاومة الإسلامية فتح بتحويل الإنتفاضة ضد الشعب الفلسطيني وبالفشل في العمل ضد إسرائيل والتعدي على الدين وإستغلال السكان

وسوء معاملة سجناء الحركة وسوء إستخدام الأموال.

ومما عزز مخاوف الحركة الوطنية ظهور تحليلات فلسطينية وإسرائيلية إتفقت على أنّه في غياب تقدم سياسي فإن نفوذ المنظمة سيستمر في التراجع بينما سيزداد نفوذ الجماعات الإسلامية. فقد صرح مثلاً المعلق الإسرائيلي يهودا ليطاني في نهاية ١٩٨٩ بأنه ما لم تسارع إسرائيل للتفاوض مع المنظمة فإنها ستجد نفسها سريعاً في مواجهة الجماعات الإسلامية التي ستكون المفاوضات معها مستحيلة. بينما صرح في نفس الوقت الكاتب الصحفي الفلسطيني زياد أبو زيّاد، محرر الجريدة الأسبوعية الفلسطينية "جيشر" (أو الجسر)، الناطقة بالعبرية، بأن إستمرار الوضع الراهن سيعني أن المنظمة ستفقد مواقع جديدة لصالح المعسكر الإسلامي وأن الوقت يعمل لصالح هذا المعسكر. إن المنظمة تدرك مشكلتها هذه، فقد صرح ممثلين عنها بأنه ما لم تتفاوض الولايات المتحدة وإسرائيل مع المنظمة الآن، فإنهما ستضطران للتفاوض مع المعسكر الإسلامي في مرحلة لاحقة.

إن التحول نحو اليمين المتطرف في الحياة السياسية الإسرائيلية وما يعنيه من إضمحلال فرص التسوية، بالإضافة إلى تدني الأوضاع الإقتصادية في الضفة والقطاع تساهمان في زيادة مشاعر الإحباط وتدفعان نحو مزيد من الإنقسام في الصف الفلسطيني. لكن الإتفاق في الرأي حول المواجهة في الخليج والوجود الأجنبي في الجزيرة العربية بالإضافة إلى موجة الهجرة اليهودية السوفيتية تساهمان، في المقابل ، في توحيد الجهود لمواجهة الأخطار المشتركة. وقد تبلور هذا فعلاً في أواخر سبتمبر الماضي في إتفاق تاريخي بالغ الأهمية بين حركة فتح وحركة حماس تعهد فيه الطرفان بالإلتزام بتحريم الإقتتال الداخلي أو إستعمال السلاح ضد بعضهما او هدر الدماء الفلسطينية بأيدي فلسطينية. كذلك أظهر الطرفان درجة وعي عالية بإتفاقهم على إحترام حق كل طرف بإتخاذ مواقف سياسية مختلفة عن الطرف الآخر بدون أن يشكل ذلك سبباً للإنقسام أو الصراع. كما إتفقا على إقامة لجنة مشتركة للتنسيق والتعاون وحل الخلافات قبل إمتدادها وتصاعدها.

بالرغم من إقتصار هذا الإتفاق على الوضع في الضفة فقط وعدم شموله لقطاع غزة فإن المواجهات بين الإسلاميين والوطنيين قد خفت حدتها بشكل كبير منذ توقيع الإتفاق. إن إستمرار تمسك الطرفين بالإتفاق سيكون له مردود إيجابي بالغ الأهمية على العمل الفلسطيني الموحد في مواجهة المحتل الإسرائيلي. إن هذا التحدي هو أول وأخطر تحدي يواجه الحركتين الإسلامية والوطنية وهما تدخلان العام الرابع للإنتفاضة. إن المطلوب من الحركتين وضع تصور واقعي وشامل للعلاقة بينهما وإقامة المزيد من المؤسسات المشتركة وقنوات الإتصال لضمان عدم تكرار الأحداث المؤسفة التي وقعت في السابق.

أما التحدي الثاني الذي يواجه الإنتفاضة فهو الحوار المتصاعد في الحدة حول تصعيدها. إن السؤال الأكثر أهمية الذي ساد العام الثالث للإنتفاضة لم يكن حول ضرورة التصعيد ـ حيث إتفق الجميع على ذلك ـ وإنما حول كيفيته. لقد أدركت القيادات الفلسطينية في الداخل أنّ الإنتفاضة لم تستطع بعدُ زيادة تكاليف إستمرار الإحتلال إلى الدرجة التي لا يستطيع الإسرائيليون تحملها، وهي لهذا تسعى من وراء التصعيد إلى تحقيق ذلك. هنالك وجهتا نظر فلسطينيتان تهيمنان على الجدل الفلسطيني الداخلي في الأراضي المحتلة: أحدهما ينادي بتحول نحو نضال لا عنفي أو ما يسمى

بإنتفاضة "بيضاء"، بينما يدعو الآخر إلى نضال جهادي وإنتفاضة مسلحة.

إن الإختلاف حول وسائل وطرق النضال الفلسطيني ترجع جزئياً إلى مواقف وإدراكات وقراءات فلسطينية مختلفة للنظام والسياسة والثقافة الإسرائيلية، ولحدود المعاناة التي يستطيع المجتمع الإسرائيلي تحملها، وللتكاليف والتغيرات الإسرائيلية التي سببتها الإنتفاضة حتى الآن. يرى المنادون بالعنف إسرائيل منقسمة إلى معسكرين: أحدهما "متطرف" وأيديولوجي (كالليكود)، والآخر "معتدل" وعملي أو "براجماتي" (كالعمل). كذلك ينظر هؤلاء إلى المجتمع الإسرائيلي على أنه مجتمع "ديمقراطي" (أي أنه مستعد للتقيد بحكم القانون)، وأنه مدفوع بدوافع مصلحية (وأنه بالتالي حساس للتكاليف الأخلاقية والسياسية والإقتصادية) وأن لديه إحساس أو إدراك مضخم (وغير واقعي) بالتهديد الذي يشكله الفلسطينيون عليه (أي أن هنالك خوف غير عقلاني من الفلسطينين) لدى هذا المجتمع الإسرائيلي. يرى المنادون باللاعنف في الصفوف الفلسطينية بأن تكاليف الإنتفاضة على السياسة والإقتصاد والمجتمع الإسرائيلي لم تكن قليلة.

أما المنادون بالجهاد والتصعيد المسلح ، في الجانب الآخر، فإنهم لا يرون إختلافات ذات قيمة بين خطى العمل والليكود. يُنظر، حسب هذا الرأي، إلى هذين الحزبين على أنهما ملتزمين بأيديولوجية إسرائيل الكبرى ، وبالتالي فإن الدافع الأيديولوجي يجعل إسرائيل مستعدة لدفع تكاليف أخلاقية وسياسية وإقتصادية عالية من أجل الحفاظ على سيطرتها على الأراضي الفلسطينية المحتلة. إن هذا يُترجم بالتالي إلى إستعداد إسرائيلي للإستمرار في إضطهاد وخرق حقوق الفلسطينين لفترة طويلة غير محدودة. كما أن هذا الدافع الأيديولوجي يجعل من أي إلتزام إسرائيلي بمبادىء أخلاقية أو ديمقراطية إلتزاماً غير ذي معنى أو قيمة.

وبينما يدرك المنادون بإستعمال السلاح فعالية التكلفة الإقتصادية فإنهم يردون بأن أي تضعضع إقتصادي إسرائيلي ممكن سيكون على الأرجح بطيئاً وأن المساعدة الإقتصادية الأمريكية واليهودية لإسرائيل ستعوضها بسهولة عن خسائرها. إن المطلوب، في وجهة النظر هذه، هو إزدياد كبير في عدد القتلى الإسرائيلين وفي حجم معاناة وتألم المجتمع الإسرائيلي لأن ذلك وحده القادر على التقليل من الدافع الأيديولوجي، وبالتالي التأثير على قادة إسرائيل من أجل إعادة النظر في مواقفهم وسياساتهم.

إن إستراتيجية اللاعنف، التي سادت معظم مراحل الإنتفاضة، تتمتع بتأييد الأجنحة الأكثر "إعتدالاً" في قيادات الداخل. تقدم هذه الإستراتيجية نفسها على أنها أكثر وسائل النضال فعالية نظراً لحالة عدم توازن القوى بين إسرائيل والفلسطينين. يُرجع المنادون بهذه الإستراتيجية النجاحات التي حققتها الإنتفاضة إلى طابعها اللاعنفي، ويدّعون بأن إسرائيل تفضل التعامل مع العنف والسلاح لأن من الأسهل عليها تحطيم ثورة مسلحة وأنّه على كل حال فإن العمل العسكري المسلح هو ببساطة غير ممكن لأنه لا يوجد سوى القليل من السلاح وأن فرص التدريب عليه شبه معدومة، ولأن هنالك إمكانية واردة بأن يتم القضاء على العمل المسلح بشكل وحشي وفوري. لكن اللاعنف، في الجانب الآخر، يسعى إلى تجريد العدو من مصادر قوته وتفوقه. في هذا المجال، يقول فيصل الحسيني، وهو الشخصية الرئيسية في المعسكر الوطني في الداخل، أنّه "بتبنينا للاعنف فإننا قد إستطعنا تحييد سلاح العدوالنووي وطائراته الفانتوم ومدفعيته الثقيلة

ورشاشاته وبنادقه الأوتوماتيكية. ولقد أجبرناه على مواجهتنا ببنادق عادية وبقنابل الغاز والعصي والحجارة أحياناً[٩].

ترى إستراتيجية اللاعنف أن للإنتفاضة ثلاثة أهداف رئيسية:-

١) أن تصعد من عملية فك الإرتباط مع المحتل الإسرائيلي (وذلك من خلال تكثيف وتشديد حملة العصيان المدني).

٢) إن تعزز وتوسع من عملية بناء مؤسسات الدولة الفلسطينية (وذلك من خلال إقامة المزيد من المؤسسات الوطنية وفي حالة مثلى عن طريق إقامة حكومة فلسطينية مؤقته ذات وزارات في داخل الأراضي المحتلة).

٣) أن تقلل من شعور الإسرائيلين بالتهديد من قبل الفلسطينيين وأن تكسب بالتالي تأييد الرأي العام الإسرائيلي (وذلك من خلال تكثيف الحوار الفلسطيني الإسرائيلي ومن خلال التحول نحو مقاومة فلسطينية سلمية بشكل كامل).

إن المناداة بتصعيد حملة العصيان المدني قائمة على الإعتقاد بأن الإنتفاضة قد تمكنت فعلاً من كسر التبعية الفلسطينية للبنية التحتية الإقتصادية والإجتماعية والإدارية الإسرائيلية. إنّ هذه الإستراتيجية تهدف إلى جعل الإسرائيليين غير قادرين على حكم الفلسطينين أو التحكم بهم، وعلى زيادة التكاليف السياسية والإقتصادية والأخلاقية والإجتماعية لإستمرار الإحتلال. تقوم حملة العصيان المدني على عناصر عدة أهمها:-

١) المقاطعة الكاملة لما يُسمى "بالإدارة المدنية" الإسرائيلية وعدم التعاون مع السلطات العسكرية.

٢) التوقف عن دفع الضرائب والغرامات والرسوم التي تفرضها سلطات الإحتلال.

٣) الإعتماد المتزايد على الموارد والمنتجات الفلسطينية المتوفرة المصحوب بتشديد المقاطعة الإقتصادية للمنتجات الإسرائيلية.

٤) إعادة إدخال المظاهرات الجماهيرية الضخمة السلمية إلى وسائل الإنتفاضة.

إن المناداة بتصعيد حملة العصيان المدني قائمة على الإعتقاد بأن الإنتفاضة قد تمكنت فعلاً من كسر التبعية الفلسطينية للبنية التحتية الإقتصادية والإجتماعية والإدارية الإسرائيلية. من أكثر الشخصيات الفلسطينية مناداة بالعصيان المدني مبارك عوض، رئيس المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف في مدينة القدس، الذي أبعدته السلطات الإسرائيلية عن الأراضي الفلسطينية المحتلة. بإختصار، إنّ هذه الإستراتيجية تهدف إلى جعل الإسرائيليين غير قادرين على حكم الفلسطينين أو التحكم بهم، وعلى زيادة التكاليف السياسية والإقتصادية والأخلاقية والإجتماعية لإستمرار الإحتلال.

لقد أعطت محاولات القيام بعصيان مدني خلال سنوات الإنتفاضة الثلاثة نتائج متفاوتة. مثلاً، إن الجهود التي بُذلت من أجل عزل الإدارة المدنية الإسرائيلية عزلاً كاملاً ومن أجل الإمتناع عن الضرائب لم تنجح. لقد نجحت السياسات الإسرائيلية القمعية المصحوبة بخطوات إدارية مضاد ة في القضاء على العديد من خطوات العصيان المدني التي نادت بها

القيادة الوطنية الموحدة. فمثلاً، إستطاعت السلطات المحتلة عن طريق فرض أذن ورخص ـ تصدرها "الإدارة المدنية" بعد إبراز مستندات تظهر أن الضرائب قد دفعت ـ لكل نشاط تجاري أو غير تجاري، أن تحقق غايتين معاً: المحافظة على إرتباط حيوي مع السكان، وفي نفس الوقت إفشال حملة مقاطعة الضرائب. وفي قطاع غزة، أجبر الإسرائيليون السكان على إستبدال بطاقات الهوية ورخص السيارات، وأجبرت كل سيارة تعبر ما يُسمى "بالخط الأخضر" على حمل ملصق مميز، وفي صيف ١٩٨٩ أخذت سلطات الإحتلال تُصدر بطاقات هوية ممغنطة لمن يرغب في عبور "الخط الأخضر" للعمل أو الزيارة.طالبت قيادة الإنتفاضة المحلية في القطاع بمقاطعة الجهود الإسرائيلية في هذا المجال وقامت قوات فلسطينية ضاربة بمصادرة العديد من هذه البطاقات الممغنطة، ولكن بعد عدة أسابيع قررت هذه القيادة إنهاء المقاطعة والمصادرة. وبالتالي فإنه مع بداية العام الثالث للإنتفاضة كان واضحاً أن الوضع الشعبي في الضفة والقطاع لم يكن مستعداً بعدُ لتحمل تبعات حملة عصيان مدني شاملة.

مع ذلك فقد كانت هنالك نجاحات عدة. فقد إستقال المئات من موظفي الإدارة المدنية الفلسطينيين وخاصة جامعي الضرائب ورجال الشرطة وذلك إستجابة لنداءات قيادات الإنتفاضة. وخرجت مدينة بيت ساحور الفلسطينية منتصرة رافعة الرأس بعد حملة عصيان مدني طويلة رفضت فيها دفع الضرائب، رغم الخطوات القمعية الإسرائيلية والتي تضمنت مصادرة للبضائع والآلات في المدينة. والأهم من ذلك، أن رد الفعل الإسرائيلي لحملات العصيان المدني الفلسطينية وما سُمي "بالقبضة الحديدية" قد كلفت الدولة اليهودية داخلياً وخارجياً. فعلى الصعيد الخارجي عانت إسرائيل في مراحل الإنتفاضة الأولى من إنعزال دولي كما فقدت بعض تأييد الرأي العام العالمي لها. وداخلياً، أدت الإنتفاضة إلى زيادة حدة الإستقطاب حيث عمقت الإنقسام السياسي داخل إسرائيل.

أما على الصعيد الإقتصادي فقد أدت المقاطعة الفلسطينية للمنتجات الإسرائيلية إلى إنخفاض في المبيعات الإسرائيلية للضفة الغربية وقطاع غزة البالغة حوالي بليون دولار سنوياً وصل ما بين ٣٠ إلى ٥٠٪ في السنتين الأوليتين من الإنتفاضة. كذلك تأثرت بشكل كبير فروع السياحة والبناء والإستثمارات. نتيجة لذلك، ظهرت علامات تباطيء إقتصادي واضحة حيث إنخفض معدل النمو الإقتصادي من ٢.٥٪ عام ١٩٨٧ إلى ١.٦٪ عام ١٩٨٨ إلى ٠.٦٪ عام ١٩٨٩. كما أن معدل البطالة إرتفع من ١.٦٪ عام ١٩٨٧ إلى ٩.٥٪ عام ١٩٨٩. وقد قدر وزير إسرائيلي سابق للتخطيط الإقتصادي خسائر إسرائيل بحوالي ثلاثة أرباع بليون دولار سنوياً، هذا عوضاً عن النفقات الإضافية التي أنفقها الجيش الإسرائيلي لمحاربة الإنتفاضة والتي بلغت حوالي ربع بليون دولار سنوياً وهذه أموال كانت مخصصة أساساً للتسليح والتدريب.

أما العنصر الثاني لإستراتيجية اللاعنف فهو تعزيز وتوسيع عملية بناء مؤسسات الدولة الفلسطينية في داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة. تتضمن هذه العملية بناء مؤسسات بديلة وموازية لمؤسسات الإحتلال وقيام حكومة فلسطينية مؤقتة لتحل محل إدارة الإحتلال. يُعتبر د. سري نسيبة، الأستاذ في جامعة بير زيت، من أهم الشخصيات الفلسطينية التي تنادي بقيام مؤسسات الدولة. وقد قدمت شخصيات فلسطينية في ربيع ١٩٩٠ إقتراحاً محدداً بهذا الخصوص لمنظمة التحرير الفلسطينية يتضمن إعلاناً رسمياً بقيام حكومة فلسطينية مؤقتة. إن الغرض من ذلك هو وضع أسس تساند وتدعم بنية السلطة الوطنية التي تمر الآن في طور الإنشاء والتي تسعى لتحل محل سلطة الإحتلال. وربما كان الغرض

الأكثر أهمية من وراء قيام سلطة مركزية هو منع دخول الإنتفاضة في مرحلة من الفوضى والإضطراب وغياب القيادة المركزية. فقد شهدت سنتي ١٩٨٩و ١٩٩٠ قيام الأطراف المختلفة المتنافسة بتشكيل مؤسساتها المستقلة وقواتها الضاربة وقوات البوليس والجيش واللجان الشعبية والقضائية والإجتماعية. وبرغم نداءات المنظمة والقيادة الموحدة، منذ صيف ١٩٨٩، لوضع حد لعمليات إعدام العملاء والمشتبه بتعاملهم، فإن هذه الإعدامات قد إستمرت وتصاعدت حدتها بشكل دراماتيكي طيلة السنة الثالثة للإنتفاضة. بالإضافة إلى التحدث بإسم الفلسطينين بصوت واحد فإن الحكومة المؤقتة ستسعى للعمل على فرض النظام والمركزية في الأراضي المحتلة. أخيراً إن قيام حكومة رسمية ومعلنة سيهدف إلى خلق حقائق على الأرض مما يقوى الموقف الفلسطيني في أي مفاوضات حول مستقبل الضفة والقطاع. إن مما لا شك فيه أن عملية بناء المؤسسات قد كانت خلال الأعوام الثلاثة الماضية هي البعد الأكثر نجاحاً وأهمية للإنتفاضة ويسعى المنادون باللاعنف إلى المحافظة على هذا النجاح وتعزيزه.

أما العنصر الثالث في إستراتيجية اللاعنف فهو محاولة كسب الرأي العام الإسرائيلي. يدرك العديد من الفلسطينين أن الإنتفاضة لم تؤد إلى تحول إيجابي أساسي في الرأي العام الإسرائيلي. فقد أظهرت دراسات وإستطلاعات رأي عدة أن غالبية الإسرائيلين تؤيد إتخاذ إجراءات متشددة تهدف إلى تقييد حرية الصحافة الإسرائيلية والفلسطينية مثل منع تقارير أو صور عن الإنتفاضة لأنها قد تسيء إلى صورة إسرائيل في الخارج. كذلك تؤيد هذه الأغلبية إتخاذ اجراءات قمعية ضد الفلسطينيين بما في ذلك إستعمال طرق للتحقيق مع المعتقلين الفلسطينيين لا يجوز إستعمالها ضد اليهود، وتدمير بيوت الفلسطينيين الذين يُشتبه بقيامهم بأعمال ضد "أمن الدولة" اليهودية قبل أن تثبت المحاكم صحة التهم الموجهة لهم. كما أظهر إستطلاعان للرأي في نهاية ١٩٨٩ أن أغلبية الإسرائيليين تؤيد "نقل " أي تسفير الفلسطينين إلى خارج الأراضي المحتلة إذا لم تتوقف الإنتفاضة.

يرى المنادون باللاعنف أنه بالرغم من هذه العقبات فإنّ نجاح الإنتفاضة سيعتمد بدرجة كبيرة على تغير الموقف الإسرائيلي. يُعتبر فيصل الحسيني الشخصية الفلسطينية الرئيسية التي تقود الجهد الفلسطيني في هذا الإتجاه. أوضح الحسيني في نهاية العام الثاني من الإنتفاضة أنّ العام الثالث سيكون مكرساً للتركيز على إسرائيل وعلى السعي لكسب ما أسماه "بمعركة الرأي العام الإسرائيلي". يرى الحسيني وغيره من أصحاب هذا الرأي أن عليهم القيام بحملة تثقيف للإسرائيليين تهدف لشرح التغيرات في التفكير الفلسطيني، وتظهر جدية الإلتزام الفلسطيني بحل سياسي يقوم على أساس تسوية تاريخية، وتشير إلى التنازلات الفلسطينية الحقيقية في هذا المجال. يرى هؤلاء أن إنتفاضة سلمية، أو ما يسمى أحياناً "إنتفاضة بيضاء" مصحوبة بحملة تثقيفية مركزة وجهود مشتركة على يد مجموعات فلسطينية وإسرائيلية يمكنها أن تدفع الحكومة الإسرائيلية للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية من أجل وضع حد للصراع.

لكن جوهر ما يُسمى بمعركة الرأي العام الإسرائيلي يكمن في تركيز الطرف الفلسطيني هذا على التأثير على الشعور الإسرائيلي بالتهديد. يسعى المنادون باللاعنف إلى التخفيف من الخوف الإسرائيلي عن طريق تقديم الفلسطينين في صورة غير مهددة. ومن أجل تحقيق ذلك يحتاج هؤلاء إلى تحويل الإنتفاضة إلى مقاومة سلمية أو بيضاء تماما وذلك لإعتقادهم بأن أحداث العنف حتى لو كانت بسيطة، كإلقاء الحجارة مثلاً، يمكنها أن تُفشل أية محاولة للتأثير على الشعور الإسرائيلي بالتهديد. ينظر هؤلاء إلى أحداث العنف على أنها تؤدي إلى نتائج عكسية لأنها تزيد من معاناة وخسائر

الفلسطينيين وتترك تأثيراً سلبياً على الرأي العام الإسرائيلي، أو أنها تؤدي إلى ردود فعل إسرائيلية غير عقلانية وغير مناسبة مع حجم الفعل الفلسطيني وأن هذه الردود تحجب الرسالة التي يريد الفلسطينيون إسماعها للإسرائيليين، وتساهم في ظهور تأييد بين الإسرائيليين لإجراءات قمعية متطرفة، وتدفع بجنود الإحتلال نحو المزيد من القتل والإرهاب. يرى الحسيني أن على الفلسطينين إذاً "إقناع الإسرائيلين بأنهم لا يسعون للقضاء عليهم أو إلقائهم في البحر وأنه يمكنهم العيش مع العالم العربي .. وأن الحل الوحيد هو أن يوضح الفلسطينيون للإسرائيلين أن الإنتفاضة لن تستخدم السلاح ضدهم".

بإختصار إن المنادين الفلسطينين باللاعنف يأملون أن يؤثروا على التوازن بين ما يدفع إسرائيل للاستمرار في الإحتلال وبين تكاليف إستمرار ذلك الإحتلال. فهم يسعون إلى جعل إستمرار الإحتلال وسياسة القبضة الحديدية مكلفة لإسرائيل على ثلاثة أصعدة : سياسياً (بالعزل الخارجي والإنقسام الداخلي) وإقتصادياً (بمقاطعة المنتجات الإسرائيلية وعدم دفع الضرائب وإجبار الجيش على تمديد فترة الخدمة العسكرية، وبالطبع بمعدلات نمو إقتصادي منخفضة) وأخلاقياً (بممارسة العدو للقمع والعقاب الجماعي وإنكار الحقوق السياسية وخرق حقوق الإنسان الفلسطيني). في نفس الوقت، تسعى إستراتيجية اللاعنف إلى التقليل من دوافع إسرائيل للإحتفاظ بسيطرتها على الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك بتقديم تنازلات سياسية وبالتخفيف من الشعور الإسرائيلي بالتهديد. لكن العديد من الفلسطينين المؤيدين لهذه الإستراتيجية يدركون أن عملية التأثير على حسابات الدوافع والتكاليف الإسرائيلية هي عملية طويلة الأمد وغير مضمونة. وهم يدركون أنه في مجتمع ذي دوافع أيديولوجية عالية فإن التخفيف من مشاعر التهديد وتقديم التنازلات قد لايؤثران كثيراً على حسابات ذلك المجتمع، ومن هنا نفهم إهتمام الطرف الفلسطيني هذا، وربما تأمله، في فوز حزب العمل واليسار في الإنتخابات الإسرائيلية. ذلك أن هؤلاء الفلسطينيين ينظرون لحزب العمل على أنه أكثربراجماتية وأقل أيديولوجية، أما الليكود فملتزم بأيديولوجية إسرائيل الكبرى. من هنا فإن العمل واليسار بنظرهم أكثر عرضة من الليكود للتأثر بمؤثرات مصلحية. لقد حقق المنادون بإنتفاضة سلمية نجاحاً في أوائل أغسطس الماضي عندما تمكن الطرف الفلسطيني في الداخل من إقناع مجموعة من أعضاء الكنيست " الحمائمين" بالتوصل إلى مسودة إتفاق يعطي الفلسطينين حق تقرير المصير مقابل إعتراف متبادل ومفاوضات سلام بين ممثلي الطرفين. لكن الإحتلال العراقي للكويت والموقف الفلسطيني المؤيد للعراق أدى إلى توقف الحوار وتجميد الإتفاق. كما أدت مجزرة القدس إلى قطع الحوار نهائياً وإن كانت هنالك محاولات مستمرة لتجديده.

أما الرأي الفلسطيني البديل لتصعيد الإنتفاضة فينادي بتحول نحوالجهاد والكفاح المسلح. برغم أن المناداة بالكفاح المسلح كإستراتيجية للإنتفاضة لم تمثل سوى رأي أقلية في الداخل الفلسطيني في النصف الأول من السنة الثالثة، فإنها قد كسبت الكثير من التأييد في النصف الثاني منها وخاصة بعد قيام حكومة يمينية متطرفة وبعد مجزرة الأقصى. يؤيد هذا الطرح الإدخال التدريجي للسلاح ضمن ترسانة أسلحة الإنتفاضة؛ ليس كبديل عن وسائل المقاومة السلمية وإنما كسلاح إضافي لها.

تعتبر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركة الجهاد الإسلامي من أكثر المنادين بالكفاح المسلح يؤيدهم في ذلك حركة حماس و"متشددي" فتح في الأراضي العربية المحتلة. أما على مستوى الشارع الفلسطيني فإن تأييد الكفاح المسلح في تصاعد مستمر ويعكس هذا التصاعد الشعور الشعبي بعقم العمل السياسي والشك بفعالية اللاعنف.

إن مظاهر الإنتفاضة العنفية، حسب هذا الرأي، قد ساهمت بشكل كبير في النجاحات التي حققتها الإنتفاضة حتى اليوم. فقد ساهمت مناظر راميي الحجارة، أطفالاً وشباباً، نساءاً ورجالاً، ممن واجهو بشجاعة فائقة جنوداً إسرائيليين مدجبين بالسلاح في رفع معنويات الشعب بأكمله وفي رسم قدوة يُحتذى بها لكل أطفال وشباب فلسطين. و في الجانب الإسرائيلي تركت المواجهات اليومية مع الأطفال الفلسطينين أثراً سلبياً بليغاً على معنويات جنود العدو. كذلك أدت عمليات رشق الحجارة والقنابل الحارقة على طرق الضفة وغزة الرئيسية إلى إعادة رسم ما يُسمى "بالخط الأخضر" في عقول وإدراك معظم الإسرائيلين بعد محاولات سنوات عدة لطمس معالم ذلك الخط من قبل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة. أما عمليات إعدام العملاء المشتبه بتعاملهم مع سلطات الإحتلال فقد قللت من قدرة أجهزة الإستخبارات الإسرائيلية في جمع المعلومات عن المقاومة وقيادتها مما ساعد بالتالي في إستمرار الإنتفاضة. أما بالنسبة للعالم الخارجي فإن مواجهات رجم الحجارة وما نتج عنها من ضحايا قد جذبت إنتباه الصحافة العالمية وساعدت في رسم صورة داود الفلسطيني مقابل جالوت الإسرائيلي.

يضيف المنادون بالتصعيد المسلح أنّ الفلسطينيين، على كل حال، يعانون من القمع والوحشية الإسرائيلية سواء أكان نضالهم مسلحا أو غير مسلح وأن المشكلة، في نظر إسرائيل، ليست في وسائل النضال وإنما في أهدافه. إنّ الوسيلة الوحيدة للتأثير على الدافع الأيديولوجي ونظام القيم الإسرائيلي ــ الذي يضع هدف إستمرار السيطرة الإسرائيلية على الأراضي العربية المحتلة فوق الأهداف الاخرى كالديمقراطية والأخلاق الإنسانية والنمو الإقتصادي وتأييد الرأي العام ــ هي في جعل الإسرائيلين يتألمون كما يتألم الفلسطينيون، أي في إسالة دمائهم. من هنا ،فإن التأييد للجهاد والتصعيد المسلح يقوم على إعتقاد يرى بأن إعادة لما حصل للجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان بعد حرب لبنان في ١٩٨٢ هو وحده الذي سيجبر الإسرائيليين على إعادة النظر في موقفهم. وقد كسب هذا الطرح تأييداً شعبياً واسعاً بعد مجزرة الحرم الشريف في أوائل أكتوبر الماضي حيث أصدرت تنظيمات الحركة الإسلامية بيانات عدة حثت فيها على إستخدام السلاح ضد المحتل ودعت صراحة لقتل الجنود والمستوطنين. كما أصدرت بعض التنظيمات الوطنية المحلية، بما في ذلك التابعة لحركة فتح، بيانات تؤيد وتطالب المنظمة بالسماح بإستعمال السلاح. كما دعت القيادة الموحدة لإستعمال كل وسائل المقاومة الممكنة. وقد نتج عن هذه النداءات تزايد كبير في عدد عمليات إستخدام السلاح والطعن بالسكاكين خلال الشهرين الماضيين. إن أصحاب الرأي المطالب بالتصعيد المسلح يرون في هذه العمليات نجاحاً لإستراتيجيتهم لأنها تزرع الخوف في صفوف اليهود وتزيد من تكلفة الإحتلال.

إن مجيء هذا التطور بعد الإعتداء اليهودي على الحرم الشريف إنما يؤكد على حجم المشاعر الإسلامية الدينية ، ودورها في الإنتفاضة. إلا أن من الخطأ التصور أن هذا التوجه يعني أن القيادة الفلسطينية الوطنية قد قبلت أخيراً بتحويل الإنتفاضة إلى ثورة مسلحة. إن قيادة المنظمة في الخارج لا زالت تصر على ضرورة عدم إستخدام السلاح وتدعو إلى بقاء الإنتفاضة سلمية وترى أنه من الخطأ إستخدام السلاح فيها. وهذا بالتالي يضع الحركة الإسلامية أمام إختيار صعب ــ وهذا هو التحدي الرئيسي الثاني الذي يواجه الحركة الإسلامية ــ : إما الإستمرار في التصعيد المسلح لوحدها والمخاطرة بالإبعاد والإعتقالات الجماعية بأمل أن تتحول هذه الظاهرة في المستقبل إلى حركة جهادية مسلحة ذات قاعدة شعبية واسعة وقادرة على الإستمرار والنمو، أو العودة للمقاومة السلمية من أجل ضمان بقائها، مع أن في ذلك مخاطرة بفقدان

بعض التأييد الشعبي الذي اكتسبته منذ بدء الإنتفاضة. إن السؤال الذي يجب على الحركة الإسلامية الإجابة عليه هو أن تقرر ما إذا كانت عمليات الطعن وإطلاق الرصاص هي ظاهرة عرضية ناتجة عن ردة فعل مؤقته لمذبحة الأقصى وأنها سرعان ما تزول، أم أنها مسألة لا مجال للتراجع فيها وأنها ستستمر وتقوى. فإن ثبت أنها عرضية ومؤقتة فإن الحركة الإسلامية ـ إن تبنت التصعيد المسلح ـ ستجني الإبعاد والإعتقالات فقط، أما إذا إستمرت وتصاعدت فإنها ستجني توسيع قاعدتها الشعبية وتكسب المزيد من الولاء في الشارع الفلسطيني. بغياب دور الحركة الوطنية في هذا المجال، فإن على الحركة الإسلامية أن تقرر لوحدها إلى أين تتجه الإنتفاضة في عامها الرابع.

أما التحدي الثالث الذي يواجه الإنتفاضة وهي تدخل عامها الرابع فهو التحول الذي يطرأ يوماً بعد يوم على العلاقة بين الداخل والخارج. ليس من الواضح اليوم كيف سيتأثر في نهاية الأمر التوازن مابين جناحي القيادة الفلسطينية في الداخل والخارج نتيجة للتفاعلات التي أفرزتها الإنتفاضة. إن القيادة الوطنية داخل الأراضي المحتلة، وبرغم برهنتها على أنها قادرة على خوض وقيادة صراع طويل الأمد ضد الإحتلال، قد أوضحت بشكل قطعي أنها لا ترى نفسها كقيادة بديلة عن منظمة التحرير في الخارج. وفي الحقيقة فإن وحدة الصفوف بين جناحي القيادة الفلسطينية الوطنية لم تكن في أي يوم أقوى مما هي عليه اليوم. فالقيادة الوطنية الموحدة في الداخل هي إمتداد للمنظمات الأم المتكونة منها هذه القيادة في الخارج. كما أن تشكيل القيادة الموحدة قد تم نتيجة لإتفاق في الخارج، وإستمرار وجودها وعملها يعتمد أساساً على إستمرار هذا الإتفاق. أما بالنسبة للمستقلين داخل القيادة الوطنية في الداخل وهم غير ممثلين في القيادة الوطنية الموحدة فإنهم يعتمدون بشكل كبير على تأييد وتشجيع المنظمة لهم ولا يتوفر لهم قاعدة شعبية في الداخل تعطيهم قاعدة مستقلة لتحدي المنظمة. أما بالنسبة للطرف الثالث في قيادة الداخل، وهي قيادات الحركات الإسلامية، فهي الوحيدة غير مرتبطة بالمنظمة وغير ممثلة في مؤسساتها. لكن حتى هؤلاء لم يقوموا بتحدي شرعية المنظمة كممثل شرعي ووحيد للفلسطينيين. وقد بقيت الحركة الإسلامية في الداخل غير قادرة على تقديم قيادة ذات مركز ومكانة شعبية واسعة على مستوى الوطن ككل ومن هنا فإن تطلعاتها تبقى محدودة رغم المكاسب البارزة التي حققتها الحركة الإسلامية خلال السنوات الثلاث الماضية.

إن السبب في عدم وجود أي تحد حقيقي لمكانة أو تمثيلية المنظمة في الأراضي العربية المحتلة يرجع أيضاً لعامل آخر. فقد كانت السياسة الإسرائيلية مصممة على إبقاء الفلسطينيين في الداخل بلا قوة أو قيادة ذاتية. إستعملت سلطات الإحتلال من أجل ذلك سياسة الإبعاد والإعتقال التي منعت بروز قادة ذوي مركز وطني وذوي قواعد شعبية واسعة. وخلال أول سنتين من الإنتفاضة أبعدت سلطات الإحتلال حوالي ٦٠ شخصية قيادية وطنية وإسلامية، كان أغلبها قيادات صف أول. كانت المحصلة النهائية لذلك هي دفع القيادات المحلية غير معروفة على مستوى الوطن للعمل بمزيد من السرية، وفي نفس الوقت زيادة توجه الداخل لقيادة الخارج ـ المعروفة وغير مقيدة بضرورات العمل السري ـ من أجل القيادة والتوجيه .

لكن وحدة الهدف بين الداخل والخارج هي التي تمر اليوم بحالة من التغير. إن ذلك يعود أساساً إلى تغير في أنماط القيادة في الأراضي المحتلة وهو تغير إبتدأ منذ مطلع الثمانينات وتصاعدت حدته منذ بدء الإنتفاضة. ففي خلال الثمانينات نجحت التنظيمات الفلسطينية الوطنية والإسلامية في تشكيل شبكات واسعة من تنظيمات الشباب المسيس و"المتشدد" في طروحاته السياسية. سيطر هؤلاء الشباب على نشاطات المئات من مجالس الطلبة ولجان المساندة وإتحادات

العمال والنساء والنقابات المختلفة في كافة القرى والمدن ومخيمات اللاجئين في الضفة الغربية والقطاع. أذن صعود هؤلاء الشباب بيدأ تطور في نمط القيادة في الداخل. لقد كانت هذه القيادات الشابة الإسلامية والوطنية هي التي ساهمت في تحضير الأرضية المناسبة لإشتعال الإنتفاضة وفي ضمان إستمراريتها وتصعيدها.

لقد أدى هذا التغير في أنماط القيادة إلى إحداث إنقلاب أو عكس في العلاقة التقليدية بين الداخل والخارج، حيث تخلى الداخل عن "الإعتدال" بينما قام الخارج بإحتضانه. قام "المتشددون" في الداخل في المعسكرين الوطني والإسلامي خلال السنة الثالثة للإنتفاضة بإسماع قيادة منظمة التحرير في الخارج إنتقادات حادة لسياساتها. فقد بلغ "إعتدال" المنظمة حداً دفع بالبعض من داخلها ومن داخل المؤسسة الإسرائيلية إلى نصح اليمين الإسرائيلي بقبول التفاوض مع قيادتها قبل أن تفوت الفرصة وتتولى قيادات وطنية "متشددة"، أو قيادات إسلامية، دفة القيادة الفلسطينية. لكن "إعتدال" المنظمة الذي وصل في نهاية عام ١٩٨٩ إلى حد القبول بالشروط الأمريكية للحوار الفلسطيني الإسرائيلي المقترح آنذاك في القاهرة، كان قد توقف عند ذلك الحد منذ ذلك الوقت. لقد تمكن "تشدد" الداخل أخيراً من وضع حد لإستعداد المنظمة لإعطاء "تنازلات". لكن الفجوة بين الموقفين لا تزال واسعة، ولا يبدو حتى هذه اللحظة أن المنظمة قادرة على العودة عن المواقف التي إتخذتها خلال أعوام ٨٨-١٩٩٠. وبالرغم من التطورات الجديدة خلال الأشهر القليلة الماضية ـ من قطع الحوار الفلسطيني – الأمريكي وقيام حكومة يمينية متطرفة في إسرائيل، وتدهور العلاقات المصرية – الفلسطينية ـ فإن المنظمة لا تزال تصر على أن "مبادرة السلام" الفلسطينية هي الطريق الوحيد لتسوية الصراع العربي – الإسرائيلي. كما أن أي حرب في الخليج قد تؤدي إلى مزيد من الإستعداد للتنازل لدى المنظمة بينما قد يزداد التشدد في الداخل.

إن إختلاف المواقف بين الداخل والخارج تخلق فرص ومشاكل في آن واحد للحركة الإسلامية، حيث يوفر لها ذلك فرصة لإقامة تحالفات وطنية – إسلامية في الداخل الفلسطيني، لكنه يعيق في الوقت نفسه إمكانية توحيد الجهود الفلسطينية ككل في الداخل والخارج، وهذا تحدي آخر يواجه الحركة الإسلامية.

الإنتفاضة في عامها الثالث: المنجزات والتحديات*

د . رمضان عبدالله**

نستفتح بالذي هو خير "ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير"

أيها الأخوة الكرام

لقد سبقني الأخ الدكتور خليل بالتحدث عن التحديات التي تواجه الإنتفاضة وقد تفضل الأخ بتقديمي على أني سأتحدث عن المنجزات، إلا أننا وبعد ثلاث سنوات من الإنتفاضة ربما يكون البعض قد سأم الحديث عن المدح والإطراء على بطولات ومنجزات شعبنا، ونحن أحوج ما نكون الآن إلى قراءة متأنية ودراسة لهذا الواقع ولا سيما أن عمرها الآن ثلاث سنوات وما زالت كإنتفاضة مكانك سر، في حين أن الذي ولد أول يوم في الإنتفاضة، الآن سيدخل في السنة الرابعة وربما أصبح يرمي بحجر، والإنتفاضة لا زالت أقل مما كان يصبوا إليه البعض.

بعد مضي ثلاث سنوات على الإنتفاضة يجب أن لا ننسى الظرف الذي انطلقت فيه، دولياً وعربياً وفلسطينياً ومحلياً والأخير، أقصد به الداخل الفلسطيني. دولياً كانت المنطقة تسير بإتجاه هيمنة وتفرد أمريكي في مسألة الشرق الأوسط، وعربياً كان الوضع العربي يترجم ويفصح عن نفسه في موقفه حيال قضية فلسطين في قمة عمان الشهيرة في نوفمبر عام ١٩٨٧ عندما أدرجت القضية الفلسطينية كموضوع ثانوي بعد أزمة الخليج. وفلسطينياً كانت الأزمة الفلسطينية تتجسد في دوران منظمة التحرير (رسمياً ممثل شرعي للشعب الفلسطيني) في حلقة مفرغة بعد توقف أو إلغاء وإنتهاء الإتفاق الأردني الفلسطيني. ومحلياً كان الإحتلال يشعل محرقة- ولا أقول شمعة- العشرين سنة مطبقاً ككابوس على صدر أهلنا في الوطن المحتل. اليوم بعد ثلاث سنوات تفاقمت هذه الصورة. دولياً، بدا واضحاً أن الحرب الباردة قد انتهت وركع الإتحاد السوفيتي مقدماً فروض الطاعة والولاء لأمريكا. فعلى صعيد موضوعة الشرق الأوسط وقدم الشرطين الأساسيين اللذين طالبت بهما أمريكا دائما فيما يتعلق بسياسته في المنطقة وهما، أن يفتح باب الهجرة اليهودية وقد فعل، ثم أن يعيد علاقاته الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني والأسبوع الماضي بدأ التمثيل على مستوى القناصل. وعربياً إذا كانت الأنظمة العربية في قمة عمان تجعل من القضية الفلسطينية موضوعاً ثانوياً، فقد بلينا بقصة أعظم هي قصة الخليج، حيث جزء كبير من الأمة العربية الآن تحشد الجيوش تحت راية الصليب واساطيله لتقاتل بإتجاه بوصلة أخرى غير بوصلة القدس.

وفلسطينياً نحن نعيش على كل المستويات مرحلة ما بعد ١٥ نوفمبر ١٩٨٧، وهذا التاريخ يعني ان صاحب الحق قال لأول مرة لشعبه وللعالم أجمع يمكن لنا أن نتخيل وطناً فلسطينياً بلا يافا، وطناً فلسطينياً بلا عكا، وطناً فلسطينياً بلا حيفا، وطنا فلسطينياً بلا جزء كبير من القدس، نحن إذن نعيش مرحلة ما بعد هذا التاريخ. ومحلياً هناك

---

* ألقيت هذه الكلمة يوم الأحد ١٩٩٠/١٢/٣٠.

** من مواليد ١٩٥٨، من غزة فلسطين، أستاذ في الاقتصاد في الجامعة الاسلامية بغزة، داعيه وخطيب من خطباء الصحوة الإسلامية في الأرض المحتلة.

الإنتفاضة. ونقف بين يدي هذه السيدة العملاقة، الإنتفاضة، للحديث عن المنجزات والتحديات.الذين تحدثوا عن منجزات الإنتفاضة،في الساحة الفلسطينية أو العربية قسموا المنجزات تقسيمات عديدة.. على مستوى الإيجابيات التي تركت في المجتمع الفلسطيني أو معسكر الأصدقاء عربياً وإسلامياً، والمنجزات على مستوى سلبيات برزت على الجانب الإسرائيلي خسائر إقتصادية، إنهيار معنويات، حالة من الرعب والفزع، الحرب تصل إلى أبواب الكيان الصهيوني..الخ. دولياً على مستوى التحول الذي طرأ على الرأي العام العالمي والتعاطف وكان ثمرة هذا التحول ما رأيناه الليلة الماضية في موقف الدكتورة سوي وزيارتها للأرض المحتلة وهذا الطرح الجديد الذي لم نألفه من قبل. الإنجاز الهام والوحيد الذي أود أن أقف عنده من منجزات الإنتفاضة ثم أعرج على بعض التحديات، هو ما له علاقة بقضية النهضة الإسلامية. تحدثنا طويلاً فى الأدبيات الإسلامية عن النهضة وعن الطروحات الفكرية وعن التنظير السياسي أو الفكري لمسألة النهضة، أو النهوض الإسلامي. ولكن دعوني أضع أمامكم الإنتفاضة كحالة نهوض تحدث اليوم. الإنتفاضة جاءت لتقول بوضوح لانهوض على المستوى الفكري ولا على المستوى الإجتماعي ولا على المستوى الإقتصادي، ولا على المستوى السياسي ولا على المستوى العسكري ما لم يسبقه نهوض على المستوى الروحي. الشعب الفلسطيني الآن تعاد صياغة نفسيته وبنيته الروحية والعقلية والفكرية. وأريد أن آتي بنماذج لأدلل على ذلك؛ عندما كنا نتحدث عن أمجاد الإسلام والمسلمين، وعن حبهم للتضحية والشهادة والخروج من الدنيا ورفضها وبيع النفس في سبيل الله بأرخص الأثمان، لم نكن نجد أي نموذج في الحياة أو الوقت المعاصر لنقدمه. كنا نتحدث عن عمار ومصعب وحنظلة غسيل الملائكة، وآتي بحنظلة هنا لأننا في الأسبوع الماضي، آو مع اليوم الأول للذكرى الرابعة للإنتفاضة كنا على موعد جديد مع حنظلة جديد ولكن ليس قبل ١٤٠٠ عام في مكة أو المدينة، بل حنظلة هو الشهيد إياد عبيد من معسكر الشاطيء في غزة، حنظلة -ربما كلكم قرأتم قصته في السيرة حيث خرج صبيحة زفافه عندما سمع منادي الجهاد ينادي فانطلق للجهاد دون أن يغتسل من الجنابة فاستشهدفغسلته الملائكة- الشهيد الجديد عندما سمع منادي الجهاد ينادي للجهاد إنطلق ملبياً قبل الزفاف. كان أهله يعدون لعرسه الذي سيكون الليلة فانطلق في الظهيرة ليطعن ثلاثة جنود إسرائيلين فأطلقوا عليه ثلاثين رصاصة فسقط شهيداً. وكان عرس حنظلة الجديد جنازته. هذه النماذج كثيرة؛ طفل فلسطيني عمره ٨ سنوات من مخيم جباليا إسمه علي، تقابله وكالة الصحافة الفرنسية وتقول له لماذا ترجم الإسرائيليين بالحجارة وهم أمامك ألا تخاف أن يطلقوا عليك النار، فيقول: وليكن، فليطلقوا عليّ النار "فأنا ميت ميت". هذا التحول الروحي والفكري الذي قاد الأمة إلى النهوض هو الشرارة الأولى التي لا يمكن بدونها حدوث نهوض في أية بقعة في العالم الإسلامي. إذن الحديث عن زيادة دخل الفرد وتوفير الإسكان، والتنمية، والإصلاح الزراعي، هذه الطروحات المستهلكة وهذا الكلام المجوج الذي يسوقه لنا الغرب وعملاؤه يجب أن نتوقف عنه وأن نقرأ حالة واقعية للنهوض تأخذ في الحسبان نفسية الأمة وتراثها الروحي والفكري وتكون بحجم التحديات التي تواجهها وهذه الحالة وجدناها في الإنتفاضة. هذا في الحقيقة أهم منجز أردت أن أعرج عليه في الإنتفاضة، ثم أنتقل وبسرعة إلى التحديات التي سأحاول تغطيتها في حدود الوقت المتبقي:

١- التحدي الأول للإنتفاضة هو عدم تواصل الشارع العربي والإسلامي معها. كلنا نذكر عندما بدأت الإنتفاضة أول شهر وثاني شهر، كان الجميع يقول وبكل ثقة أن هذه الإنتفاضة عارمة وستمتد لتقتلع جميع الطواغيت من عروشهم. الإنتفاضة الآن لها ثلاث سنوات ولم تسرِ نارها إلى الشارع العربي والإسلامي حيث الكيانات التي تمثل الوجه الآخر للكيان الصهيوني. هذا ما نطرحه كسؤال موجه إلى القوى الإسلامية والوطنية الشعبية على إمتداد الوطن العربي

والإسلامي. نريد إجابة: لماذا لم تمتد الإنتفاضة ولم تتواصل الجماهير المسلمة في ملحمة الفداء مع فلسطين؟.

٢- التحدي الإقتصادي:- يجب أن نعرف الأرضية التي يقف عليها الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة إقتصادياً. عندما نقول إقتصاد فلسطيني أو إقتصاد الأرض المحتلة أو إقتصاد الإنتفاضة يجب أن نعرف طبيعة هذا الإقتصاد وما صلابة الأرضية التي يقف عليه الشعب الفلسطيني من هذه الناحية. بإختصار شديد الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة يعاني من حالة خراب ودمار إقتصادي حصيلة عشرين سنة، ومن النهب المستمر للثروات، ومن الربط القسري لإقتصاده بإقتصاد العدو وجعله خادماً له. ٥٢٪ من أراضي الضفة الغربية صُودرت يعني عندما نقول أن مساحة الضفة الغربية هي حوالي ٩٦٠٠كم٢ فهذا يعني أن أكثر من ٥ مليون دنم وضع اليهود أيديهم عليها، كما صادروا حوالي ٤٢٪ من أرض قطاع غزة. وهناك لجنة زارت الأرض المحتلة قبل حوالي سنتين من الولايات المتحدة تتقصى الحقائق وتقدر خسائر الشعب الفلسطيني في ظل الإنتفاضة. أصدرت اللجنة تقريراً ذكر أن خسائر الفلسطينين خلال السنوات العشرين بلغت حوالي ٢٠ مليار دولار. يعني مليار دولار سنوياً تنهب إسرائيل من الأرض المحتلة، هذا الرقم الذي أذهل الكثيرين أقل من الحقيقة بكثير، نأخذ مثالاً بسيطاً على قضية النهب، مثلا مصادر المياه، إمكانيات الضفة الغربية من مخزون المياه أي المخزون الموجود في باطن الأرض والتي يمكن أن تضخه الضفة الغربية فقط هو ٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً، والضفة لا تستهلك الا ٢٠٠مليون متر منها (وإسرائيل) جهاراً نهاراً تسرق ٦٠٠ مليون متر مكعب، أي حوالي ثلث إستهلاكها والذي يقدر بـ١٩٠٠ مليون متر مكعب سنوياً. (إسرائيل) حاولت أن توجد موارد مياه بديلة بأساليب كثيرة، منها مشروع تحلية مياه البحر، هذا المشروع بدأ ثم توقفت لماذا؟ لأن تكلفة المتر المكعب الواحد بلغت ٢ دولار في حينه فتركت المشروع منذ سنوات، وإن كانت في هذه الأيام تريد العودة إليه، لأن هناك أزمة حادة في المياه لديهم. إذن بحسبة بسيطة فإن ٦٠٠ مليون متر مكعب، بسعر دولارين للمتر المكعب الواحد يعني أن مليار و ٢٠٠ مليون دولار تسرق سنوياً ثمن مياه من الأرض المحتلة. هناك قضية الضرائب والتي يبلغ عددها حوالي ١٤ نوع يفرضها الإحتلال علي السكان في الأرض المحتلة، والتي يبلغ فائض حصيلتها حتى بعد خصم ميزانية الحكم العسكري مئات الملايين من الدولارات التي تمتصها الخزينة اليهودية من دماء وعرق شعبنا في الوطن المحتل. أيضاً ما تدفعه (إسرائيل) كأجور للأيدي العاملة الفلسطينية تأخذه ثمن بضائع ومنتجات إسرائيلية حيث أن ٩٠٪ من واردات الضفة والقطاع هي من المنتجات والبضائع الإسرائيلية. إذن الأرضيةالتي يقف عليها الشعب الفلسطيني هي أرضية منهوبة مسلو بة، ورغم هذا استطاعت جماهير الإنتفاضة الصمود وهي التي وجدت نفسها منذ اليوم الأول بين فكي كماشة، الأول هو الإجراءات القمعية الإسرائيلية، والثاني هو مطالب الإنتفاضة. وللأسف الشديد في دوامة التناحر وقع الشعب أحياناً فريسة محاولات إستعراض العضلات من قبل التنظيمات والفعاليات في الإنتفاضة. وكمثال على الفك الأول وصل حظر التجول في مخيم الجلزون في الضفة الغربية وفي مخيم الشاطيء ٤٢ يوماً. ولم يكد يرفع لساعات حتى يطبق على الناس الفك الثاني فتستلم بيانات متناحرة غداً إضراب وبعد غد إضراب، ثم مقاطعة البضائع والمنتوجات الإسرائيلية، وهذه كلها شكلت عبئاً إضافياً على الشعب في ظل الإنتفاضة. رغم ذلك إستطاعت الجماهير أن تقف على أقدامها وتنتقل من نموذج إقتصاد الصمود إلى الإقتصاد المقاوم الذي كان شعاره الإعتماد على الذات في كل الجوانب إلا عن الأشياء التي لا غنى عنها، ثم محاولة فك الإرتباط بين الإقتصاد الفلسطيني والإقتصاد الإسرائيلي. ما كاد الشعب الفلسطيني يتنفس الصعداء ويعيش لحظة الإنتصار على كل المحاولات القمعية الإسرائيلية حتى جاءت أزمة الخليج، وبهذا استقبلت الإنتفاضة عبئاً جديداً.

فالتحويلات الفلسطينية للعاملين في الكويت قدرت بحوالي ٥٠٠ مليون دولار سنوياً قد ذهبت، مؤسسات كانت تدعم الداخل أيضاً ذهبت. في مستشفى المقاصد مثلاً يعاقب جرحى وشهداء الإنتفاضة من جراء أزمة الخليج، وهو المستشفى الذي عالج وحتى نهاية العام الثاني ٩.٥٠٠ حالة من جرحى الإنتفاضة. أول ردود الفعل ضده كانت تجميد أرصدته الموجودة في بنك الكويت الوطني في لندن وتبلغ ٣ ملايين دولار. كذلك كان هناك معونات مقررة له من بنك التنمية الإسلامي في جده جمدت. هناك مؤسسات أمريكية وأجنبية كانت تقدم خدمات خيرية وإجتماعية{ وإن كانت لأغراض غير بريئة} كلها الآن توقفت. هناك قضية الصادرات، صادرات الحمضيات والزيتون ضربت تماماً وقدرت حصيلة الصادرات في العام الماضي بـ ٤٩ مليون دولار إلى الدول العربية فقط، كان٥ مليون منها إلى العراق هذه توقفت، خسائر مدينةالخليل في محصول العنب قدرت بـ ٣ مليون دولار. متاجر بأكملها أقفلت واضافت عبئاً جديداً على الإقتصاد الفلسطيني. وعلى الرغم من ذلك فإن أصواتاً أخرى تقول بأنه ربما تفتح عودة الكفاءات والمال الفلسطيني آفاقاً جديدة للنهوض والتنمية في الضفة والقطاع، ولكن لا ننسى أن هذه الأموال قد تعرضت لخسائر فادحة فالمدخرات الفلسطينية بمساواة الدينار العراقي بالكويتي مثلاً قد ضربت تماماً. وهناك عمال فلسطينيون في وزارة الدفاع والخارجية سرحّوا ولم يأخذوا أية رواتب أو أية امتيازات، وهذا أثر على المدخرات الفلسطينية أيضاً. إذن هؤلاء عادوا إلى الأرض المحتلة في أمل أن يكون هناك متنفس جديد، ولكن ما كادوا يتحسسون هذا المتنفس حتى جاء التصعيد الأخير عقب مذبحة الأقصى والورقة التي يلوح بها الكيان الصهيوني من منع العمال العرب من التوجه للعمل داخل الإقتصاد الإسرائيلي. هناك أصوات تجلس الآن في القدس على الكراسي الوثيرة وتدعّي قيادتها للإنتفاضة وتصفق لفكرة الحاجز بيننا وبينهم وأنه من مظاهر الإستقلال. قد يكون ذلك في ظاهرهُ مكسب، لكن ماذا عن ١٢٠ألف بأسَرِهِم لو منعوا من التوجه إلى أعمالهم يومياً، هل يأكل هؤلاء وأولادهم التراب؟ قبل أن ننتظر أن يفاجئنا العدو بهذه الضربة بمنعهم جميعاً يجب أن نعد العدة ونهيء لهم البديل الذي يمكنهم من الإمتناع عن التوجه للعمل في مؤسسات العدو وينخرطوا جيشاً جراراً في الإنتفاضة وفعالياتها.

وقبل أن أنهي حديثي في الإقتصاد أود أن أنبه الإخوة وخاصة القوى الإسلامية لنقطة، أربطها بالتحدي الأول وهو غياب التواصل في الشارع العربي والإسلامي مع الإنتفاضة. أولايبلغ عدد السكان في الكيان الصهيوني حوالي ٣.٥ مليون يهودي يصلهم سنوياً من ٣ إلى ٥ ملياردولار معونات أمريكيه؛ يعني أن نصيب الفرد منها حوالي ١٠٠٠ دولار في السنة. ونحن لدينا في الأرض المحتلة ٢.٥ مليون فلسطيني{ الضفة وغزة ومنطقة ٤٨} فلو أردنا أن نساوي الفرد من هؤلاء باليهودي الذي لديه مصادر عديدة للدخل فالإنتفاضة بحاجة إلى ٢.٥ مليار دولارسنوياً حتى تستطيع الوقوف على أقدامها بجماهير لا تخشى على نفسها الموت جوعاً. إذاً ماذا يساوي أن يجتمع العرب في مؤتمر قمة ويقرروا ٣٠٠ مليون دولار للإنتفاضة، ولا يُدفع منها إلا أقل القليل.إن ما ينفقه بعض الحكام على سباق الهجن في بعض الدول الثرية أو التي أستأثر حكامها بثروات المسلمين أكثر بما لا يقاس مما يدفعونه من فتات للإنتفاضة. ونحن نقول لهم إعتبروا الإنتفاضة سباقاً، وهو أكثر متعة وإثارة من سباق الهجن، حيث الطفل الذي يواجه بأصابعه الطرية جنود الباطل المدججين بكل أسلحة الفتك والدمار. إدفعوا للإنتفاضة ما تدفعوه لسباق الهجن (ولا نقول لموائد القمار أو الأشياء الأخرى) وستستمر الإنتفاضة قوية عملاقة بأذن الله. بقي أن نقول للقوى الشعبية والإسلامية التي وللأسف لم تقدم للإنتفاضة إلا أقل القليل أيضاً إعلموا أن ما تقدمه اليهودية العالمية (لإسرائيل) من المساعدات والقروض تصل حصيلته السنوية ما يزيد على المليار دولار. لقد كانت حصيلة السندات التي بيعت لدعم (إسرائيل) عام ١٩٨٦حوالي ٥٤٩ مليون دولار، ومن سنة

١٩٥٠ إلى ١٩٨٥ كان مجموع ما قدمته المنظمات اليهودية العالمية ١٧.٥ مليار دولا. هذا ما قدمته القوى الشعبية اليهودية في العالم (لإسرائيل) فأين ما تقدمه القوى الشعبية الإسلامية للإنتفاضة وللمرابطين في أكناف بيت المقدس.

٣- أسلوب مواجهه الكفاح المسلح أو الإنتفاضة البيضاء: هناك أكذوبة تشاع الآن وهي عدم تسليح الإنتفاضة، ونقول أكذوبة لأنه لا أحد يدعي أن الكفاح المسلح يعني تسليح الشعب ليواجه في مجموعه قوات الإحتلال بالسلاح والنار بدلاً من الحجارة. المطالبة بالكفاح المسلح تعني أن البندقية التي قاتلت على طوال سنوات الجهاد والنضال في فلسطين يجب أن لا تستقيل ولا تخرس بل يجب أن تجدّد إنطلاقتها. الكفاح المسلح معناه مؤازرة العمل الجماهيري بعمل مسلح وجهادي ضد أهداف وتجمعات العدو بعيداً عن ساحات المواجهة الشعبية. والذين يقولون أن الكفاح المسلح سيصبح ذريعة للعدو لإرتكاب مذابح ضد شعبنا نقول لهم ببساطة متى توقف العدو عن ذلك حتى نقول بأنه ربما يفعلوا.

٤- وحدة القوى الشعبية، وأؤكد على وحدة القوى الإسلامية على وجه الخصوص. للأسف الشديد حتى في الإنتفاضة وإن كان الحال أفضل من السنوات السابقة، إلا أن قضية الوحدة الإسلامية لم ترتقِ بعد إلى مستوى تصبح فيه حالة متأصلة وقائمة على قناعة روحية وفكرية. في مسألة الوحدة هناك مجرد خطابات وشعارات لا يمكن ان تهزم واقع الإنقسام الذي نعيشه ٢٤ ساعة من إخمص قدمنا إلى رأسنا. الإنقسام يغطي كل ساعات ودقائق وثواني وقتنا. عندما نتعرض لمسألة أو لأزمة معينه فإننا نندفع بعاطفتنا نحوها ونردد "**واعتصموا بحبل الله جميعاً**" فيما عقولنا قد يكون لها حسابات أخرى. هذه الخطب إذن لا يمكن حتى لو استمرت لقرون أن تواجه حالة الإنقسام إلا إذا تأصلت وأصبحت قناعة روحية وفكرية يدعو لها الجميع بعمق وإخلاص يهزم هذا العمق المتجذر في داخلنا لحالة الإنقسام.

٥- قضية إنتقال الإنتفاضة إلى المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨. حصر الإنتفاضة في الضفة الغربية وقطاع غزة يشكل تحدي كبير لنا ودلالة كبيرة على العجز وعدم التواصل بين أجزاء الشعب الفلسطيني نفسه في الداخل. فلابد أن تنتقل نار الإنتفاضة إلى داخل فلسطين هناك حيث الرقم الأصعب داخل مؤسسة العدو وكيانه. عندما أعلن إخواننا داخل فلسطين إضراباً عاماً في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر ١٩٨٧إبان إندلاع الإنتفاضة، إعتبرته كافة القوى والأحزاب السياسية الإسرائيلية كارثة سياسية في تاريخ الدولة العبرية ودعت إلى إجتماع طارىء للحكومة لمناقشة هذا الأمر الخطير. إنه تحدي حقيقي لنا أن تنتقل نار الإنتفاضة إلى كل تجمعات شعبنا في الداخل حتى يصبح الشعب الفلسطيني كتلة ويداً واحدة.

والذين نادوا بدولة في الضفة الغربية وقطاع غزة يتحملون وزراً كبيراً في هذا الجانب، وأختم حديثي هنا بذكر رسالة أرسل بها الشاعر محمود درويش (الذي يسميه البعض شاعر القصر الآن) في ٨٨/٣/١٨ إلى الشاعر سميح القاسم قبل إعلان الجزائر الشهير وبعد الإنتفاضة وقد نشر نص الرسالة في بعض المجلات العربية، جاء فيها على لسان درويش "ماذا تقول للإسرائيليين يا سميح إذا سألوك عن وطنك: هل تقول غير فلسطين؟ طبعاً لا، وماذا لو سألوك عن حدود دولتك: هل تقول الضفة والقطاع؟ طبعاً لا، لأنهم سيقولون لك إرحل يا إبن الطابور الخامس إلى دولتك في الضفة الغربية والقطاع" وتدور الدائرة للأسف والذي يكتب بيان ما سمى بالإستقلال في إعلان الجزائر الذي يحصر الدولة في الضفة والقطاع هو صاحب هذه الكلمات. كلمة أخيرة هناك قانون يحكم تصرفات هؤلاء الناس الآن ومنذ زمن ليس بالقصير وهو (ما كان بالأمس خيانة يمكن أن يصبح اليوم بطولة) وهذه هي قصة القوم مثلاً مع قرار ٢٤٢. أقول قولي هذا وأستغر الله لي ولكم.

America are and will remain unavoidably hostage to what happens in the Muslim World. Then, too, the possibility of a backlash against the Muslims of America cannot be ruled out. Muslims who stay apolitical and aloof will not find it possible. We may ignore the fire but the fire won't ignore us. Islam is seen in America as a political force, and Muslims will be viewed through these lenses.

According to the Los Angeles Times of December 18,1990, there are now six million Muslims in the United States, more than Mormons (4 million), Presbyterians (2.9 million), and Episcopalians (2.5 million) and equal to the total Jewish population of the United States (believed to be about 6 million.) But size does not equal strength.

We have no Muslim presence in the power structure: media, academia, government etc... There is not a single Muslim columnist or a national TV commentator in America to convey the Islamic ethos. We are not producing enough, attacking, articulate thinkers. Yet, American Muslims are handling a difficult challenge well of maintaining an Islamic identity in an unfriendly cultural, political, and ideological environment.

But politically, Muslims in the United States are functioning more as individuals than as a team. Muslims have to submerge their rivalries and sectarian differences for the larger Islamic interest by focusing on what unites and not on what divides. We need to help develop a unified Muslim voice in America which is not tied to the apron strings of any Muslim government and which seizes the initiative; is quick to formulate responses, give bold intellectual direction, and work with non-Muslim groups who are supportive of Muslim interests. (According to a just-released poll, 40% of the people of Lubbock, Texas -- a town used by president Bush as a gauge on how middle America feels -- want a Middle East peace conference.)

America could be an intellectual hub of Islam. It is vital then, to set up politically competitive Muslim think tanks. Because the hostility against Islam in America is deliberate and politically-rooted, a political response is critical.

It is ironic that those who are telling lies about us are aggressive, and many of those of us who have truth on our side are defensive and apologetic. In a sense, we Muslims have been our own worst enemies. Yet, we are fortunate to belong to the world's great faith. We don't have to seek outside heroes; the history of Islam is replete with tales of grit and valor.

In a culture of collapsing values, Islam stands out as a beacon of hope for a better and more moral tomorrow.

Today, we see the beginnings of a New Crusade against Islam. The faith of the Muslims has always shown itself to be more resilient than the force of numbers and weapons deployed against it.

The 21st Century will be an Islamic Century. And, Inshallah, Islam will lead us on the road to victory.

to the entire Islamic commonwealth, just as Mecca and Medina do not belong to the House of Saud or Saudi Arabia.

International Political Role:

The billion strong Muslim community should try to develop an Islamic veto power in the U.N. Security Council, and the OIC (Organization of Islamic Conference) should work towards achieving that goal. Muslims should be players, not spectators. Otherwise, the United Nations will continue to be used as a key tool of U.S. foreign policy. On November 29, 1947, the United Nations voted for the partition of Palestine which led to the formation of Israel. On November 29, 1990, the United Nations voted (resolution 678) for use of force against Iraq. In both instances, the resolutions were sponsored by the United States, essentially favoring Israel.

Now, Uncle Sam is the guardian angel of the Arab Establishment. If the OIC eventually can be "liberated" from the stranglehold of the plutocrats force to check inter-Muslim states disputes and to act as a deterrent against external aggression. Turkey and Pakistan, with their huge and highly-trained armies, can play a key role in that. Both countries are officially supporting operation Desert Shield. Turkey, which never tires of showing a European face to the West, is still seen by the West as a Muslim country, which explains the opposition to the entry into the European Community in 1992 of a NATO country with the largest standing army. Pakistan's ties with the United States have not prevented the bogey being raised of the "Islamic bomb". The Gulf Crisis is a test of Muslim character. All Muslim individuals, institutions, will be judged by their response during this moment of Muslim reckoning, and history may not be kind to many of us.

VI. Muslims in America:

It is naive and simplistic to say that Islam's problem with the West is because Islam is a misunderstood entity. It is ironic that although we Muslims may not understand or appreciate the full power of Islam, our enemies have no such illusions. Those in the West who understand Islamic power are working overtime to distort its image and its message.

One lesson of this crisis is that it is a sin to be politically weak in America and a greater sin to be seen as weak. Some Muslims focus only on the externals, deeming it to be sufficient adherence to Islam. But that is not enough. To maintain Islam as a dynamic and confident force capable of confronting the challenges of this era, political education is a must. Muslims should adopt a three-pronged strategy:

-- build knowledge and practice of Islam and its heritage.

-- be informed and full-fledged participants in the American society.

-- acquire knowledge of fundamental Muslim World issues, for example, Palestine, Kashmir, and emerging Islam in the Soviet Muslim Republics, which will remain uppermost in the agenda of the 1990's.

These efforts are all interdependent. Whether they like it or not, Muslims in

Should the Western doctrine of force applied against any Muslim country be acceptable? And finally, Muslim governments who are conniving and clouding in a massacre against Muslim people: should they still be accepted as legitimate governments after their hands are stained with the blood of Muslim men, women, and children.

The Gulf crisis signifies the collective failure of Muslim rulers and their systems of government. There is a joke going around that, next year, U.S. embassies abroad may be issuing visas for Hajj. But this crisis is no joking matter.

In this connection, America has a little idea what the mood of the Muslim masses is. It has little idea what the mettle of the people it will be confronting. It has little inkling of what it is getting into. And it is understandable why they have no idea. In this self-absorbed "yuppie" culture which exalts the individual and extols the self, there can be scarce comprehension of the welcoming, and even celebration, of death in the path of the Prophet Muhammad (PBUH). The West may win the military battle with Iraq, but it will lose the war of the hearts and minds of the Muslim world. There is an old saying: "Be careful of what you wish because your wish may become true."

If the West wishes to make an enemy of the Muslim people, it may get its wish.

V. Issues Facing the Muslim World

There are three key issues in the Muslim World:

Israel:

The issue of Israel is central to understanding the hostility against Islam in the West and in figuring out American military moves in the Middle East. Israel and its supporters in the U.S. power structure fear Islam far more than pan-Arabism. Hence, they are making all-out efforts globally and within America to cut down the power of Islam which they identify as the main threat to political Zionism. For their part, Muslim elites have not seriously resisted Israel militarily, intellectually, and diplomatically. To talk then of peace initiatives is to provide a blueprint for Palestinian surrender. In the United States, the Palestinian issue is discussed in the context of terrorism; the Israeli issue discussed in terms of human rights. But, thankfully, one has seen Islamization of the Palestinian cause, making it now an issue beyond the control of the Israelis and those who wish to barter Palestinian rights. The message should go out loud and clear:

MUSLIMS DO NOT WANT ONLY PEACE, THEY WANT JUSTICE.

Sovereignty:

The Muslim people should endeavor to be pilots of their own destiny, and not just passengers. The oil of the Arabian peninsula doesn't belong to a few families, but

safe, profitable, and popular to demonize Islam and urge military action against Muslims.

IV. Gulf Crisis

By stepping into the Arabian peninsula, the U.S. presence has served to widen the pre-existing gulfs between: (1) the "haves" and the "have- nots"; (2) official Islam and peoples' Islam; (3) Muslim governments and Muslim masses; and (4) Islam and the West.

The question which comes up is: What is it which the West really wants? Is it the four principles of Bush? Is it more destruction of Iraq's military power? Is it oil? Is it implementation of U.N. resolutions?

The hidden agenda is to contain and control the power of resurgent Islam which is the most powerful ideological force in the world today. Democracy in the Muslim world is not favored by the West because it will open up Muslim societies and mean the triumph of Islamic activist movements. **This goal is sought to be accomplished by the trinity of the United States, Israel, and the monied Arab Establishment.**

True, Islam is the biggest threat to the Arab Establishment. That explains why Arab elites are hiding behind the skirts of American women soldiers in Operation Desert Shield. Affluence does not equal influence. Wealth without vision is meaningless. In 1980, when the West disapproved of Iran, the monied gulf establishment ganged up on Iran; in 1990, when the West disapproved of Iraq, the money gulf establishment ganged up against Iraq.

The Gulf crisis is turning out to be a disaster for Muslim elites, but a blessing and opportunity for Muslim masses. Islam is at its best when it is under the greatest pressure. This crisis has brought the Muslim people at the grassroots together. It has not divided; it has united. Secular Arab nationalism and pan-Arabism was already dead, but awaiting burial. The Gulf crisis has buried both.

Taking the long view, the personality of Saddam Hussein is incidental to the crisis. When Saddam's guns were turned on Iran, it was O.K.; when Iraq threatened Israel in April 1990, it was quite another matter.

Can the American occupation of the Arabian peninsula be the solution to the Iraqi occupation of Kuwait? Should a power which is a large part of the Middle East problem be accepted in good faith as a part of a solution? Should Israel not be held to the same standard as Iraq? Should not the principles of justice be consistently applied and there be equal respect for U.N. resolutions? Should an aggressive Western force come into the Islamic heartland, using Muslim funds and Muslim soil, and destroy a Muslim military power with the collusion of the Arab Establishment? Should the Muslim Ummah become a custodian of Mecca and Medina or should Bush become the custodian of the current custodian of Haramain Sharifain (Sacred Shrines)?

used the smoke screen of the Gulf crisis to increase the flow of Soviet Jews into Palestine (according to The Washington Times, Dec.25, 1990, 200,000 have already arrived and another 1 million are expected to follow over the next two years; this is equivalent to 70 million immigrants--more than the population of France--pouring into the United States in just three years). Gorbachev has also upgraded diplomatic links with Israel, and resumed direct flights between Tel Aviv and Moscow.

When he met the Pope during December 1989 at the Vatican, Gorbachev reportedly said: "I was baptized when I was six." The Red Menace, thus, has been replaced by the Green Menace and the hammer and the sickle have been overshadowed by the crescent and star.

III. Collision Course

Events during the last 20 years have generated the West's interest in the Muslim world at the popular and policy-making level and, at the same time, have been important in shaping Muslim identity and in giving this identity a political expression. These include, but are not limited to:

-- Oct. '73 : Ramadan War
-- '70s-80s: Airliner and ship hijackings
-- '70s-80s: Islamic Bomb fears
-- Feb, '79: Islamic Revolution
-- Nov '79: Hostage crisis
-- Dec.' 79: Soviet invasion of Afghanistan
-- 1980' s : Rise in Islamic activism
-- Sept. '83: Lebanon: Shelling by USS New Jersey
-- Oct. '83 : Lebanon: Bombing of U.S. Marine barracks
-- Dec. '87 : Intifada
-- July. '88 : US Vincennes shoots down Iranian Airbus
-- Dec. '88 : Bombing of Pan Am 103
-- Feb. '89 : Salman Rushdie affair
-- Jan. '90: Kashmiri Muslim uprising
-- Aug.'90: Invasion of Kuwait.

Accompanying the above, there is a greater willingness (even eagerness) in America to use force against Muslims: Lebanon **(1982-83)**, Syria **(1983)**, Libya **(1986)**, Iran **(1987-1988)**, Iraq **(1990)**. Because of the absence of serious opposition, both in the United States and in the Muslim world, U.S. policy interest groups find it

ISLAM, THE GULF CRISIS, AND AMERICAN MUSLIMS*
BY MOWAHID HUSSAIN SHAH**

I. 1990's: decisive decade for the Muslim World

Before I make my comments, I would like to salute the courage, commitment, and sacrifices of the Muslim brothers and sisters for the sake of Islam despite heavy odds in their home countries. I also wish to honor the memory of the martyrs who have blazed a trail of inspiration which will be followed by many generations.

In doing so, these brave dedicated souls gave their today for our tomorrow.

I feel especially privileged to be in such company tonight.

The 1990's seem set to become a decisive decade for Muslim destiny. Globally, this is a period of all-round international change, including:
- The Massive changes in Eastern Europe and within the Soviet Union.
- German reunification.
- First new prime minister in England after 11 years.
- Resignation of the Soviet foreign minister Shevardnadze.
- Three new heads of state in South Asia.
- Formation of the European Economic Community in 1992.

Concurrent with the above; there have been significant changes within the global Muslim community, marked by rising consciousness and identification with Islam. This, in turn, has been coupled with growing Western apprehensions about the Muslim World, its potential power and military threat which has come to head with Iraq's invasion of Kuwait.

II. The New World Order: Islam Seen as Biggest "Threat" to the West

The end of the cold war between the Christian West and the communist East has coincided with the beginning of a new cold war with Islam waged by both the United States and the Soviet Union.

The reassertion of Christian identity in Eastern Europe is significant as is its reaching out to Israel. In contrast, there is very little support for the revival of religious rights in Albania, with its predominantly Muslim populace. Gorbachev has also

---

* This presentation was delivered on Friday December 28th, 1990.

** Mr Shah is a lawyer by profession, editor-in-chief of eastern times and presently the vice-president of the Foreign correspondents Association, of the National Press Club, Washignton D.C.

"The Problem is with those people who can't understand their Holy Book, they can't understand their times, and they can't identify an Imam when they see one."

1. The Expansion of the " Israeli" national frontier.
2. The expulsion of the Palestinian (read Muslim) population from their West Bank and Gaza homeland, as well as from "Israel" pre-1967.
3. The expropriation of finances that will be needed for the interim "Israeli" political items of business.

History -in the modern Middle East context- has shown us that war in its generic sense- is the only vehicle by which Tel Avivian Zionists have managed to implement their schemes.

But How??

The Iraqi Ba'thist government owes capital interests (which always have "Israeli" security, concerns and interest as their Middle East clearance) an amount of money which it cannot pay back even if it wanted to. In this Middle Eastern climate, what better time to begin to turn the monetary screws on the Iraqi leadership? THE CREDITORS WENT TO BAGHDAD AND DEMANDED THEIR MONEY. Baghdad was placed between the insistent demands of big money, the petroleum industry's financial clout and the flashing green lights from Washington to go ahead and grab the oil fields to the south in Kuwait and elsewhere if that is the only way to pay back the debts.

August 2, 1990: Iraq moves into Kuwait and the war scenario was in motion...War is inevitable, Zionist interests dictate it.

The noise that was heard coming out of Baghdad is reminiscent of the noise coming out of Cairo in the prelude to the 1967 defeat.

Rhetoric and verbal Ballistics...

There seems not to be a genuine and all out effort by the Iraqi President Saddam Hussien to take on the allied forces. The placing of over half a million Iraqi troops in Kuwaiti trenches is a policy of catastrophic proportions. Saddam Hussein, by not arming all the people for a decisive encounter and by not releasing all the committed Muslims from detention is showing his hand.

In the meantime the U.S. is playing the Damascus vs. Baghdad card. The loss of one is the gain of the other. And it doesn't matter where the Asian Sadat will be: in Baghdad or Damascus. But what seems certain is the Western production of CAMP DAVID II. And may the best man (Asad or Hussein) win.

Imam Khomeini (may Allah bless his memory) spoke from the future when he pointed to the nature of all these evil rulers. His words were prophetic:

The types of weopons that were consistently channelled into Iraq (for fear of militant Islam) were nuclear, biological and chemical. Iraq, unlike all other nations in the region began to acquire its chemical weapons industry on an advanced footing. It began to actively modify long range ballistic missiles. The U.S.S.R. was passing along to Iraq the state of the art electronic counter measures ECM'S. So when the guns fell silent in the summer of 1988 (U.N. Resolution 598) between Iraq and Iran, Iraq had, by virtue of its front line position as the West's secular last stand against a "threatening Islamic Fundamentalism" in neighboring Iran, become purely in a military sense a regional superpower. Militarily speaking, the other surrounding states, from Turkey up north to Saudi Arabia down south were dwarfed. Not only were these regional nation-states militarily insignificant, the state of "Israel" around which all other Arab nation-states are militarily calibrated, this state of "Israel" began to sound the alarm bells. (Israeli national interest cannot tolerate a state or a combination of Arab states posing a serious military threat).

The second force of contradiction working in the opposite direction to Iraq's military prowess was the economic / financial force. On this front Iraq was weak and vulnerable, growing more exposed by the hour.

Iraq at the beginning of its eight year war against Islamic Iran had $36 billion in reserve. Not only did the military necessities of war incinerate the Iraqi reserve, it also added a debt of over $100 billion. Iraq, in the economic and monetary world joined, if not surpassed, the hopeless cases of Mexico, Brazil and other debt ridden nation-states. Militarily Iraq had become a first rate power, economically it went so deep down into debt that the mega-bankers, creditors and financiers were holding the sword of Damocles over its fate. Iraq's debt became its Achilles' heel.

As this was the paradox called Iraq, a very important development began to emerge concerning the Middle East centerpiece "Israel". A proportionate and growing number of Soviets (Jews) began to qualify for Soviet exit visas and " Israeli" entry visas. What was at first a trickle of Jewish refuseniks turned into a steady stream, and that steady stream had the potential of turning into a deluge. But the absorption capacity of "Israel" is limited, a fact borne out by the settlement policies of Ariel Sharon in the West Bank, Jerusalem, Gaza and the formation of the most fanatical brand of Zionists as the new Israeli government. The new cabinet is tantamount to a war council.

Israel, therefore, needs the political, moral and legal cover to rearrange its capacity structure to make it possible to absorb the projected three million "Jews" who will be setting up shop in the coming ten years in Palestine.

There are at least a few very important issues that have to be solved to the satisfaction of Herzlian Zionist interests:

The Persian Gulf Crisis*
Mohammad H. al-Asi**

The Islamic Revolution in Iran has, to date, brought about two changes in the global political atmosphere. The first one erupted last year with the collapse of the Berlin Wall and the utter surrender of the socialist bloc of countries to the capitalist bloc. The reason for this radical turn of events in the Soviet Union (U.S.S.R.) and Eastern Europe is the cumulative effect of ten years of war upon the Soviet Union. These ten long years of war in Afghanistan: physically, militarily, directly and corrosively in addition to the Soviet war effort alongside Iraq (1980-1988) indirectly, with the pouring of Soviet hardware into Iraq, the political cover it needed to prosecute the war, all of the above resulted in an enervated Soviet body politic ready to throw off dead weight, i.e. Eastern Europe; and throw it into the American hold.

What goes unnoticed in the last decade is that, had it not been for the Islamic Revolution in Iran, the Soviets wouldn't have been bogged down in Afghanistan; also undetected is the fact that it was the Soviet fear of a growing Islamic Revolution, based in Iran, and spreading into Muslim areas in Central (Soviet) Asia, which squarely positioned the Soviet military on the side of Iraq in the eight year war. I may add that this Soviet decade's long downfall was not readily observable to the revolutionaries of Islam in Iran itself during the course of events.

The second global political change was caused by the same epi-center, i.e. the Islamic Revolution in Iran and the able leadership of Imam Khomeini. It is the Iraqi government's contradiction in being. The eight year Iraqi war of aggression caused the Iraqi establishment to grow in two opposite and straining directions. The strain reached the breaking point in the summer of 1990.

In one direction the Iraqi regime was strapped with inproportional military might. The superpower fear of Revolutionary Islam caused the U.S.S.R., France, other European nations and the U.S. to build up the Iraqi military from a third world size armed force to one which placed it in the ranks of the first five. Iraq launched its 1980 aggression with roughly 235,000 men under arms; its cease fire (summer 1988) with over one million men under arms.

---

* This presentation was delivered on Sunday December 30th, 1990.

** Mr. Al- Asi is the elected Imam of the Islamic Center of Washington D.C. He is also a director of Islamic Education Center in Maryland.

مَهْلاً

(مهداة إلى المؤتمر الثالث للجنة فلسطين الإسلامية)

أَخَدَعْتَني
وَقَتَلْتَني
وَجَلَسْتَ فَوْقَ القَبْرِ تَضْحَكُ عالياً
وَمُقَهْقِهاً
خَمْسينَ عاماً أَوْ يَزيدْ
مَهْلاً
فَإنّي لا أَمُوتُ وَلا أَبيدْ
فَلَقَدْ تَفَجَّرت القُبورُ حجارةً، حُمَماً
بكَفِّ الإبْن، وَالبنتِ الصَّغيرة، والَحفيدْ
مَهْلاً فإنّي لا أموتُ وَلا أبيدْ
إني خُدعتُ حَقيقةً
منْ ألفَ عامْ
مُنْذُ انْحَرفْتُ عن الهُدى
وَتنكّبتْ قَدَمي الطّريقْ
وعَبَدتُ أصْناماً تَرَبَّعت المَقاعدَ والعُرُوشْ
أسْلَمْتُ عَقْلي للخُرافَةِ راضياً
أصْغيتُ للأبْواقِ
للتّجهيل
للدَّجلِ المُنَمَّقِ بالزّخارفِ والنُّقوشْ
أسْلَسْتُ قَلْبي مُخْلصاً
لَمْ ألْتفتْ للقَبْرِ يُحفَرُ وَالمقاصلِ والنُّعوشْ
إنّي خُدعْتُ حَقيقَةً
منْ ألفَ عامْ
صدّقْتُ أنَّ القَيْدَ إسْورَةٌ
فَأرْخَيْتُ العنانْ
فَخَدعْتَني
وَدَخَلْتَ منْ بيْنِ الثُّقوب إلى مَحارمِ خَيْمتي
وَصَنَعْت لي بعْضَ الدّمى
وَنَسجْتَها منْ غَفْلَتي
حَبْلاً لتَخْنُقَ همَّتي
ألْبَسْتَها زَيْفَ العَمائمِ
فاسْتَغَلَّتْ غَفْوتي
وَإذا صَحَوْتُ تَبَدَّلَتْ
ناباً وَظُفْراً قَدْ أحاطَ بِصَحْوتي
وَخَدَعْتَني

لكنّني آتٍ منَ الزّمَنِ البَعيدْ
إنّي أعي دوْري على مَرِّ القرونْ
فأنا ابنُ سعْدٍ
وابْن عمروٍ
والوليدْ
ودَمي الذي فجَّرْتهُ هذا
بلَيلِ خيانةٍ
نهرٌ مديدْ
مُتدفِّقٌ مُنْذُ النُّبُوّةِ
حاملاً نُورَ الهدايةِ
حامَلاً نارَ الوَعيدْ
لا تَسْتهِنْ
فأناَ ابنُ عَمْروٍ والوليدْ
وحجارتي ليْسَتْ تُراباً منْ صَعيدْ
ليستْ هَباءً أو غُثاءً طَافياً
هيَ قطْعَةُ الأرضِ التي روَّى عُصارَتَها الوريدْ
هيَ قَطْعَةُ التاريخِ كمْ سَجَدَتْ عليها جَبْهَةٌ
ولَكَمْ تَغَنَّى في مَسامِعِها نَشيدْ
لا تَسْتَهِنْ
فهيَ ابنَةُ الخَنْساءِ نَامَتْ لَيلةً
واسْتَيْقظتْ حُبلى
بصخرٍ، بالمُهَنّدِ، منْ جَديدْ
حبْلى بآلافِ السَّواعدِ والصَّواعِقِ والحديدْ
هي قطْعَةُ التَّاريخِ قدْ قُذِفَتْ
بنَحرِكَ منْ بَعيدْ
مرَّتْ بأعْمَدةِ العُروشِ
وزَلْزلَتْ بالرعبِ-قَبْلَكَ-
كُلَّ جبَّارٍ عَنيدْ
واستفْتَحَتْ
مرَّتْ بآبارِ العَشائِرِ والقَبائِلِ، فجَّرتْ
كُلَّ العفُونةِ والصَّديدْ
فحجارتي أرْضي وتاريخي ومَنْهاجي الرَّشيدْ
ولَئنْ قَضيْتُ فَقدْ تَسلَّمَ رايتي
ابْني وطِفلتيَ الرضيعَةُ والحَفيدْ

محي الدين عطية*-شيكاغو ٣١/١٢/١٩٩٠

---

* من مصر ومن مواليد ١٩٣٤. له مساهمات بحثية ودعوية وأدبية جادة يعمل حالياً في المعهد العالمي للفكر الإسلامي كمستشار أكاديمي.

التوصيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) "الإسراء" (٧).

مع دخول الإنتفاضة المباركة في فلسطين عامها الرابع، وبدعوة من "لجنة فلسطين الإسلامية " في أميركا الشمالية، إنعقد المؤتمر السنوي الثالث بعنوان "الإسلام طريق الإنتصار" في مدينة شيكاغو بولاية إلينوي بدءاً من يوم الجمعة ١٢/جمادي الاخر/١٤١١هـ الموافق ٢٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩٩٠ إلى يوم الإثنين ١٥/جمادي الاخر/ ١٤١١هـ الموافق ٣١ ديسمبر (كانون أول) ١٩٩٠.

وقد أم هذا المؤتمر مئات الأخوة والأخوات من أبناء فلسطين ومن كافة أقطار الوطن الإسلامي الذين تحملوا مشقة وعناء السفر وجاءوا بكل إهتمام وإيجابية للمشاركة في تدارس ومناقشة قضايا الأمة وهمومها والوقوف على آخر التحديات والأخطار التي تهدد وجودها ومصيرها وتنتهك حرماتها ومقدساتها. وقد شاركوا مشاركة فعالة ومتميزة في المناقشات المثمرة التي دارت حول العديد من القضايا مثل ، الولاء والبراء في الإسلام، فلسطين في المواجهة الحضارية بين الإسلام والغرب، الأمة وقضايا الوحدة والنهضة والعدل، والنظام الدولي الجديد وأثره على الوضع العربي والإسلامي، أزمة الخليج والموقف الاسلامي، الإنتفاضة: الآفاق والتحديات والمستجدات، وتحديات العمل الإسلامي في العقد القادم. كما شملت المناقشات قضايا الاسلام والمسلمين في كشمير وارتيريا وأذربيجان وإيران.

وقد شارك في هذا المؤتمر نخبة طيبة من علماء ومفكري الإسلام وقادة الحركات الإسلامية، وذوي الإختصاص والتجربة الذين حاضروا في مختلف القضايا المطروحة ومستجداتها، وقد شملت هذه النخبة من فلسطين فضيلة الشيخ عبد العزيز عودة والدكتور خليل الشقاقي، والدكتور رمضان عبدالله، ومن الأردن الاستاذ ليث شبيلات والاستاذ حسن التل، ومن لبنان فضيلة الشيخ محرم العارفي ، ومن مصر فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرشيد صقر، ومن العراق الاستاذ عادل مهدي، وفضيلة الشيخ عبد الهادي آوان زعيم الحزب الاسلامي في ماليزيا، وسماحة الشيخ محمد علي الهي من إيران، ومن السودان الاستاذ احمدمكي، والاستاذ محمد نور إدريس من ارتيريا، ومن كشمير الاستاذ بارفيز إقبال شيما، ومن الولايات المتحدة فضيلة الشيخ الدكتور طه جابر العلواني، والاستاذ موحد شاه، والاستاذ عيسى سميث والاستاذ محمد العاصي. كما تضمن المؤتمر عرضاً مصوراً لمأساة الفلسطينين في لبنان والوطن المحتل قدمته الدكتورة "سوي تشاي آنغ" من سنغافورة، كما ألقيت قصائد شعرية قدمها الاستاذ يوسف عز الدين صلاح من فلسطين والاستاذ محي الدين عطية من مصر.

وقد إنعقد المؤتمر في واحدة من أحلك الفترات العصيبةالتي تمر بها أمتنا الإسلامية والعربية، حيث المذابح اليومية المتواصلة لشعبنا المجاهد والمرابط في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس في فلسطين، وحيث تدافع الأساطيل والحشود العسكرية الغربية إلى قلب الصحراء العربية لتحط في قبلة المسلمين الثانية (المسجد الحرام) وتحاصر وتضرب كل محاولة تسير باتجاه القبلة الأولى (المسجد الإقصى) التي يدنسها الصهاينة.

وقد حيٌ المشاركون في المؤتمر شعب الإنتفاضة المباركة وإصراره على مواصلة جهاده وتضحياته رغم إرهاب الأعداء، وحصار الإشقاء، كما وجهوا الدعوة لكافة قطاعات الأمة بضرورة الوحدة والتماسك ورص الصفوف في مواجهة الزحف الصليبي الجديد إلى أرض الإسلام والمسلمين. كما تقدموا بالتوصيات التالية:-

١- التأكيد على أن الإسلام- والإسلام وحده- هو طريق الانتصار الذي تصبوا إليه أمتنا في معركتها الحضارية الشاملة ضد الإستعمار الغربي ورأس حربته "الكيان الصهيوني"، وأدواته وإرتباطاته ومصالحه في المنطقة.

٢- يؤكد المؤتمرون على مركزية قضيتفلسطين في قلب المشروع الإسلامي المعاصر، بإعتبارها نقطة الإشتعال، التي تلتقي عليها كافة قوى الأمة وقطاعاتها في المواجهة الحضارية والشاملة مع الغرب.

٣- يؤكد المشاركون أن الجهاد هو السبيل الوحيد لإسترجاع كامل أرض فلسطين المقدسة، التي هي ملك للأمة الإسلامية بأسرها، ولا يملك أحد حق التنازل أو التفريط في شبر منها، أو الإقرار بالوجود الصهيوني على أي جزء منها فهذا خيانة لله ولرسوله ولأمتنا وجهادها وشهدائها وتضحياتها التي لم تتوقف لحظة.

٤- يهيب المشاركون بكل الشرفاء من أبناء الأمة، وهيئاتها، ومؤسساتها الإسلامية والوطنية، لاسيما في القارة الأميركية بحشد الإمكانات وتجميع الطاقات لدعم جهاد أهلنا في داخل فلسطين وتوفير العون المادي الذي يعينهم على تجاوز الأزمة الإقتصادية الحادة والخطيرة التي يواجهونها، والتي تفاقمت أكثر إبان أزمة الخليج، كما يدعو المشاركون الجميع إلى دعم جهاد إخواننا في كشمير وأفغانستان وأرتيريا ولبنان والسودان.

٥- يناشد المؤتمرون كافة القوى الإسلامية والعربية أن تقف وبصلابة في وجه الغطرسة الصهيونية التي تزحف بإتجاه مشروع إسرائيل الكبرى، بإستمرار الهجرة اليهودية السوفيتية إلى فلسطين، والتوسع في الإستيطان، وتحين الفرص لتمرير مؤامرة الترحيل الجماعي لشعبنا (الترانسفير).

٦- يعلن المشاركون رفضهم للإحتلال العراقي للكويت، ولغزو القوات الأجنبية الكافرة للأرض العربية الإسلامية، كما يؤكدون على ضرورة الحل العربي والإسلامي للأزمة.

٧- يؤكد المؤتمرون أن القوات الأجنبية الغازية تهدف بالدرجة الأولى إلى تدمير القوة العسكرية العراقية التي تهدد أمن إسرائيل، وإلى الإستيلاء على منابع النفط العربي والإسلامي، وبسط المزيد من هيمنة أميركا في المنطقة، وتفردها بقيادة العالم لا إلى تحرير الكويت.

٨- يتوجه المؤتمرون إلى رجال وقادة الفكر والحركات الإسلامية إلى دعم المشروع الإسلامي المعاصر من خلال مراجعة شاملة لمسيرة العمل، وتقويم أفكاره، وخططه، وآفاقه، بما يكفل تجاوز الأطر الحزبية والإقليمية الضيقة، وتوسيع دائرة التحرك العالمي والمحلي، والإرتقاء إلى مستوى التحديات التي تواجة المشروع والأمة.

٩- يدعو المؤتمرون علماء الأمة المخلصين العاملين إلى بيان الموقف الإسلامي والحكم الشرعي في القضايا والمستجدات التي تتعرض لها الأمة وإزالة ما تحدثه آراءُ المنافقين، وفتاوى وعاظ السلاطين من بلبلة في أوساط جماهير الأمة.

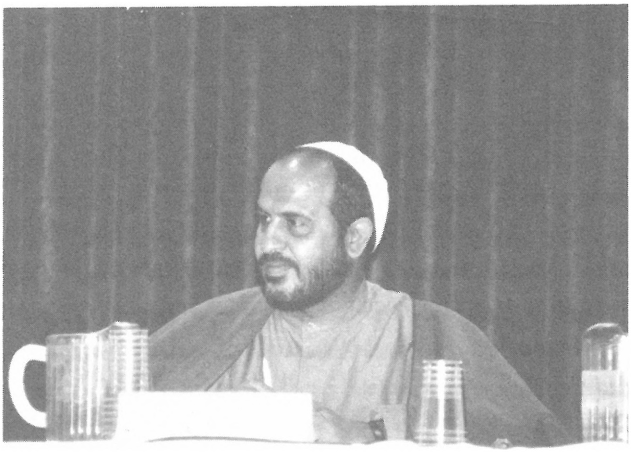
١٠- يحييّ المؤتمرون لجنة المؤتمر لتحليها بالروح الاسلامية وأخذها بمبدأ الشورى، باستحداث فقرة الحوار المفتوح، التي خصصت لجمهور الحاضرين ليعبروا عن آرائهم في كافة القضايا التي طرحها العلماء والمفكرون، وكسابقة مبدعة وتقليد حميد يرجوا المؤتمرون لجنة المؤتمر أن تحافظ عليه كما يدعون الله سبحانه أن يعينها على تنميته وتعزيزه بما فيه خير أمتنا ورفعتها.

١١- يوصى المشاركون بطبع مواد المؤتمر وتوفيرها لمن لم يتمكن من الحضور نشراً للوعي وتعميماً للفائدة.

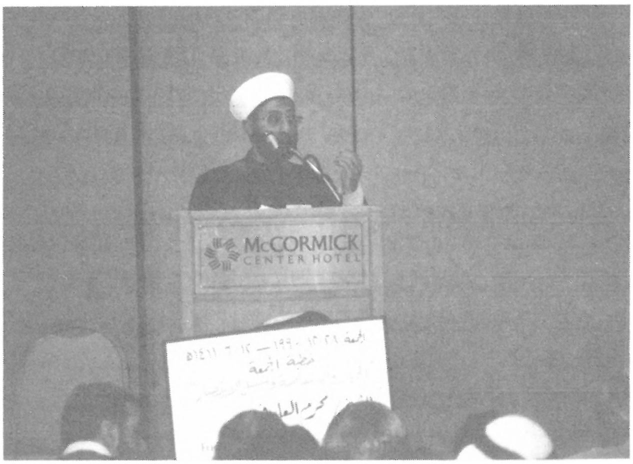
(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين) صدق الله العظيم

لجنة فلسطين الإسلامية
المؤتمر السنوي الثالث
شيكاغو-١٢-١٥ جمادي الاخر ١٤١١ هـ
الموافق ٢٨-٣١ ديسمبر ١٩٩٠

لقطات مصورة من المؤتمر



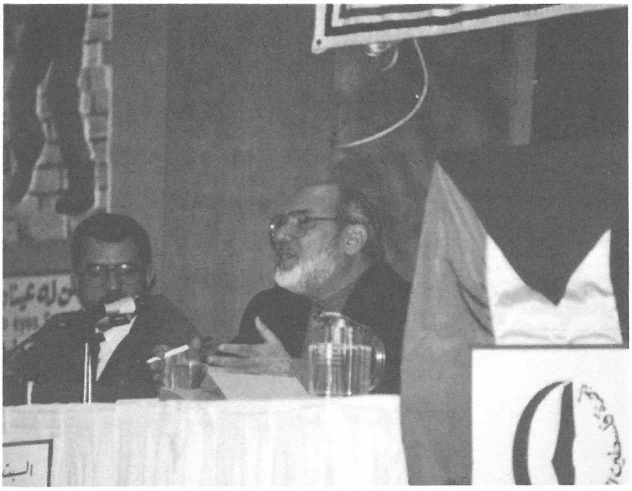
فضيلة الشيخ عبدالعزيز عودة



فضيلة الشيخ محرم العارفي



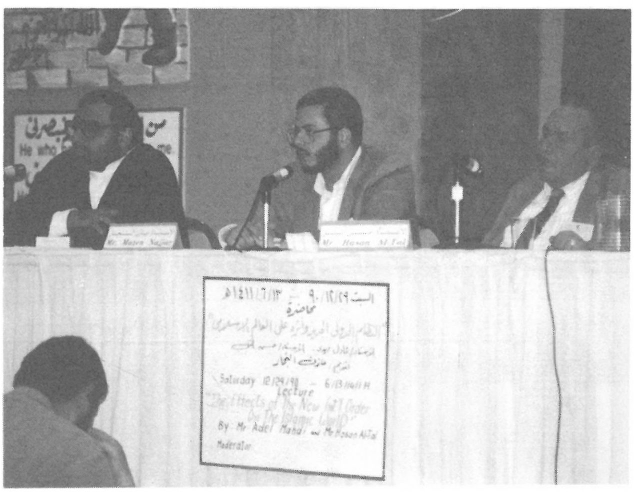
فضيلة الدكتور عبدالرشيد صقر



فضيلة الدكتور طه جابر العلواني
و بجواره مقدم المحاضرة
الأستاذ علي أبو زعلوك



الأستاذ ليث شبيلات



الأستاذ حسن التل (على اليمين)
والأستاذ عادل مهدي ويتوسطهما
الأستاذ مازن النجار
مقدم الندوة



الأستاذ أحمد عثمان مكي



الأستاذ محمد العاصي



الأُستاذ موحِّد شاه



الأساتذة المحاضرون في لقإ مفتوح مع الجمهور و هم من اليمين : د. خليل شقاقي – محمد العاصي عبد العزيز عودة – د. طه جابر العلواني – عادل مهدي – ليث شبيلات – عبدالعزيز صقر – حسن التل



د. سامي العريان (رئيس اللجنة)



الأستاذ يوسف عزالدين صلاح في فقرة شعرية في جلسة افتتاح المؤتمر



أشبال و زهرات
الإسلام في فترة إلقا
نشيد لفلسطين



جانب من الحضور في
فترة الأسئلة والمناقشة



جانب من سوق المؤتمر

الإسلام طريق فلسطين

لجنة فلسطين الإسلامية

تعريف:

لجنة فلسطين الاسلامية في أمريكا الشمالية أسسها الشباب الاسلامي المؤمن بدور الاسلام ورؤيته الحضارية الشمولية لقضية المسلمين الأولى «فلسطين» وكافة قضايا الأمة.

الأهداف:

(١) العمل على تكريس فلسطين قضية مركزية لحركة الإسلام العالمية شعاراً واستراتيجيةً، ومحوراً لمسيرة الأمة نحو الوحدة والتحرر والانتصار.

(٢) بناء وتعميق الوعي الإسلامي لدى الأمة بأبعاد قضية فلسطين وعلاقتها المصيرية بمشروع النهضة الاسلامي المعاصر.

(٣) تنوير وتوعية الرأي العام العالمي بعدالة قضية فلسطين و آفاقها المتعددة من وجهة النظر الإسلامية والإنسانية.

(٤) إقامة الأنشطة الإعلامية والثقافية والاجتماعية تضامناً مع الشعب الفلسطيني في كفاحه العادل ضد الظلم والاحتلال والعدوان.

(٥) دعم صمود الشعب في فلسطين المحتلة وتقديم كافة وسائل العون الممكنة.

(٦) التعاون مع مختلف المؤسسات ذات الصلة من أجل تنسيق وتوحيد الجهود بما يخدم قضية فلسطين على كافة الساحات.

(٧) الحفاظ على ثقافة شعب فلسطين في أمريكا الشمالية وعلى أصالته وشخصيته الحضارية.

لجنة فلسطين الاسلامية

Islamic Committee for Palestine
P. O. Box 82009
Tampa, FL 33682-2009
Tel: (813) 980-2572
Fax: (813) 985-6022